

2
A

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A. U. B. LIBRARY

2

NO

U.S. LIBRARY

٢٠١
A
297.1248
A398nmA
٧.١-٢

منهازل الدُّوَر العَرَبِيَّةِ

297.1248

A398nmA

٧.١-٢

٢٦

مختارات من

الإمام عيسى

نهج البلاغة

*

79600

مكتبة صادر
بيروت

Cat. Nov. 52



الحقوق محفوظة مكتبة صادر

علي بن ابي طالب

٦٠٠ - ٦٦١ م

قتل الامام علي في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ (٢٤ كانون الثاني سنة ٦٦١ م) وله من العمر ثلاث وستون سنة بالحساب الهجري ، على ارجح الروايات واكثرها مستنداً ، فتكون ولادته في اواخر سنة ٦٠٠ للمسيح .

وهو ابو الحسن علي بن ابي طالب ، وامه فاطمة بنت اسد ، هاشمي قرشي الابوين . ولد بمكة ، فسمته امه حيدرة باسم ابها ، ومعنى حيدرة اسد ، فغيره ابوه ، وسماه علياً . وكان في السادسة من عمره عندما تسلمه النبي محمد من ابيه ، وتولى تربيته ، والقيام على امره ؛ حتى اذا اظهر دعوته ، اسلم على يده ، وهو في العاشرة او دونها بقليل ؛ فرسخت في نفسه ، منذ الصبى ، آيات الكتاب ، وآداب الرسول ، كما رسخت محبته في قواده ، فكان مثلاً للتعوى والعلم والوفاء ، يجاهد في سبيل الله ، وصاحب الدعوة بقلبه ولسانه ويده .

واوتي من الشجاعة والقوة حظاً وافراً ، فكان النبي يعتمد عليه ويقدمه في الملومات الكبار ، فما خاب به ظنه ولا آنس

الفشل عليه يوماً ؛ فقد دعاه الى المبيت مكانه في الفراش ليلة
 الهجرة ، ليخضع به المكين ، فلا يتنبهوا لغيابه ، وهم مزمعون
 ليلتهم على قتله ، فلم يتردد سيد الفتيان او يحجم عن الخطر
 المهدد ، فدى لابن عمه ، ونصراً لدينه . وايام بدر وأحد
 والخندق وخيبر ناطقة بشجاعته وأيده ، ومآتيه وزياده عن بيضة
 الاسلام ؛ شاهدة لمن يحب الله ورسوله ، ومن يحبه الله ورسوله .
 واعترف له الناس ، على اختلاف الاهواء ، بالفصاحة وقوة
 المعارضة ؛ قال ابن ابي الحديد : « وعن كلامه قيل : دون
 كلام الخالق ، وفوق كلام المخلوقين . » واذا كانت موهبته
 الخطابية لم تظهر زمن البعثة ، فذاك شيء طبيعي ، لان الكلام
 يومئذ للنبي لا لغيره ، ينطق بما يوحى اليه ، ويشرع السنن لامته ،
 فما كان على ابن ابي طالب الا ان يقتدي به ، ويتأدب بادب
 القرآن ، حتى حفظه على عهد ، ولم يكن غيره يحفظه ؛ وربما
 ندبه الرسول الى تلاوة الآيات على المؤمنين ، ويقول ابن ابي
 الحديد ان ائمة القراء يرجعون كلهم اليه .

ولما قبض النبي اختلفت الصحابة فيمن يبايعونه بالخلافة ،
 واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة . فقام عمر بن الخطاب
 فبايع ابا بكر ، وبايعه ابو عبيدة بن الجراح ، وبايعه الناس ؛
 فقال الانصار : « لا نبايع إلا علي بن ابي طالب . » وكان علي

قد تخلف عن المبايعة ، وتخلف معه بنو هاشم ، فما زال بهم
عمر حتى حملهم جميعاً على بيعه ابي بكر .

وانتقلت الخلافة بعد ابي بكر الى عمر ، وبعد عمر الى
عثمان ، فاستولى على علي شيء من الحزن والفتور ، لضباع
حقه ، وانصراف الامر عنه ، فاعتصم بالصبر والسكوت تفادياً
للشغب والخلاف ؛ ولكنه عُرف بسداد الرأي في ذلك العهد ،
فهو الذي اشار على عمر باعتماد تاريخ الهجرة ، ونصح له ألا
يخرج بنفسه الى حرب الروم والفرس ؛ وكذلك لم يتلكأ عن
نصح عثمان وتحذيره حين اضطرب عليه الامر ، فكان في ذلك
كله بعيد مرامي النظر .

• وما ان ولي الخلافة حتى تقلبت عليه شواغل الامامة والدين
ومشاكل السياسة والفتن ، فتفتتت عبقريته عن روائع الخطب
والمواعظ ، وبدائع العهود والرسائل ، وجوامع الكلم
والامثال ، فكانت سنو امارته اخصب ايامه تفكيراً وانتاجاً .

• ولقد بويغ ، والفتنة مستيقظة بعد مقتل عثمان ، فتخلف عن
مبايعته بنو أمية ، وبعض الصحابة . فجاءه المغيرة بن شعبة ،
واشار عليه ان يثبت عمال عثمان في ولاياتهم ، ليبايعوه
ويطمئن له الامر ، فأبى ان يداهن في دينه ، ويعطي الرياء في
امره ؛ فرغب اليه ان يستبقي معاوية في اماره الشام ، لان له

جراءة ، وهو مسموع الكلمة هناك . فقال : « لا والله ،
لا استعمل معاوية يومين ابداً . » وأشار عليه عبد الله بن عباس
بإثبات معاوية الى ان يبايعه ، فيقلعه من مقامه ، وقال له :
« إن معاوية واصحابه اهل دنيا ، فمتى تثبتهم لا يبالوا بمن ولي
هذا الامر ؛ ومتى تعزلهم يقولوا : « أخذ هذا الامر بغير شوري ،
وهو قتل صاحبنا . » ويؤلبوا عليك اهل الشام والعراق . »
فقال علي : « اما ما ذكرت من اقرارهم ، فوالله ، ما اشك
ان ذلك خير في عاجل الدنيا لاصلاحها ، واما الذي يلزمني
من الحق والمعرفة بعمال عثمان ، فوالله لا اولي منهم احداً
ابداً . فان اقبلوا ، فذلك خير لهم ، وان ادبروا بذلت لهم
السيف . » ثم قال له : « سر الى الشام ، فقد وليتكمها . »
فقال ابن عباس : « ما هذا برأيي . معاوية رجل من بني
أمية ، وهو ابن عم عثمان ، وعامله على الشام ، ولست آمن
ان يضرب عنقي لعثمان ، او أدنى ما هو صانع ان يجلسني ،
فيتحكم علي . ولكن ، اكتب الى معاوية ، فمنه وعده . »
فأبى علي وقال : « والله ، لا كان هذا ابداً . »

ثم بعث عماله على الامصار ، وجعل سهل بن حنيف على
الشام ، فلم يستطع دخولها ، فرجع على اعتقابه . وكتب علي
الى معاوية يقول : « اما بعد ، فان الناس قتلوا عثمان عن

غير مشورة مني ، وبإيعوني عن مشورة منهم واجتماع . فاذا
اتاك كتابي ، فبايع لي ، واوفد اليّ اشراف اهل الشام
قَبْلَكَ . » فلما قدم رسوله على معاوية ، وقرأ كتابه ، بعث
الى الزبير بن العوام يبايعه عن نفسه وعن اهل الشام ، وببايع
طلحة بن عبيد الله من بعده ، ويدعوها الى الطلب بدم عثمان .
وكان الزبير وطلحة قد بايعا عليّاً في المدينة ، فاجععا على خلافه ،
ولم يشكا في نصح معاوية لهما ، فدخل على الامام ، واستأذناه
في زيارة الكعبة ، فرابه امرهما ، فقال لهما : « لعلكما تريدان
البصرة والشام . » فاقسما انهما لا يقصدان غير مكة . وقيل
انه طلب منهما ان يعيدا البيعة له ثانية ، فاعادها باشد ما يكون
من الأيمان والمواثيق ، فأذن لهما ، فلما خرجا من المدينة اخذا
يقولان : « ليس لعلّي في اعناقنا بيعة ، وانما بايعناه مكرهين . »
وشخصا الى مكة .

وكانت عائشة ام المؤمنين تؤلب الناس على عثمان وتطعن
فيه ، رغبة منها في طلحة ، فبلغها مقتله ، وبيعة علي ، وهي
خارجة من مكة الى المدينة ، فرجعت الى مكة / حتى اذا
دخلتها • اتاها عبد الله بن عامر الحضرمي ، فقال : « ما
ردّك يا ام المؤمنين ؟ » قالت : « ردني ان عثمان قُتل مظلوماً ،
وان الامر لا يستقيم ، ولهذا الفوغاء امر . فاطلبوا بدم

عثمان ، تعزّوا الاسلام . » فاجابها الحضرمي ، ورجّع
نداءها بنو أمية في الحجاز ، واجتمعوا على مشاققة علي .
ثم قدم طلحة والزبير فانضما اليهم . فآشار عبد الله
ابن عامر عليهم بالمسير الى البصرة ، لان له فيها اعواناً
من صنائعه ، وكان اميراً عليها لعثمان ، فهرب عنها الى مكة
يوم أخذت البيعة لعلي فيها ، وجاءها عثمان بن حنيف الانصاري
عاملاً من قبل الامام عليها . فوافقه طلحة والزبير على المسير
الى البصرة والكوفة ، مطمئنين الى صنائعه في الاولى ، ثم الى
ما لهما في المصرين من شيعة وانصار ، فخرجوا ومعهم عائشة
في سبع مائة رجل من اهل المدينة ومكة ، ولحقهم الناس حتى
كانوا ثلاثة آلاف ، على رواية الطبري ، ويقول المسعودي
انهم ساروا في ستمائة راكب . واعانهم يعلى بن أمية عامل
اليمن المعزول بأربع مائة الف درهم ، وحمل سبعين رجلاً من
قريش ، وبعث الى عائشة بحمل يقال له عسكر لتحمل عليه .
واعطاهم ابن عامر الحضرمي الف الف درهم ومائة من الابل
وغير ذلك . فساروا الى البصرة حتى بلغوها ، فخرج اليهم
عاملها عثمان بن حنيف فقاتلهم ومانعهم ، ويبتئوه في بعض
الليالي ، فاسروه وضربوه وנתفوا لحيته ، ثم اطلقوا عنه خوفاً
على المتخلفين من ذويهم في المدينة ان يصيبهم الانصار بسوء .

ولكنهم استولوا على بيت المال عنوة ، وقتلوا سبعين رجلاً
من خُزّانه والموكّين به ، بينهم خمسون قتلوا صبراً ، ضربت
اعناقهم بعدما اسروا .

واقعة الجمل سنة ٣٦ هـ

« بلغ عليّاً خبر عائشة وطلحة والزبير ، وهو بالمدينة ، فرأى
ان الفتنة قائمة ولا بد من اخمادها ، فسار في سبع مائة راكب
حتى بلغ الرّبذة ، فلحق به ستمائة راكب من بني طيء فكتب
الى ابي موسى الاشعري عامل الكوفة ، وكان قد بايعه عن
اهلها ، «ليستغفر الناس الى الحرب والجهاد معه» ، فخالف ابو
موسى الامر ، واخذ يشبط اهل الكوفة ويقول : « انما هي
فتنة ! » فتمي ذلك الى علي ، فولى على الكوفة قرظة بن
كعب الانصاري ، وكتب الى ابي موسى : « اعتزل عملنا
يا ابن الحائد مذموماً مدحوراً ، فما هذا اول يومنا منك . »
« وسار بمن معه حتى نزل بذي قار ، فبعث ابنه الحسن وعبار
ابن ياسر الى الكوفة يهيّان بالناس اليه ويصلحان ما افسد ابو
موسى ، فرجعا ومعهما من اهلها نحو من سبعة آلاف ، وقيل
سنة آلاف وخمس مائة وستون ، » فزحفوا الى البصرة حتى
بلغوها ، فراسل علي القوم وناشدهم ، فأبوا إلا قتاله ، فالتقى

الفريقان في الموضع المسمى بالخرابية ، وكانت عائشة في هودجها على جملها عسكر ، تحرض الرجال على الاقدام والثبات ، فرمي هودجها حتى صار كالقنفذ لما علق به من النبال ، وقطع على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة ، كلما قطعت يد واحد منهم ، امسك الخطام مكانه رجل آخر ، ثم سقط الجمل وقيد اخذته السيوف ، وقطعت اعضاؤه ، فتطايير الرجال من حوله ، فنفخ اليه محمد بن ابي بكر اخو عائشة ، وكان في جند الامام ، فنادها ، فقالت : « من أنت ؟ » قال : اقرب الناس قرابة ، وابغضهم اليك ، انا محمد اخوك . يقول لك امير المؤمنين هل اصابك شيء ؟ قالت : ما اصابني الا سهم لم يضربي . فانزلها اخوها في دار صفية بنت الحارث ، ثم ارجعها الامام الى المدينة مكرمة يواكبها جماعة من الرجال والنساء . وبلغ عدد القتلى في هذه الواقعة ، كما ذكر المسعودي ، خمسة آلاف من اصحاب علي ، وثلاثة عشر الفا من اعدائهم ، وفي جملة من قتل منهم طلحة بن عبيد الله وابنه محمد ، والزبير بن العوام ، قتله عمرو بن جرموز التميمي في وادي السباع ، وهو منصرف من حرب الجمل .

ودخل علي البصرة ، فبايعه اهله ، فولئى عليهم عبد الله بن عباس ، ثم سار الى الكوفة ، فنزل بها ، وكتب الى معاوية

يعلمه بما انتهت اليه موقعة الجمل ويدعوه الى مبايعته ،
ويصارحه بانه من الطلقاء الذين لا تحمل لهم الخلافة ، فكتب
معاوية الى عمرو بن العاص يطلعه على الامر ، ف اشار عليه عمرو
بان يلزم علياً دم عثمان ، ويقاتله باهل الشام .

واقعة صفين

بلغ الامام ان اهل الشام قد اجتمعوا مع معاوية على قتاله ،
فحشد جيشاً ، يقول المسعودي انه تسعون الفاً ، فزحف به
في السنة نفسها (٣٦ هـ) الى المدائن فالانبار حتى نزل الرقة
على الفرات ، فعقد له جيمر فعبى الى جانب الشام . وسار
معاوية بنحو خمسة وثمانين الفاً حتى بلغ سهول صفين ، وهي
موضع غربي الرقة على ضفة الفرات اليمنى ، فالتقى الجيشان
هناك ، وكان جيش معاوية قد سبق جيش علي الى السهل ،
فسيطر على شريعة الماء ، ولم يكن على الفرات في ذلك الصقع
شريعة غيرها ، يستطاع ورود الماء منها ، وما عداها اخراق
عالية ، ومواضع الى الماء وعرة . ووكل معاوية بالشرعية ابا
الاعور السلمي ، ومعه اربعون الفاً ليمنعوا عنها جيش الامام ،
فبات هؤلاء في البر عطاشاً . فقال عمرو بن العاص لمعاوية :
« ان علياً لا يموت عطشاً هو وتسعون الفاً من اهل العراق ،

وسيفهم على عواقبهم ، ولكن دعهم يشربوا ، ونشرب . »
فقال معاوية : « لا والله ، او يموتوا عطشاً ، كما مات عثمان ! »
فأمر عليّ الأشعث بن قيس والاشتر النخعي ان يدلّفا الى الماء ،
فحمل الأشعث باربعة آلاف وحمل الاشتر باربعة مثلها ، وسار
علي وراء الاشتر بباقي الجيش ، وكانت حملة الاشعث غنيفة
صاعقة ، فحزح ابا الاعور عن الماء ، وورد الاشتر بعده ،
شديد الوطأة ، فاستولوا على الشريعة ، وانكشف عنها اهل الشام .
فقال معاوية لعمر بن العاص : « يا ابا عبد الله ، ما ظنك
بالرجل اتراه يمنعنا الماء ، لمنعنا اياه ؟ » فقال له عمرو : « لا ،
ان الرجل جاء لغير هذا ، وانه لا يوضي حتى تدخل في طاعته ،
او يقطع حبال عاتقك . » فبعث معاوية الى علي يستأذنه في
الورود ، فأذن له ، وابتلى ان يمنعه منه ، كما اشار عليه بعض
اصحابه ، وارسل اليه يدعوه الى اتحاد الكلمة والدخول في
جماعة المسلمين ، فابى معاوية ، او يدفع اليه قتلة عثمان ،
ليقتلهم به . ثم اتفقا على المودة الى آخر المحرم في سنة سبع
وثلاثين ، فتوقف الفريقان عن الحرب ، على امل الصلح
والوفاق ، وتوالت الكتب بين علي ومعاوية ، دون ان تسفر
عن نتيجة صالحة ، حتى اذا انقضت الهدنة بانقضاء المحرم ،
استؤنفت الحرب في اول صفر ، واستحر القتال ، واشتد

وقعه في اليوم التاسع ، فنأدى علي معاوية : « يا معاوية ،
علام يقتل الناس بيني وبينك ؟ هلم احاكمك الى الله ، فأبينا
قتل صاحبه ، استقامت له الامور . » فالتفت معاوية الى عمرو
فقال : « ما ترى يا ابا عبد الله ؟ » قال : « قد انصفك الرجل . »
فقال معاوية : « ما انصفت ، وانك لتعلم انه لم يبارزه رجل
قط الا قتله او اسره . » فقال له عمرو : « وما تجمل بك الا
مبارزته . » فقال له معاوية : « طمعت فيها بعدي ! » وانصرف
الفريقان الى حمل قتلاهم حتى آخر النهار ، فعادت كحالتها
في اوله ، وجنهم الليل ، وهم ملتحمون ، فعرفت بليلة الهرب ،
لما تعالى فيها من الصباح ووقع السلاح ، وروي ان علي بن
ابي طالب قتل بكفه في يومه وليلته خمس مائة وثلاثة وعشرين
رجلاً ، وكان اذا ضرب كبر ، ولم يضرب الا قتل ، حتى
اصبح والمعرفة محترمة السعير ، والاشتر النخعي في الميمنة ،
وعبد الله بن عباس في الميسرة ، وهو قائم في القلب ، والناس
يقتتلون من كل جانب . واخذ الاشتر يزحف بالميمنة ،
وكان قد تولاه عشية الخميس ، فحمل بها عند ارتفاع الضحى
يوم الجمعة ، فما زال يتقدم ، ويبحث اصحابه ، وعلي يمه بالرجال
حتى هزم جيش معاوية ، ولاح بارق النصر للامام . فنأدت
مشيخة اهل الشام : « الله الله في الحرمات من النساء والبنات ! »

وقال معاوية : « هلم محبّاتك يابن العاص ، فقد هلكنا ،
 وتذكر ولاية مصر ! » فقال عمرو : « ايها الناس ، من كان معه
 مصحف ، فليرفعه على رحله ! » فرفع الشاميون نحوه من خمس
 مائة مصحف على عوالي الرماح ، ونادوا : « كتاب الله بيننا
 وبينكم ! » فقال كثير من اهل العراق : نجيب الى كتاب الله
 ونتوب اليه . فحاول الامام ان يفهمهم ان معاوية خادعهم ،
 فلم يقتنعوا ، وهددوه بالقتل كما قتل عثمان . واستمهلهم الاشر
 حتى يتم النصر ، فأبوا وتصايحوا : « ان امير المؤمنين قد قبل
 الحكومة ورضي بحكم القرآن ! » فقال الاشر : « ان كان امير
 المؤمنين قد قبل ورضي ، فقد رضيت بما رضي به امير المؤمنين . »
 فاخذ الناس يقولون : « قد رضي امير المؤمنين » والامام
 مطرق لا ينطق بكلمة . ثم قام فسكت الناس كلهم ، فقال :
 « كنت امس امير المؤمنين ، فاصبحت اليوم مأموراً ، وكنت
 ناهياً ، فاصبحت منهياً ، وقد احببتم البقاء ، وليس لي ان
 احملكم على ما تكرهون . » ثم قعد ، واعتصم بالصمت كارهاً
 لما اتوا به ، وسكت الاشر على غير رضى ؛ وارتفع صوت
 الاشعث ومن لف لفه ، فاجابوا الى التحكيم ، وتركوا القتال ،
 وانقضت وقعة صفين عن بعين الف قتيل : خمسين الفاً من
 اهل الشام وعشرين الفاً من اهل العراق ، على حد رواية العقد

الفريد عن ابي بكر بن شبة ، واما المسعودي فلم يجزم بعدد القتلى من الفريقين ، بل ذكر روايتين احدهما تجعل قتلى الشام تسعين ألفاً ، و قتلى العراق عشرين ألفاً ، والثانية تقول انه قتل من الشاميين خمسة واربعون ألفاً ، ومن العراقيين خمسة وعشرون ألفاً ؛ واسار الى تعذر ضبط الاحصاء لان في قتلى الفريقين من يُعرف ومن لا يُعرف ، وفيهم من غرق ، وفيهم من قتل في البر فاكلته السباع ، فلم يدر كم الاحصاء .

التحكيم

اتفق اهل العراق والشام على اقامة حكمين يفصلان في الامر بين علي ومعاوية ، ويرجعان في ذلك الى كتاب الله ، ولا يخرجان عنه . فاختار معاوية عمرو بن العاص حكماً عنه ، واختار الاشعث وغيره ممن انتحلوا مذهب الخوارج بعد ذلك ابا موسى الاشعري . فاعترض الامام وقال : « قد عصيتوني في اول الامر ، فلا تعصوني الآن ؛ اني لا اري ان اولتي ابا موسى الاشعري . » فاصر الاشعث ومن معه على اختياره . فقال علي : « ويحكم ! ليس بثقة ، وقد فارقتي وخذل الناس عني ، وهرب مني حتى امّنته بعد اشهر . » وسمى لهم عبد الله بن عباس فرفضوه ؛ ثم الاشترا النخعي ، فرفضوه ايضاً . فقال

لهم : « فاصنعوا الآن ما اردتم ، وافعلوا ما بدا لكم ان
تفعلوه . » فاختاروا الاشعري ، واجتمع مندوبون عن الفريقين
لكتابة صحيفة المودعة والتحكيم ، فكتبوا : « هذا ما تقاضى
عليه علي امير المؤمنين . » فقال عمرو بن العاص : « اكتبوا
اسمه واسم ابيه ، انما هو اميركم ، فاما اميرنا فلا ! » ولم يمانع
علي لان اصحابه كانوا مختلفي الرأي ، فحجى اسم اماراة المؤمنين
وكتب في الصحيفة : « هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب
ومعاوية بن ابي سفيان . »

وتنص الصحيفة على النزول عند حكم الله وكتابه ، فان
وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتباعاه ، وان لم يجدها اخذا
بالسنة العادلة غير المفرقة . والحكمان هما ابو موسى الاشعري
عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص القرشي ، وقد اخذا من
علي ومعاوية ومن الجندين انهما امينان على انفسهما واموالهما
واهلها ، والامة هما انصار . وعلى الذي يتضيان عليه ، وعلى
المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله ان يعملوا بما يتضيان
بما وافق الكتاب والسنة . وان الامن والمودعة ووضع
السلاح متفق عليه بين الطائفتين الى ان يقع الحكم . وعلى كل
من الحكمين عهد الله ليحكمين بين الامة بالحق لا بالهوى .
واجل المودعة سنة كاملة ، فان احب الحكمان ان يعجلا

الحكم عجلاه ، وان توفي احدهما ، فلا مير شيعة ان يختار مكانه رجلاً لا يألو الحق والعدل ، وان توفي احد الاميرين ، كان نصب غيره الى اصحابه ممن يرضون امره .

واجل التحكيم الى رمضان ، على ان يكون في موضع بين الكوفة والشام ، وكان الوقت الذي كتبت فيه الصحيفة لايام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة .

فلما خطت الصحيفة ، وضعت عليها اسماء الشهود من الفريقين إلا الاشتر ، فانه ابى ان يضع اسمه ، واصر على احتجاجه ورفضه . وخرج الاشعث بنسخة عنها يقرأها على الناس فرحاً مسروراً ، فقال بعضهم : لا حكم الا لله ، فكان اول من قالها ، ورددتها اللسن في جيش علي ، فاذا قسم كبير منه يرفض التحكيم . فخرج اليهم علي يذكرهم بانه لم يقبل التقاضي الا لانهم ارادوه ، فقالوا : « قد بان لنا زللنا وخطأنا فرجعنا الى الله وتبنا ، فارجع انت يا علي ، كما رجعنا . » فابى الامام ان يرجع .

ولما حان موعد التقاضي اخلي للحكمين مكان يجتمعان فيه مدة ثلاثة ايام ، فاقبل عمرو بن العاص على ابى موسى يقنعه بان يخلع علياً ، وهو يخلع معاوية ، فتنجو الامة من الفتنة وتحقق الدماء . فرضي ابو موسى بذلك .

واجتمع الناس يوم التحكيم في موضع يقال له اذرُح قرب
دومة الجندل ، فقام ابو موسى وقال : « ايها الناس ، انّا قد
نظرنا في امر هذه الامة ، فلم نرَ اصلح لامرها ، ولا أَلَمَ لشعبها
من أمرٍ قد جُمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو ان نخلع عليّاً
ومعاوية وتستقبل هذه الامة هذا الامر ، فيولوا منهم من
احبوا عليهم ، واني قد خلعت عليّاً ومعاوية ، فاستقبلوا
امرکم ، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الامر اهلاً . »

ثم تنحى ، واقبل عمرو ، فقام مقامه فحمد الله واثني عليه
وقال : « ان هذا قد قال ما سمعتم ، ونخلع صاحبه ، وانا
اخلع صاحبه كما خلعه ، واثبت صاحبي معاوية ، فانه وليّ عثمان
ابن عفان ، رضي الله عنه ، والطالب بدمه ، واحق الناس بمقامه . »
فاضطرب جيش علي لهذا الحكم ، وابى علي ان يدعن اليه ،
ففقل الى الكوفة ، ورجع معاوية الى دمشق .

الخوارج

لما جاء علي الكوفة انحاز عنه نحو من اثني عشر الفاً من
القرء وغيرهم ، وساروا الى حروراء ، وهي قرية بظاهر
الكوفة ، ثم عاثوا في المدائن سفاكين ، مجادرين بالعصيان ،
يرددون كلمتهم : لا حكم إلا لله ، مكفرين عليّاً ومعاوية ،

فقصدهم الامام بجيشه ، فالتقاهم في النهروان ، وكانوا اربعة
آلاف ، فاكثر فيهم التقتيل واثخن حتى قيل انه لم يفلت
منهم إلا عشرة .

مقتل الامام

• عاد علي الى الكوفة ، بعد واقعة النهروان ، وهمه الشاغل
معاوية واهل الشام ، فابن ابي سفيان لم يبرح يطالب بحقوقه ،
والسرايا من جيشه تقلق الامن ، وتثير الحواطر في الولايات
التي بايعت علياً ، وعليها رجال من عماله ، وكان ابلغها اثراً
مقتل محمد بن ابي بكر عامل الامام في مصر ، وكان معاوية
قد وجه عمرو بن العاص والياً من قبله على مصر سنة ثمان
وثلاثين ، في اربعة آلاف ، ومعه معاوية بن حُديج وابو الاعور
السلمي ، فخرج اليهم محمد في اصحابه ، فاقتتلوا زمناً ، ثم
انفزع عن محمد اصحابه وخذلوه ، فانهزم ، واختبأ في بعض
الدور ، فحاصروه فبرز اليهم ومن معه ، فقاتلهم حتى قتل ،
فلقنه ابن حُديج وابن العاص وغيرهما في جلد حمار ، وجعلوه
طعم النار ، وقيل انه فعل به ذلك ، وفيه شي من الحياة .
ولما بلغ الامام مقتله حزن عليه شديداً ، وولى مكانه الاشتر ،
وانفذه الى مصر في جيش ، فكتب معاوية الى دهقان بالعريش

من زعماء الفلاحين واصحاب الاملاك ، واوعز اليه ان يدس
السم للاشترا حين ينزل به ، وترك له خراج عشرين سنة . فلما
نزل الاشترا العريش قدم له الدهقان عسلاً مسموماً ، فشربه
على صيام وظماً ، فمات لساعته . ووصل خبره الى معاوية
فقال : « ان لله جنداً من العسل ! »

ولم تقع بين علي ومعاوية حروب بعد صفين إلا ما كان من
امر هذه السرايا ، حتى قُتل الامام في سنة اربعين ؛ وذلك انه
اجتمع بمكة قوم من الخوارج ، فتذاكروا فيما المسلمون عليه
من الحرب والفتنة ، فتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ومعاوية
وعمر بن العاص في يوم واحد ، ولكن لم يُقتل من هؤلاء
الثلاثة غير علي ، ونجا الآخران ؛ وقاتله عبد الرحمن بن ملجم ،
ضربه بسيف مسموم ، وهو في مسجد الكوفة يريد الصلاة ،
فمات بعد ثلاثة ايام فدفن بالكوفة ، ومدة خلافته من سنة ٣٥
— ٤٠ هـ (٦٥٦ — ٦٦١) .

نهج البلاغة

هو مجموعة من كلام الامام ، جمعها الشريف الرضي
الموسوي وانتهى من تأليفها سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) ، ووسمها
بهذا الاسم الذي هو خير ما يوسم به كلام امير المؤمنين ، سيد

البلغاء ، وحجة الفصحاء ، فجاءت مرتبة كما ذكر الشريف بقوله :
« ورأيت كلامه ، عليه السلام ، يدور على اقطاب ثلاثة :
اولها الخطب والاوامر ، وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها
الحكم والمواعظ . فأجمعت ، بتوفيق الله سبحانه ، على الابتداء
باختيار محاسن الخطب ، ثم محاسن الكتب ، ثم محاسن الحكم
والادب ، مفرداً لكل صنف من ذلك باباً ، ومفصلاً فيه
اوراقاً ، ليكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عن عاجلها ،
ويقع اليّ آجلاً . واذا جاء شيء من كلامه الخارج في اثناء
حوار ، او جواب سؤال ، او غرض آخر من الاغراض في
غير الانحاء التي ذكرتها ، وقررت القاعدة عليها ، نسبته الى أليق
الابواب به ، واشدها ملاحة لغرضه . وربما جاء فيما أختاره
من ذلك فصول غير منسقة ، ومحاسن كليم غير منتظمة ؛
لاني اورد النكت واللُحُوع ، ولا اقصد التتالي والنسق . » اه
على اننا رأينا ان نخالف هذا التنسيق تيسيراً لدراسة كلام
الامام بحسب اغراضه الخاصة ، وهي الدينيات ، وسياسة
الخلافة ، والاخلاق والاجتماع .

الدينيات

فيها حياة رجل افاض الله على نفسه من الورع والتقوى

ما شاء ، ومن الصلاح وحب الخير ما جعل منه واعظاً مرشداً
للناس يدعوهم الى حسن العبادة ، وطاعة الخالق ، ويحذرهم من
شهوات الدنيا وزخارفها ؛ فاذا هو ذلك الزاهد المتعبد الذي
يرى حلاوة الآخرة في مرارة الاولى ، ويكتفي من دنياه بطميره
ومن طعامه بقرصيه ؛ لم يغره مال ولا جاه ، فاعرض عنهما ،
وهما ملء يديه ؛ وارتضى التقشف والفقر ، فكان خليفاً بكنيته
ابي تراب ؛ فاعجب لها كنية المتربة والفاقة تلصق بابن عم النبي
وامير المؤمنين ! واعجب له خليفة لم تصعر خده الرئاسة ،
ولا ابطرتة عزة السلطان ! فظل على فطرته الكريمة ، رضي
الطباع ، حسن المخالقة ، وزاده الايمان تواضعاً ولين جانب ،
ونفوراً من الحياة الفانية ، وتطلعاً الى الحياة الباقية ؛ فليس
من زاد للانسان الا التقوى ، ولا نجاة له إلا باصلاح النفس
والتأهب ليوم البعث والنشور ؛ ولا يتم له ذلك إلا ببند الدنيا
الغرور ، والتحلي بصفات المتقين ، والتفكير في عظمة الخالق
وعجيب خلقه ، وفي الحياة والموت ويوم الحساب الرهيب ،
واحوال اهل الجنة ، واحوال اهل النار .

وتجلى بلاغة الامام ودقة اوصافه في الكلام على الله
وصفاته ، والسماء والارض والجنة والنار ، وعجيب خلق
الطاووس وبديع خلق الخفافيش ، بما حمل جماعة من النقاد

المتقدمين والمتأخرين على الشك في طائفة من هذه الأقوال ،
فرعموا انها منحولة ، واخافوا بعضها الى قوم من فصحاء
الشيعة ، وبعضها الآخر الى الشريف الرضي جامع الديوان .
لانهم رأوا في بعض خطبه ، من تنزيه الله عن الصفات ، ما قال
به اهل الاعتزال من بعده ، حتى ان ابن ابي الحديد ، في
شرحه له ، استند اليه في الرد على الاشعرية ، وتأيد آراء المعتزلة ،
فقال : « واما قوله : « وكما الاخلاص له نفى الصفات عنه »
فهو تصريح بالتوحيد الذي تذهب اليه المعتزلة ، وهو نفى المعاني
القديمة التي تثبت بها الاشعرية وغيرهم . قال عليه السلام : « لشهادة
أن كل صفة غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف انه غير
الصفة » وهذا هو دليل المعتزلة بعينه . » هـ .

وكذلك وجدوا في ذكر الطاووس والحفاش ما اثار شكوكهم
لدقة الوصف وتفصيله ، وما يقتضي له من الاطلاع على العلوم
الطبيعية التي لم تكن معروفة في عصر الامام . على ان هذا لم يخرج
عن نطاق الشك ، وقد يقبل الاعتراض من جهة ان الامام في تنزيه
الله قصد الى نفى صفات المخلوقين عنه ، وقد ذكر ذلك
الراوندي بقوله : « فانه ، عليه السلام ، قد اثبت لله تعالى صفة
اولاً حيث قال : « الذي ليس لصفته حد محدود » فوجب ان
يحمل كلامه على ما يتنزه عن المناقضة . وايضاً فانه قد قال

فما بعد في صفة الملائكة انهم لا يصفون الله تعالى بصفات
المصنوعين ، فوجب ان يحمل قوله الآن : « وكال توحيد نفي
الصفات عنه » على صفات المخلوقين حملاً للمطلق على المقيد . اهـ .
وكذلك حمل الشك على الاوصاف الدقيقة للخفاش
والطاووس وسواهما ، يعارضه ما جاء في كلام العرب من
صفات انواع الحيوان وذكر احواله ، مما يدل على ان هذه
الأشياء معروفة عندهم ، لما هم عليه من حياة الفطرة التي تجعلهم
على اتصال بالطبيعة : جمادها وحيوانها ونباتها .

• سياسة الخلافة .

لم يكن زهد علي في الدنيا ، ونفوره من غرورها ليحملة
على الانقطاع عن العالم شأن النساء في الصوامع ، فان القرآن
لم يدع المسلمين الى الحياة المتوحدة ، ولا ندبهم للرهبانية
والامتناع عن الزواج ، فلا ينبغي ان ينظر في زهد الامام الى
هذه النواحي ، كما ينظر اليها في زهد راهب متبتل . ثم ان
ابن ابي طالب كان له من الايمان الوثيق بحقه في الخلافة ، ما
دفعه الى الذود عنه ، ومقاتلة المعتدين عليه ، بسيفه ولسانه ،
لانه حق مقدس لا يجوز ان ينكل عنه ابن عم النبي وصهره ،
واقرب الناس اليه ، بعدما بايعوه على الامامة ، وأناطوا به

امارة المؤمنين ، وفيها ملتقى الدنيا والدين . فجاءت خطبه
 واقواله وكتبه إلى معاوية ناطقة بحقه ، مدافعة عنه ، بما أُوتي
 من البلاغة والحجج والبراهين وقوة المنطق ؛ بصورةً لحياته
 السياسية ، وما مر به من الازمات النفسانية والاجتماعية منذ
 وفاة الرسول الى اواخر أيامه . فقد كان يتوقع ان تصير اليه
 البيعة ، ويجمع المهاجرون والانصار امرهم عليه ، فخاب ظنه ،
 وشعر بالحزن والالم يوم بويع ابو بكر ، ثم يوم بويع عمر ، ثم
 يوم بويع عثمان . ولكنه كان يصبر على مضض ، ويسكت عن طلاب
 حقه حذراً من الشقاق والفتنة . واذا بالحبية تعاوده في بدء خلافته ،
 فيتذكر له طلحة والزبير بعدما بايعاه ، وتضرم الحرب عليه
 ام المؤمنين ، فيشعر بالحزن والالم ، في موقعة الجمل ، ثم في
 موقعة صفين ، ثم في حمله على قبول التحكيم مكرهاً ،
 وفرض ابي موسى الاشعري عليه ، ثم في نتيجة التحكيم ،
 وثورة الخوارج من اصحابه . وظل دريئة لامواج الحزن والالم ،
 بقية عمره ، حتى التف عليهما كفه بسيف الخائن ابن ملجم .
 فحياة الامام ، بعد النبي ، سلسلة من الحبية والحزن والالم
 متصلة الحلقات ، فقير عجيب ان تصطبغ بالوانها آراؤه
 السياسية ، ويتعشاها شيء من التشاؤم المرير ، فيبدو فيها
 مغلوباً على امره ، مع ما لديه من وسائل الدفاع عن حقه .

ينتصر في البصرة على اصحاب الجمل ، فتحزنه قتلاهم ، كما يحزن
لمقتل رجاله ، ويعزّز عليه ان يرى عدوه طلحة مخرجاً بدمائه ،
فيرثه متأثراً لفقده . ويدعو معاوية للدخول في بيعته ، دون
ان يثبت في امارته لانه يكره المداينة ، ومكر السياسة ،
فابى ان يعمد الى الخديعة ، فيطمعه بالولاية حيناً حتى يدخله في
طاعته . فجنت عليه صراحته ، واخفق في مفاوضته ، فلم يرَ
بدّاً من الحرب ، فانتصر عليه في صفين ، وعلت كلمته ، في
الرسائل التي تبادلها ، زمن المواقعة . ثم جاءت النتيجة عليه
لا له ، وغلب على امره في التحكيم .

وكان اصحابه ، من اهل العراق ، مؤمنين كل الايمان بانه
على حق ، وان معاوية على باطل ، ومع ذلك نسمعه يتشكى
تقصيرهم وقعودهم ، ويصرخ متألماً : « يا اشباه الرجال ، ولا
رجال ! . . » ويؤثر عليهم اصحاب معاوية ، متيناً ان يكون
له من امثالهم . ورجاله هم الذين حملوه على قبول التحكيم ، ثم
لاموه ، وطلبوا منه ان يرجع عنه بعدما رضي به مغلوباً
على امره . ونحن نشعر معه بالالام والحيرة ، عندما يحاول
اقناعهم واظهار خطئهم ، والقاء التبعة عليهم ، وهم بمعون في
عنادهم لا يقتنعون ، حتى خرجوا عن طاعته وثاروا عليه ؛
فاضطر الى قتالهم وتقتيلهم ؛ ثم قتلوه .

الاخلاق والاجتماع

ويشتمل هذا الباب على كلام الامام في الناس والدنيا ، واحوالهم فيها واغترارهم بها ، وما له في المرأة من آراء لا تخلو احياناً من العنف عليها ، لتأثره بما جاء في القرآن والتوراة عن كيدها ، وخداع الام الاولى للاب الاول ؛ وما جاء في الحديث من ان اكثر النساء حطب جهنم ، لانهن يكثرن الشكاة ويكفرن العشير ؛ وهو الى ذلك متأثر بعصره ونظرة الى المرأة ، ثم بما ناله من الاذى في تحريض ام المؤمنين واجلابها عليه . فالمرأة عنده شر كلها ؛ ولكن تشاؤمه بها لا يقوده الى كره الزواج وتمني انقطاع النسل كما قاد ابا العلاء المعري من بعده ، فان له من الورع والتقوى وحب الخير للانسان ما يبعده عن رأي المتشائم المعطل ، فنسمعه يتبع حكمه عليها بقوله : « وشر ما فيها انه لا بد منها . »

ثم كلامه على ولاية الامور وفيه نصائح للخلفاء قبله ، وكتبه وعهوده لعماله على الولايات ، وما يوصيهم به من حسن معاملة الرعية ، والحفاظ على بيت المال ؛ ويعتف اصحاب البذخ والاسراف منهم ويهددهم ؛ ويشدد على ابن عمه عبد الله ويعزله عن عمله ، لانه استأثر بمال الامة وجعله في حوزته .

وحسبك من ذلك كله عهده للاشترا النخعي حين ولاه على مصر ،
فانه آية في الابداع ، وحسن البلاغ في سياسة الرعية ،
واختيار الوزراء والقضاة والقواد والكتّاب ، وتفقّد الخراج ،
والنظر في شؤون التجار وذوي الصناعات واصحاب الحاجات .
ثم آراؤه في الصداقة والعداوة ، والعلم والجهل ، والغنى
والفقر ، ومعرفة النفس وتأديبها ، ومحاسن الاخلاق ومساوئها ؛
واكثرها من الامثال السائرة ، وجوامع الكلم .

الدّينيّات

116. 0. 116.

صفات الله وعجيب خلقه

خلق السماء والارض

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعماءه
العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون . الذي لا يدركه بُعد
الهمم ولا يناله غوص الفطن . الذي ليس لصفته حد محدود ،
ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل ممدود . فطر
الخالق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته ، وتبد بالصخور ميدان
أرضه^١ . أول الدين معرفته^٢ ، وكمال معرفته التصديق به ،
وكمال التصديق به توحيدُه ، وكمال توحيدِه الاخلاص له ،
وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه : لشهادة كل صفة أنها غير

١ وتد وتشد التاء : ثبت . الميدان : التحرك والاضطراب .

٢ معرفته : اي معرفة الله .

الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة^١ . فمن
وصف الله سبحانه فقد قرّنه ، ومن قرّنه فقد ثنّاه ، ومن
ثنّاه فقد جزّأه ، ومن جزّأه فقد جهله^٢ ، ومن جهله فقد أشار
إليه^٣ ، ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن
قال : فيمّ؟ فقد ضمّنه ، ومن قال : علام^٥؟ فقد أدخل منه^٦ .
كأن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم ، مع كل شيء

١ نفى الصفات عنه : يذهب ابن أبي الحديد في شرحه الى ان هذا الكلام
تصريح بالتوحيد الذي تقول به المعتزلة . وهو نفى المعاني القديمة التي تثبت
الاشعرية . وما جاء بعده من شهادة كل صفة وكل موصوف هو دليل
المعتزلة بعينه . اما الشيخ محمد عبده فيرى ان الامام علياً اراد نفى
الصفات الظاهرة في التينيات المشهودة في الشخصات . لان معرفة الذات
الاقنوس في نحو تلك الصفات اعتبار للذات ولشيء آخر مغاير لها ، فيكون
قد عرف مسمى الله مؤلفاً لا متوحداً . فالصفات المنفية هي صفات
المصنوعين ، اي المخلوقين . ويتفق الشيخ في استنتاجه هذا مع الراوندي .
٢ جهله : لانه اعتقد فيه خلاف ما هو به ، عندما قرّنه بغيره من الماديات
وجزّأه .

٣ اشار اليه : لانه جمعه محدوداً في مقارنته وتثنيته وتجزئته . والمحدود يصح
ان يشار اليه .

٤ فيم : أي جمعه في شيء .

٥ علام : أي جمعه على شيء .

٦ أدخل منه : اي ان من تصور الله على شيء بعينه ، كالكرسي او العرش ،
جعل غير هذا الشيء خالياً منه . وهو حصر وتحديد لله كما لا يخفى .

لا بمقارنة ، وغير كل شيء لا بمزايلة^١ ، فاعل لا بمعنى الحركات
والآلة ، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه^٢ ، متوحد إذ لا
سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده .

أنشأ الخلق إنشاءً ، وابتدأه ابتداءً ، بلا رويّة أجاهلها^٣ ،
ولا تجربة استفادها ، ولا حركة أحدثها ، ولا همّامة نفس^٤
اضطرب فيها ، أحال الأشياء لأوقاتها ، ولا مّ بين مختلفاتها
وعرّز غرائزها وألزمها أشباحها^٥ ، عالماً بها قبل ابتدائها ،
محيطاً بمحدودها وانتهائها ، عارفاً بقرائنها وأحنائها^٦ .
ثم أنشأ سبحانه فتقّ الأجواء^٨ وشقّ الأرجاء^٩ ،

١ المزايلة : المفارقة والمباينة ، وتحصل في مكان أو زمان ، والله منزّه عنهما .
٢ يريد أن الله بصير قبل وجود المنظورات من خلقه ، أي هو في حالة
يصح منه ادراك المنظورات إذا وجدت . هذا على مذهب المعتزلة . أو
هو بصير بأحوال الخلق قبل وجودهم .
٣ الروية : الفكر . أجاهلها : ادارها ورددتها ، ورويت أجاهلها : أي
صرفها .

٤ همّامة النفس : أي اهتمامها بالامر وترددتها .

٥ أحال الأشياء : ادارها وأتمها .

٦ أشباحها : أي اشخاصها .

٧ أحنائها : جوانبها .

٨ الأجواء : جمع جو .

٩ الأرجاء : الجوانب .

وسكائك^١ الهواء؛ فأجرى فيها ماءً متلاطِماً تَسَارُهُ، متواكِماً زَخَّارُهُ. حملته على مَتَنِ الرِّيحِ العاصفة، والزَّعْزَعِ القاصفة. فأمرها برده^٢، وسلَّطها على شدَّة، وقرَّنها إلى حدَّة^٣. الهواء من تحتها قَتِيقٌ، والماء من فوقها دَفِيقٌ. ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتنق مَهَبَها، وأدام مُرَبَّها، وأعصف مجراها، وابعده منشاها، فأمرها بتصفيق الماء الزَّخَّار، وإثارة موج البحار، فمخَضَّتْهُ تَحْضُ السَّقاء^٤، وعصفت به عصفتها بالفضاء. تردُّ أوَّلُه إلى آخره، وساجِيَه إلى مائِه^٥. حتى عبَّ عُبَابُه^٦ ورمى بالزَّبْدِ رُكامُه، فرفعه في هواءٍ مُنْفَتِقٍ، وجوٍّ مُنْفَتِقٍ^٧؛

-
- ١ السكائك : جمع سكاكة ، وهي الهواء الملاقي عنان السماء .
 ٢ برده : أي برده عن السقوط والانحدار .
 ٣ وقرنها إلى حده : أي جعل حد الريح ، أي سطحها ، ملازماً حد الماء ، أي سطحه الذي تحمله .
 ٤ اعتنق مهبها : أي جعل هبوبها عقيماً ، والريح العقيم هي التي لا تلحق سحاباً فيمطر ، ولا شجراً فيثمر . ذلك بأن الخالق أنشأها لنمويع الماء فقط .
 ٥ مربها : ملازمها ، من ارب بالمكان : لازمه .
 ٦ السقاء : جلد السخلة ، يجعل منه وعاء لبن والماء . والمخض : التحريك والتقليب .
 ٧ الساجي : الساكن ، وعكسه المائر .
 ٨ عب عبابه : ارتفع اعلاه .
 ٩ المنفق : المفتوح الواسع .

فسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مُوجَّاتٍ مَكْفُوفَاتٍ ،
وَعُلَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا ، وَسَمَكًا مَرْفُوعًا ، بَغِيرَ عَمَدٍ
يَدْعُمُهَا ، وَلَا دِسَارٍ^١ يَنْظِمُهَا . ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ،
وَضِيَاءِ الثَّوَابِقِ^٢ ، وَأَجْرَى فِيهَا سَرَجًا مُسْتَطِيرًا^٣ ، وَقَمَرًا
مَنِيرًا ، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ^٤ مَائِرٍ .

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ
مَلَائِكَةٍ . مِنْهُمْ سَجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَضِبُونَ ،
وَصَافُّونَ لَا يَتَوَابِلُونَ ، وَمُسْبِحُونَ لَا يَسْأَمُونَ . لَا يَغْشَاهُمْ
نَوْمُ الْعَيْنِ ، وَلَا سَهْوُ الْعَقُولِ ، وَلَا فِتْرَةُ الْإِبْدَانِ ، وَلَا غَفْلَةُ
النَّسْيَانِ . وَمِنْهُمْ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ ،
وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ . وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ ، وَالسَّدَنَةُ^٥
لِلْأَبْوَابِ جَنَّاتِهِ . وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ ،
وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ

١ الدسار : المسامير .

٢ الثوابق : النيرة المشرقة .

٣ مستطيراً : منتشر الضوء ، واران به الشمس .

٤ الرقيم : اللوح شبه به الفلك .

٥ مختلفون : أي يذهبون مترددين الى اهل الارض .

٦ السدنة : خدمة الاماكن المقدسة .

أركانهم^١ ، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم . فأكسة^٢ دونه
 أبصارهم ، متلفعون^٣ تحته بأجنحتهم ، مضروبة^٤ بينهم
 وبين من دونهم حجب العزة ، وأستار القدرة . لا يتوهمون
 ربهم بالتصوير ، ولا يحجرون عليه صفات المصنوعين ، ولا
 يحدونه بالاماكن ، ولا يُشيرون إليه بالنظائر .

صفة خلق آدم عليه السلام

ثم جمع سبحانه من حزن^٥ الأرض وسهلها ، وعذبها
 وسببخها ، تربة سنها^٦ بالماء حتى خلصت^٧ ، ولاطها^٨ بالبلية
 حتى لزبت^٩ ، فجبل منها صورة ذات أحناء^{١٠} ووصول ،
 وأعضاء وفصول . أجمدها حتى استمسكت ، وأصلدها حتى

١ الأركان : الاعضاء والجوارح .

٢ متلفعون : أي مستترون .

٣ الحزن : ضد السهل .

٤ السبخ من الأرض : ما كان فيها نزول .

٥ سنها بالماء : أي تعهد بها ، وصقلها .

٦ خلصت : أي صفت من الكدرة .

٧ لاطها : طينها وأصلحها .

٨ لزب الطين : صلب ولزق ودخل بعضه في بعض .

٩ الأحناء : الجوانب .

صَلَّصَتِ الْوَقْتَ مَعْدُودَ وَامِدْ مَعْلُومٌ . ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ
فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُحِيلُهَا ، وَفَكَرَّ يَتَصَرَّفُ بِهَا ، وَجَوَارِحُ
يَخْتَدِمُهَا ، وَادَوَاتُ يُقَلِّبُهَا ، وَمَعْرِفَةٌ يَفَرِّقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ ؛ مَعْجُونًا
بَطِينَةَ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ ،
وَالْإِخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ : مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَالْبَلِيَّةِ وَالْجُمُودِ .
وَاسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ^٢ لَدَيْهِمْ ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ
إِلَيْهِمْ ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَالْحُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ .
فَقَالَ سُبْحَانَهُ : اسْجُدُوا لِآدَمَ ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ
الْحَمِيَّةُ ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ ، وَتَعَزَّزَ بِخَلْقَةِ النَّارِ ، وَاسْتَوْهَنَ
خَلْقَ الصَّلَاحِ . فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظِيرَةَ^٣ اسْتِحْقَاقًا لِلسُّخْطَةِ ،
وَاسْتِمَامًا لِلْبَلِيَّةِ ، وَانْجَازًا لِلْعِدَةِ ؛ فَقَالَ : إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ
إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ .

ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشُهُ ، وَآمَنَ فِيهَا
مَحَلَّتُهُ ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ . فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ ؛

١ صَلَّصَتِ : بَيَّتَ أَيَّ صَارَتْ صَلَاحًا .

٢ اسْتَأْدَى وَدِيعَتَهُ : طَلَبَ إِدَاءَهَا . وَالْوَدِيعَةُ هُنَا عَهْدُهُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ بِأَنْ
يَسْجُدُوا لِآدَمَ .

٣ النَّظِيرَةُ : الْأَمْثَالُ .

٤ نَفَاسَةً عَلَيْهِ : أَيَّ حَسَدًا لَهُ .

بدار المقام ومُرافقة الابرار . فبباع اليقين بشكته ،
والعزيمة بوهنه ، واستبدل بالجدل^١ وجلاً ، وبالاغترار ندماً .
ثم بسط الله سبحانه له في توبته ، ولقائه كلمة رحمة ، ووعد
المردَّ إلى جنّته . وأهبطه إلى دار البليّة ، وتنازل الذرّيّة .
واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم^٢
وعلى تبليغ الرّسالة أمانتهم ، لما بدّل أكثر خلقه عهد الله
إليهم ؛ فجعلوا حقّه واتّخذوا الأنداد^٣ معه ، واجتالّتهم^٤؛
الشياطين عن معرفته ، واقتطعتهم عن عبادته . فبعث
فيهم رُسله ، وواتره إليهم أنبياءه ، ليستأدوهم ميثاق
فطرته^٥ ، ويذكّروهم منسى نعمته ، ويحثّجوا عليهم بالتبليغ ،
ويثيروا لهم دفائن العقول ، ويؤوّههم الآيات النّقدرة : من
سقف فوقهم مرفوع ، ومهاد تحته موضوع^٦ ، ومعاش

١ الجدل : الفرح .

٢ اخذ على الوحي ميثاقهم : اي اخذ ميثاقهم على تبليغ وحيه .

٣ الانداد : الامثال ، اي جعلوا له امثالا يعبدونها .

٤ اجتالّتهم : ادارتهم ، اي شغلّتهم واهتهم .

٥ واطر : تابع ، او لا تكون المواطرة الا اذا وقع بين الاشياء فترة .

٦ ميثاق الفطرة : هو عهد الله الى خلقه بان يعرفوه ، ويعبدوه دون
غيره . فكأنه جعل في فطرتهم ادلة معرفته وتوحيده .

٧ السقف : اي السماء . المهاد : اي الارض .

تحييهم ، وآجال تُفنيهم ، وأوصاب تُهرمهم ، وأحداث تتابع عليهم ؛ ولم يُخلِ سبحانه خلقه من نبيٍّ مُرسل ، أو كتاب مُنزل ، أو حجة لازمة ، أو حجة قائمة : رُسلٌ لا تُقصر بهم قلةٌ عددهم ، ولا كثرةُ المكذّبين لهم ، من سابقِ سُمِّي له من بعده ، أو غابرِ عرفه من قبله .

على ذلك نُسلت القرون ، ومضت الدُّهور ، وسلفت الآباء ، وخلفت الأبناء ، إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسولاً لله ، صلى الله عليه وسلم ، لإنجاز عِدته^٢ وتمام نبوته^٣ ، مأخوذاً على التَّبيين ميثاقه ، مشهورة سِمائه^٤ ، كريماً ميلاده ، وأهل الأرض يومئذٍ ملأ^١ مُتفرقةً ، وأهواء مُنتشرة ، وطوائف مُتشتتة ، بين مُشبّه لله بخلقهِ ، أو ملحدٍ في اسمه ، أو مشيرٍ إلى غيره . فهداهم به من الضلالة ، وأنقذهم بملكه من الجبالَةِ .

ثم اختار سبحانه لمحمّد ، صلى الله عليه وسلّم ، لقاءه ، ورضي له ما عنده ، وأكرمه عن دارِ الدنيا ، ورغب به

١ المحجة : الطريق القويم الواضح .

٢ عِدته : أي وعد الله بأرساله .

٣ نبوته : الضمير يعود على الرسول .

٤ سمائه : أي علاماته في كتب الانبياء السابقين .

عن مقارنة البلوى ؛ فقبضه إليه كريماً ، صلى الله عليه وآله ،
 وخلف فيكم ما خلقت الأنبياء في أممها ، إذ لم يتروكوهم
 هملاً ، بغير طريق واضح ، ولا علم قائم ، كتاب ربكم
 فيكم ، مبيناً حلاله وحرامه ، وفرائضه وفضائله ،
 وناسخه ومنسوخه ،^٢ ورخصه وعزائمه ،^٣ وخاصه وعامه ،
 وعبرة وأمثاله ، ومرسله ومحدوده ،^٤ ومحكمه ومتشابهه ،^٥
 مفسراً مجمله ، ومبيناً غوامضه ، بين مأخوذ ميثاق في
 علمه ، وموسّع على العباد في جهله ؛ وبين مثبت في
 الكتاب فرضه ، ومعلوم في السنة نسخه ،^٦ وواجب في

-
- ١ فضائله : أي نوافله ، يستحسن عملها ، ولا يجب كالفرائض .
 - ٢ النسخ من الآيات : أن ترد آية متأخرة ، فتزيل حكم آية متقدمة ،
 فالآية المتقدمة هي المنسوخة .
 - ٣ الرخص : جمع الرخصة ، وهي ترخيص الله للعبد فيما يخففه عليه . العزائم :
 الواجبات ، وأحدثها عزيمة .
 - ٤ المرسل : المطلق . المحدود : المقيد .
 - ٥ المحكم من الآيات : ما لا يحتاج سامعه إلى تأويله لبيانه . المتشابه من
 الآيات : ما فيه التباس ، فلا يتلقى معناه من لفظه ، وهو على ضربين :
 أحدهما إذا رد إلى المحكم عرف معناه ، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة
 حقيقته .
 - ٦ مثبت في الكتاب فرضه ، ومعلوم في السنة نسخه : قال ابن أبي الحديد :
 مثاله قوله تعالى « فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت » نسخ بما
 سنه عليه السلام من رجم الزاني المحصن .

السُّنَّةُ أَخَذَهُ ، وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ ^١ ، وَبَيْنَ
وَأَجَبٍ بَوَاقِيهِ ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ ^٢ . وَمُبَايِنٌ ^٣ بَيْنَ مُحَارِمِهِ :
مَنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ ، أَوْ صَغِيرٍ أُرْصِدَ لَهُ غَفْرَانَهُ .
وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَذْنَاهُ ، مُوسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ ^٤ .

١ واجب في السنة اخذه ، ومرخص في الكتاب تركه : قال الشيخ محمد

عبده : المرخص في الكتاب تركه ما لم يكن منصوباً على عينه ، بل
ذكر في الكتاب ما يشتمله وغيره كقوله : فاقراءوا ما تيسر منه . وقد
عينته السنة بصورة مخصوصة في كل ركعة ، فوجب الاخذ بما عينته السنة .

٢ واجب بوقته ، وزائل في مستقبله : مثل صوم رمضان .

٣ مبين : أي هو مبين ، وليس معطوفاً على ما قبله ، لانه لا يحتمل ضدَّين
كغيره مما مر قبله ، فيكون في القرآن مبين بين محارمه وغير مبين .
والمراد انه مخالف بين محارمه ، فمعناها الكبيرة التي أوعد الله عليها بالعقاب ،
ومعناها الصغيرة المغفورة .

٤ المقبول في ادناه ، الموسع في اقصاه : قال ابن أبي الحديد : مثل قوله :
فاقرأوا ما تيسر منه ، فان القليل من القرآن مقبول ، والكثير منه
موسع مرخص في تركه .

خطبة الاشباح ١

وهي من جلائل خطب الامام ، وذلك ان رجلاً اتاه فقال : يا امير المؤمنين ، صف لنا ربنا مثل ما نراه عياناً ، لنزداد له حباً وبه معرفة . فغضب ونادى الصلاة جامعة ، فاجتمع اليه الناس حتى غص مسجد الكوفة باهله ، فصعد المنبر ، وهو مغضب متغير اللون ، فقال :

الحمد لله الذي لا يَفْرُهُ^٢ المنع والجمود^٣ ، ولا يكديه^٤ الاعطاء والجود ؛ إذ كلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سواه ، وكل مانع مذمومٌ ما خلاه ، وهو المَنَّانُ بفوائد النعم ، وعوائد المزيد والقِسَمِ ، عِيَالُهُ الخَلْقُ ، ضَمِينُ أَرْزَاقِهِمْ ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ ، وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسَأَلْ . الاولُ الذي لم يكن له قَبْلُ فيكونَ شيءٌ قَبْلَهُ ؛ وَالْآخِرُ الذي ليس له بَعْدُ فيكونَ شيءٌ بَعْدَهُ . وَالرَّادِعُ أَنَا سِيَّ الابْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تَدْرَكَهُ ،

١ الاشباح : اي الملائكة ، لان الخطبة تتضمن ذكرهم .

٢ يفره : يزيد في ماله .

٣ الجمود : اشد البخل .

٤ يكديه : يفقره .

ما اختلف عليه^١ دهرٌ فيختلف منه الحال^٢ ، ولا كان في مكانٍ فيجوز عليه الانتقال^٣ .

ولو وهب ما تنقست عنه معادن الجبال ، وضحكت عنه أهداف البحار ، من فلز اللجين والعقيان^٤ ، ونشارة الدرّ وحصيد المرجان ، ما أثر ذلك في جوده ، ولا أنقذ سعة ما عنده ، ولكان عنده من ذخائر الانعام ما لا تنفده مطالب الانام ، لأنه الجواد الذي لا يغيضه^٥ سؤال السائلين ، ولا يبخله إلحاح الملحين .

فانظر أيها السائل ، فما ذلك القرآن عليه من صفته فأتم به ، واستضىء بنور هدايته ، وما كلّفك الشيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه ، ولا في سنة النبي ، صلى الله عليه وآله ، وأئمة الهدى ، أثره ؛ فكلّ علمه إلى الله سبحانه ؛ فإنّ ذلك منتهى حق الله عليك . واعلم أنّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم ، عن اقتحام الشدّة المضروبة دون الغيوب ، الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من

١ اختلف عليه : تردد عليه ، او تغير .

٢ الفلز : جواهر الارض . اللجين : الفضة . العقيان : الذهب الخالص .

٣ يغيضه : ينقصه .

٤ السدد : جمع سدة ، وهي الرّاج .

الغيب المحجوب . فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما
لم يُحيطوا به علماً ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكتفهم
البحث عن كنهه رؤسوخاً ؛ فاقصر على ذلك ، ولا تُقدر
عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين .

هو القادر الذي إذا اومت الأوهام لتُدرِك مُنقطع^١
قدرته ، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوسوس أن
يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته ، وتولت القلوب
إليه لتجري في كيفية صفاته ؛ وعمضت مداخل العقول
في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ؛ ردعها
وهي تجوب مهاوي سدف^٢ الغيوب مُتخلصة إليه ، سبحانه ،
فرجعت إذ جُبهت مُعترفة بأنه لا يُنال بجور الاعتساف^٣
كنه معرفته ، ولا تخطر ببال أولي الرويات خاطرة من
تقدير جلال عزته .

الذي ابتدع الخلق على غير مثال أمثله ، ولا مقدار احتذى
عليه ، من خالق معهود كان قبله ، وأرانا من ملكوت
قدرته ، وعجائب ما نطق به آثار حكمته ، واعتراف

١ المنقطع : المنتهى .

٢ السدف ، جمع سدفة : قطعة الليل المظلم .

٣ الجور : العدول عن الطريق . الاعتساف : قطع المسافة على غير جادة .

الحاجة من الخلق إلى أن يُقِيمَهَا بِمَسَاكٍ^١ قُوَّتِهِ ، ما دلَّنا
 باضطرار قيام الحجة له على معرفته . وظهرت في البدائع
 التي أحدثها آثارُ صنْعته وأعلامُ حكمته ، فصار كلُّ ما خلق
 حجةً له ودليلاً عليه . وإن كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبير
 ناطقة ، ودلالته على المبدع قائمة .

وأشهد أن من شبَّهك بتباين أعضاء خلقك ، وتلاحم
 حقائق مفاصلهم المحتجة^٢ لتدبير حكمته ، لم يعقد غيب
 ضميره على معرفتك ، ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا ند لك .
 وكأنه لم يسمع تبرؤ التَّابِعِينَ من المتبوعين^٣ إذ يقولون :
 تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسوِّيكُم ربَّ العالمين .
 كذبَ العادلون بك ، إذ شبَّهوك بأصنامهم ، ونخلوك حلية
 المخلوقين بأوهامهم ، وجزأوك تجزئة المجسَّمات بخواطهم ،
 وقدَّروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائع عقولهم . وأشهد
 أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك ، والعاذل

١ المساك : ويكسر ، ما به يمسك الشيء وبمعهم .

٢ الحقائق ، جمع حق بالضم : رأس العظم عند المفصل . المحتجة : ورويت
 المحتجة .

٣ التابعين : أي الكفار الذين في النار . المتبوعين : الشياطين الذين اغووه .

٤ العادلون بك : الذين جعلوا لك عديلاً ، أي نظيراً .

بك كافر^١ بما تنزلت به محكمات آياتك ، ونطقت عنه شواهد^٢
 حجج بيناتك ؛ وأنت الله الذي لم تتناه^٣ في العقول
 فتكون في مهب فكرها مكيفاً ، ولا في رويات^٤
 خواطرها فتكون محدوداً موصفاً .

ومنها :

قدّر ما خلق فألطف تقديره ، ودبره فأحكم تدبيره ،
 ووجهه لوجهه فلم يتعدّ حدود منزلته ، ولم يقصّر دون
 الانتهاء إلى غايته ، ولم يستعصب إذ أمر بالمضي على إرادته^٥ ؛
 وكيف ، وإنما صدرت الأمور عن مشيئته ؟ المنشئ أصناف
 الأشياء بلا رويّة فكر آل^٦ إليها ، ولا قريحة غريزة أضمر
 عليها ، ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور ، ولا شريك
 أعانه على ابتداء عجائب الأمور . فتمّ خلقه وأذن لطاعته ،
 وأجاب إلى دعوته ، ولم يعترض دونه ريث المبطيء ولا

١ وأنت : أي واشهد أنك .

٢ لم تتناه : أي لم تكن محدوداً كالأشياء المتناهية ، لتحيط بك العقول .

٣ إرادته : أي إرادة الله .

٤ آل : رجع .

٥ دونه : أي دون خلقه . الريث : الإبطاء .

أَنَاةُ المَلَكِيِّ^١ . فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا^٢ ، وَنَهَجَ حُدُودَهَا ،
وَلَاغَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا ، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِشِهَا^٣ .
وَفَرَّقَهَا أَجْنَاسًا مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ وَالْفَرَائِزِ
وَالْهَيْئَاتِ ، بِدَايَا^٤ خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا ، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا
أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا .

منها في صفة السماء :

وَنَظَّمَ بِلَا تَعْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرْجِيهَا^٥ ، وَلَا حَمَّ صُدُوعَ
انْفِرَاجِيهَا ، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِيهَا^٦ . وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ
بَأَمْرِهِ ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ ، حُزُونَةَ مَعْرَاجِيهَا^٧ .

١ الأناة : الانتظار .

٢ اودها : اعوجاجها .

٣ الاسباب : الجبال . القرائن : النفوس ، اي وصل جبال النفوس
المفارقة للعادة بالاجسام المادية .

٤ بدايا : جمع بديء ، اي مصنوع .

٥ رهوات : جمع رهوة ، وهي المكان المرتفع والمنخفض ، من الاضداد .
الفرج ، جمع فرجة : المكان الخالي .

٦ وشج : شبك . ازواجها : اقربانها واشباها .

٧ الحزونة : ضد السهولة .

فادأها بعد إذ هي دُخانٌ فالتحمت عُرَى أَشْرَاجِهَا^١ . وقتقَ
 بعد الارتقاق صوامتَ أَبْوَابِهَا^٢ ، وأقام رَصْدًا من الشَّهْبِ
 الثَّوَابِقِ على نِقَابِهَا^٣ . وأمسكها من أن تمورَ في خرقِ
 الهواءِ بِأَيْدِيهِ^٤ ، وأمرها أنْ تقفَ مُستسلمةً لأَمْرِهِ^٥ ، وجعل
 شمسَهَا آيةً مبصرةً لنهارِها ، وقمرَهَا آيةً ممحوةً من
 ليلِهَا^٦ ، فأجراها في مناقلِ مجراها ، وقدرَ سيرَها في
 مدارجِ درَجِهَا^٧ ، ليميزَ بين الليلِ والنهارِ بهما ، وليعلم
 عددُ السَّنينِ والحسابُ بمقاديرِهما . ثمَّ علَّقَ في جوِّها فلكَها ،
 وناطَ بها زينَتها : من خفِّياتِ دراريهَا^٨ ومصابيحِ كواكبِهَا ؛
 ورمى مُستوفي السَّمْعِ بثوابِقِ شُهْبِهَا^٩ . وأجراها على

١ الاشراج : جمع شرج بالتحريك ، وهو العروة .

٢ صوامت : اي لا فراغ فيها .

٣ النقاب : جمع نقب ، وهو الخرق .

٤ تمور : تتحرك وتضطرب . خرق الهواء : هبوبه . بأيديه : بقوة .

٥ محوطة : لان القمر يغيب في بعض الليالي ، ويمحق في بعضها الآخر .

وهذا وما قبله في كلامه على الشمس ، مأخوذان من القرآن .

٦ الدراري : الكواكب .

٧ الثواب : الشديدة الاضاءة والتلألؤ . يشير الى ما ذكر القرآن من ان

الشياطين يقذفون بالشهب من كل جانب ، اذا حاولوا الاستماع الى
 الملائكة الاعلى .

أَذْلَالِ تَسْخِيرِهَا^١ مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا ، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا ، وَهَبْوَطِهَا
وَصُعُودِهَا ، وَنَحْوسِهَا وَسُعُودِهَا^٢ .

ومنها في صفة الملائكة :

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ
الْأَعْلَى^٣ مِنْ مَلَكُوتِهِ ، خَلَقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، مَلَأَ بِهِمْ
فُرُوجَ فِجَاجِهَا ، وَحْشًا بِهِمْ فَتَوَقَّ أَجْوَانُهَا . وَبَيْنَ فِجَاجَاتِ
تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حِطَائِرِ الْقُدْسِ ،
وَسُبُّرَاتِ الْحُجُبِ ، وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ . وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجَبِ
الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ 'سُبُحَاتُ' ، نُورٌ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ
بُلُوغِهَا ، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا .

أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ ؛ أُولَى

١ على أذلال تسخيرها : أي على طريقه ووجوهه . واحدها ذل بالكسر ،
وهو حجة الطريق .

٢ نحوسها وسعودها : للإمام حديث يجعل فيه المنجم في النار كالكافر ، فهو
على ذلك ينكر أن يكون النجوم تأثير نحس أو سعد في الأمور الجزئية
كالوليد والاسفار ونحوها . والظاهر أنه أراد هنا تأثيرها الطبيعي الكلي
في القحط والمطر والبرد والحر كما نبه على ذلك ابن أبي الحديد .

٣ الصفيح الأعلى : أي سطح الفلك الاعظم .

٤ السبحات : أضواء وجه الله ، ومحاسنه وجلاله .

أجنحة تسبح جلال عزته ، لا ينتحلون ما ظهر في الخلق
من صنعته ، ولا يدعون أنهم يخلقون شيئاً مما انفرد به ،
بل عباد مكرمون « لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » .
جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وجهه ، وحملهم إلى
المرسلين ودائع أمره ونهيه ، وعصمهم من ريب الشبهات ،
فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته . وأمدتهم بفوائد المعونة ،
وأشعر قلوبهم تواضع إكبات السكينة ، وفتح لهم أبواباً
دلالة إلى تماجيده ، ونصب لهم مناراً واضحة على أعلام
توجيه^٢ . لم تثقلهم موصرات^٣ الآثام ، ولم ترحلهم عقب^٤
الليالي والأيام . ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم ،
ولم تعترك الظنون على معاهد يقينهم ، ولا قدحت قاذحة
الاحن^٥ فيما بينهم ، ولا سلبتهم الحيوة ما لاق من معرفته
بضائهم ، وما سكن من عظمتهم وهيبته جلالتهم في أثناء

١ الاخبات : الخضوع والخشوع .

٢ المنار : جمع منارة ، وهي موضع النور . الاعلام : جمع علم ، وهو
الجليل ، والمصوب في الطريق يهتدى به ، وكلاهما صالح لاداء المعنى .

٣ الموصرات : المتقلات .

٤ ترحلهم : اي تركهم . العقب : جمع عقبة ، وهي النوبة ، اي التعاقب
والتناوب .

٥ الاحن . جمع احنة ، وهي الحقد والضغينة .

صدورهم . ولم تطمع فيهم الوساورس فتفتزع^١ إبرينها^١ على فكرهم .

منهم من هو في خلق الغمام الدلح^٢ ، وفي عظم الجبال الشمخ^٣ ، وفي فترة الظلام الأهم^٣ . ومنهم من خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى ، فهي كرايات بيض قد نفذت في محارق الهواء ، وتحتها ريح هفافة^٤ تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية . قد استفرغتهم أشغال عبادته ، ووصلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته . وقطعهم الايقان به إلى الوله إليه ، ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره . قد ذاقوا حلاوة معرفته ، وشربوا بالكأس الروية^٥ من محبته ، وتمكنت من سويدها^٦ قلوبهم وشيجة^٧ خفيته ، فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ، ولم ينفد طول الرغبة إليه مادة تضرعهم ، ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة

١ تفتزع : أي تضرب القرعة . الرين : الدنس والغلبة .

٢ الدلح ، جمع دالغ : السحاب أثقله الماء .

٣ الفترة : الغبرة والسواد . الأهم : الذي لا يهتدى فيه .

٤ ريح هفافة : طيبة ساكنة .

٥ روية : كثيرة الماء تروي العطش .

٦ السويدها : حبة القلب .

٧ الوشيجة : عرق الشجرة ، وهي هنا على الاستعارة .

رَبِّقْ^١ خَشُوعِهِمْ ، وَلَمْ يَتَوَلَّهِمْ^٢ الْإِعْجَابُ^٣ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ ، وَلَا تَرَكْتَ لَهُمْ اسْتِكَانَةَ^٤ الْإِجْلَالِ^٥ نَصِيبًا فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ . وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَوَاتُ^٦ فِيهِمْ عَلَى طَوْلِ^٧ دُؤُوبِهِمْ ، وَلَمْ تَغْضُ^٨ رَغْبَاتُهُمْ فَيَخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ ، وَلَمْ تَحِجْ^٩ لَطُولِ الْمُنَاجَاةِ^{١٠} أَسْلَاتُ^{١١} أَلْسِنَتِهِمْ ، وَلَا مَلَكَتِهِمْ الْأَشْغَالُ^{١٢} فَتَنْقَطَعَ بِهِمْ الْجَوَارِ^{١٣} ، إِلَيْهِ أَصَوَاتُهُمْ ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ^{١٤} فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاقِبُهُمْ ، وَلَمْ يَشْنُوا^{١٥} إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِ رِقَابِهِمْ . وَلَا تَعْدُو^{١٦} عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بِلَادَةُ الْغَفْلَاتِ^{١٧} ، وَلَا تَنْتَضِلْ^{١٨} فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ .

قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ ؛ وَيَمَّحُوهُ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ ، بَرَغْبَتِهِمْ . لَا يَقْطَعُونَ أَمْدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمُ الْاسْتِهْتَارُ^{١٩} يَلْزُومَ طَاعَتِهِ ، إِلَّا إِلَى مَوَادِّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مَنْقُطَعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَخَافَتِهِ . لَمْ

١ الربق : جمع ربة ، وهي عروة الحبل يشد بها .

٢ لم تغض : لم تنقص .

٣ الاسلات : اطراف اللسان ، واحدها اسلة .

٤ الجوار : الصوت المرتفع بالدعاء .

٥ تنتضل : تتبارى ، وتتفاخر .

٦ الاستهتار : الوله والملازمة .

تَنْقُطُ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيَنُوتُوا فِي جَسَدِهِمْ ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ
الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشَيْكَ^١ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ . وَلَمْ
يَسْتَغْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ؛ وَلَوْ اسْتَغْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ
الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتُ^٢ وَجَلَّيْهِمْ . وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ
الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ ، وَلَا تَوْلَاهُمْ
غِلُّ النَّحَاسِدِ . وَلَا شَعَبَتَهُمْ^٣ مَصَارِفُ الرِّيْبِ ، وَلَا
اِقْتَسَمَتَهُمْ أَخْيَافُ الِهِمَمِ^٥ ؛ فَهِيَ أَسْرَاءُ إِيْمَانٍ لَمْ يَفْكُكْهُمْ مِنْ
رَبْقَتِهِ زَيْغٌ ، وَلَا عُدُولٌ ، وَلَا وَثِيٌّ ، وَلَا قُورٌ . وَلَيْسَ فِي
أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ^٦ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاعٍ
حَافِذٌ^٧ ؛ يَزِدَادُونَ عَلَى طَوْلِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا ، وَتَرْدَادُ
عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمًا .

١ الولشيك : السريع القريب الحصول .

٢ الشفقات : جمع شفقة ، وهي الحذر والخوف والحرص .

٣ شعبتهم : فرقتهم .

٤ المصارف : أي الطرق ، يقال مصارف الطرق ، أي أماكن التصرف فيها .

٥ أخياف الهمم : أي مختلفاتها .

٦ الإهاب : جلد الحيوان ، والمراد موضع جلد يبسط عليه .

٧ ساع : أي ساع إلى ذكر الله . حافذ : مسرع .

ومنها في صفة الأرض ودحوها على الماء ١ :

كبس الأرض^٢ على مور^٣ أمواج مستفجة ، ولجج
بحار زاهرة ؛ تلطم أواذي^٤ أمواجها ، وتصفق متقاذفات^٥
أثابجا^٥ ، وتوغو زبدًا كالفحول عند هياجها . فخضع جماع^٥
الماء المتلاطم لثقل حملها ، وسكن هيج ارتقائه اذ وطئته^٥
بكل كلبها . وذل^٥ مستخذياً إذ تمعكت^٦ عايه بكواهلها .
فأصبح بعد اضطخاب أمواجه ساجياً^٧ مقهوراً ، وفي حكمة^٨
الذل منقاداً أسيراً . وسكنت الأرض مدحوة^٩ في لجة
تياره ، وردت من نخوة بأوه^٩ واعتلائه ، وشموخ أنفه

١ دحوها : بطها .

٢ كبس الأرض : أي طمها بالتراب .

٣ المور : التحرك ذهاباً وحيثاً .

٤ الاواذي : الامواج الشديدة .

٥ اثباجا : أي اعالي امواجها .

٦ تمعكت : قمرغت .

٧ ساجياً : ساكناً .

٨ الحكمة : ما احاط من اللجام بحنك الفرس .

٩ بأوه : كبرياؤه وزهوه .

وسموا غلوانه . وكمته^١ على كظة^٢ جريته فهمد بعد
نزقاته ، ولبد بعد زيفان^٣ ووثاته .

فلما سكن هياج الماء من تحت اكنافها ، وحمل
شواحق الجبال الشمخ^٤ البذخ^٥ على اكنافها ، فجرينا بيع
العيون من عرائن^٦ أنوفها^٦ ، وفرقها في سهوب^٧ بيدها
وأخايدها ، وعدل^٨ حركاتها بالراسيات من جلايدها ،
وذوات الشناخيب^٩ الشم من صياخيدها^٩ . فسكنت من
الميدان لرسوب الجبال في قطع^{١٠} أديمها^{١٠} ، وتغلغلها متسربة

١ كمته : شدة فمه .

٢ الكظة : ما يعرض من الثقل عند امتلاء البطن بالطعام ، والمراد هنا ثقل
امتلاء البحر بالماء والامواج .

٣ لبد : أي لصق ساكناً وثبت . الزيفان : التبخر في المني .

٤ اكنافها : جوانبها .

٥ البذخ : بمعنى الشمخ ، أي العالية الشاهقة .

٦ العرائن : جمع عرنين ، وهو أعلى الأنف أي ما صلب من عظمه .
وامراد بالعرائن أعالي الجبال . الأنوف : ثنايا الجبال ، أي عقباتها .
والضمير يعود على الأرض .

٧ السهوب : القلوات .

٨ عدل الشيء : أقام ميله ليعتدل .

٩ الشناخيب : رؤوس الجبال . الصياخيد : الصخور الصلاب .

١٠ الأديم : وجه الأرض . وقطعه : أجزأوه .

في جوبات خياشيمها^١ ، وركوبها أعناق سهول الأرضين
وجراثيمها^٢ . وفسح بين الجو وبينها ، وأعدّ الهواء متنسماً
لساكنها ، وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها^٣ . ثم لم يدع
جرز الأرض^٤ التي تقصُر مياه العيون عن روايبها ، ولا
تجد جداول الأنهار ذريعة إلى بلوغها ؛ حتى أنشأ لها ناشئة
سحاب تحي مواتها ، وتستخرج نباتها . ألّف غمامها بعد
افتراق لمعها^٥ وتباين قزعه^٦ ؛ حتى إذا تمخضت لجة المزن^٧
فيه ، والتمع برفه في كفه^٨ ، ولم ينم وميضه في كنهور
ربابه^٩ ، ومتراكم سحابه ، أرسله سحاً مُدارِكاً ، قد أسف

-
- ١ الجوبات : جمع جوبة ، وهي الحفرة . وخياشيم الارض : استعارة .
 - ٢ جراثيم الارض : التراب المجتمع في اصول الشجر ، والذي لاتسفيه الريح .
 - ٣ المرافق : ما يستعان وينتفع به في العيش والسكنى .
 - ٤ جرز الأرض : اي التي لا نبات فيها ، لان الماء لا يصيبها .
 - ٥ لمع الغمام : اي قطعه ، جمع قطعة .
 - ٦ قزع الغمام : قطعه الرقيقة .
 - ٧ المزن : السحاب ذو الماء .
 - ٨ كفه : حواشيه وحروفه .
 - ٩ الكنهور : السحاب العظيم المتراكم . الرباب : السحاب الابيض ، او السحاب المتعاق الذي تراه كأنه دون السحاب .

هَيْدُبُهُ^١، تَمْرِيهِ^٢ الْجَنْوُبِ دَرَرَ أَهَاضِيهِ^٣، وَدُقَعَ شَائِبِيهِ^٤.
 فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرَكَ بَوَانِيهَا^٥، وَبَعَاغَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ^٦
 مِنَ الْعَيْبِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ
 النَّبَاتَ^٧، وَمِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ^٨ الْأَعْشَابَ^٩؛ فِيهِ تَبْجِجُ بَزِينَةِ
 رِيَاضِهَا، وَتَزْدَهِي بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطٍ^{١٠} أَزَاهِيرِهَا، وَحَلِيَةٍ مَا
 سُمِّطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرٍ أَنْوَارِهَا^{١١}. وَجَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا لِلْأَنْعَامِ
 وَرِزْقًا لِلْأَنْعَامِ^{١٢}. وَخَرَقَ الْفِجَاجُ فِي آفَاقِهَا، وَأَقَامَ الْمَنَارُ^{١٣}
 لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادٍ^{١٤} طُرُقِهَا.

١ الهيدب : السحاب المتدلي .

٢ تمرية : تستدره ، من مرى الناقة : مسح ضرعها لتدر .

٣ الدرر : جمع درة بالكسر : اللبن وكثرته ، وهي هنا على الاستعارة .
 أهاضيه : أمطاره .

٤ الدفع : دفقات المطر ، واحدها دفعة بالضم . الشائب : دفع الامطار
 الشديدة .

٥ البرك : ما ولي الارض من جلد صدر البعير . البواني : اضلاع الزور .
 يقال : القى بوانيه ، اي اقام وثبت .

٦ البعاع : ثقل السحاب بالمطر . استقلت به : رفعته .

٧ زعر الجبال : اي القليلة النبات .

٨ الریط : الثياب الرقيقة اللينة ، واحدها ريطرة .

٩ سمطت به : اي قلدت به . الانوار : الازهار .

١٠ الانعام : الابل .

١١ المنار : العلامات التي يهتدى بها في الطرق ، واحدها منارة .

١٢ الجواد : جمع الجادة ، وهي معظم الطريق .

في خلق الانسان

فلَمَّا هَدَّ اَرْضَهُ ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ ، اخْتَارَ آدَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جَبِلَّتِهِ ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ ،
وَأَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ^١ ، وَأَوْعِزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَا عَنْهُ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي
الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ ، وَالْمَخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ . فَأَقْدَمَ
عَلَى مَا نَهَا عَنْهُ ، مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ^٢ ، فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ ،
لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ ، وَلِيَقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ . وَلَمْ يُخْلِسْهُمْ ،
بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ^٣ ، مِمَّا يُوَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رَبوبيَّتِهِ ، وَيَصِلُ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، بَلْ تَعَاهَدَهُمُ بِالْحُجُبِ عَلَى أَلْسُنِ الْخَيْرَةِ مِنْ
أَنْبِيَائِهِ وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ ، قَرْنًا فَقَرْنًا ، حَتَّى نَمَتْ بَنِيْنُنَا
مُحَمَّدٌ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعَ
عُذْرُهُ وَنَذْرُهُ^٤ .

وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا ، وَقَسَّمَهَا عَلَى الضَّيِّقِ

١ اكله : رزقه .

٢ موافاة لسابق علمه : أي أقدم على المعصية ، فوأنى بها موافاة العلم
الالهي السابق .

٣ قبضه : توفاه .

٤ المقطع : أي النهاية . نذره : بمعنى إنذاره .

والسَّعة ، فعدَلَ فيها لِيبتليَ من أراد بِميسورها ومعسورها ،
 وليختبرَ بذلك الشُّكرَ والصَّبْرَ من غَنِيَّتها وفقيرِها . ثمَّ
 قرنَ بسعَتِها عقابيلَ^١ فافقَها ، وبسلامتها طوارقَ آفاتِها ،
 وبِفُرَجِ أَفراحِها غُصصَ أَتراحِها . وخلقَ الآجالَ فأطالها
 وقصَّرها ، وقَدَّمَها وأخَّرَها ، ووصلَ بالموتِ أسبابَها^٢ ، وجعله
 خالِجاً لِأشطانِها^٣ ، وقاطعاً لمرائرِ أَقرانِها^٤ .

١ العقابيل : العلل والشدائد .

٢ الاسباب : الحبال .

٣ خالِجاً : جاذباً . اشطانها : حبالها .

٤ المرائر : الحبال المقتولة . اقرانها : حبالها .

بديع خلقه الخفاش^١

الحمد لله الذي انحسرت^٢ الأوصاف عن كنه معرفته ،
ورددت عظمته العقول فلم تجد مساعاً إلى بلوغ غاية ملكوته .
هو الله الملك الحق المبين ، أحق وأبين مما تراه العيون . لم
تبلغه العقول بتحديد فيكون مُشَبَّهاً ، ولم تقع عليه الأوهام
بتقدير فيكون ممثلاً . خلق الخلق على غير تمثيل ، ولا
مشورة مشير ، ولا معونة معين ، فم خلقه بأمره ، وأذن
لطايعه فأجاب ولم يدافع ، وانقاد ولم ينازع .

ومن لطائف صنعته ، وعجائب حكمته ، ما أرانا من
غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يبيضها الضياء الباسط
لكل شيء ، ويبسطها الظلام القابض لكل حي ، وكيف
عشيت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي
به في مذاهبها ، وتصل بعلاية برهان الشمس إلى معارفها .

١ الخفاش : الوطواط .

٢ انحسرت : كادت وأعت .

وردعها تَلَأُو ضِيَاءُهَا عَنِ الْمَضِيِّ فِي 'سُبُحات' إِشراقها،
 وَأَكْنَتْهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بَلَجِ اثْتِلَاقِهَا، فَمِثْلُ
 مَسْدَلَةِ الْجَفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سَرَاجاً
 تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي التَّمَاسِ أَرْزَاقِهَا. فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارُهَا إِسْدَافاً^٢
 ظَلْمَتِهِ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمَضِيِّ فِيهِ لَعَسَقُ دُجْنَتِهِ. فَإِذَا أَلْقَتِ
 الشَّمْسُ قَنَاعَهَا وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نَوْرِهَا
 عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا^٣، أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانِ عَلَى مَاقِيهَا
 وَتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْ مِنْ قِيءٍ ظَلَمَ لَيَالِيهَا. فَسَبَحَانَ مِنْ
 جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَالنَّهَارَ سَكَناً وَقَرَاراً، وَجَعَلَ
 لَهَا أَجْنَحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ كَأَنَّهَا
 شَطَايَا الْأَذَانِ ° غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ^٦. إِلَّا أَنَّكَ
 تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً^٧، لَهَا جَنَاحَانِ لَمْ يَرَوْقَا

١ السُّبُحات : الأضواء ، والجلال .

٢ الاسْدَاف : اخلام الليل .

٣ الضُّبَاب : جمع الضَّب ، وهو حيوان يشبه فرخ التماسح ، وذنبه كثير
 العقد كذنبه . الوجار : الجعر .

٤ تَبَلَّغَتْ : أَفْنَتَتْ . الْقِيء : الغنيمة .

٥ تَعْرُج : تَرْتَقِي . الشَّطَايَا : جمع شَطْطِيَّة ، وهي كل فُلَّةٍ مِنْ شَيْءٍ .

٦ الْقَصَب : جمع قَصَبَةٍ ، وهي التي بَنِيَتْ عَلَيْهَا رِيشُ الْجَنَاحِ .

٧ أَعْلَاماً : رَسُوماً كَرَسُومِ الثُّوبِ .

فينشقًا ، ولم يغلظا فيثقلًا . تطير وولدتها لاصقًا بها ، لاجئًا
إليها . يقع إذا وقعت ، ويرتفع إذا ارتفعت ، لا يفارقها
حتى تشتد أركانها ، ويحميها للشهوض جناحه ، ويعرف مذاهب
عيشه ومصالح نفسه . فسبحان الباري لكل شيء على غير
مثالٍ خلا من غيره^١ .

١ خلا : مضى وسلف .

عجيب خلقه الطاووس

ابتدعهم خلقاً عجيباً من حيوانٍ ومَوَاتٍ ، وساكنٍ وذِي حركاتٍ ؛ فأقام مِن شواهدِ البَيِّنَاتِ على لطيفِ صنعِهِ ، وعظيمِ قدرَتِهِ ، ما انتقادتْ له العقولُ معترفةً به ، ومسلِّمةً له . ونَعَتْ^١ في أسْمَاعِنَا دلائله على وَحْدَانِيَّتِهِ ، وما ذرأ^٢ مِن مختلفِ صورِ الأَطْيَارِ التي أسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الأرضِ ، وخُرُوقَ فِجَاجِهَا ، ورَاسِيَ أَعْلَامِهَا ، من ذاتِ أَجْنِحَةٍ مختلفةٍ ، وهَيَّاتٍ مُتَبَايِنَةٍ ، مُصَرِّفَةٍ في زِمَامِ التَّسْخِيرِ^٣ ومُرفِرفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا في مَخَارِقِ الجَوِّ المُتَنَفِّسِ والفضاءِ المنفَرَجِ . كوْنُهَا بعد أن لم تكن في عَجَائِبِ صُورٍ ظَاهِرَةٍ ، ورُكُوبِهَا في حِقَاقٍ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ^٤ ، ومنع بعضها بِعِبَالَةٍ^٥

١ نعتت : صاحت بنا ، من قولهم : نعت بغمه ، أي صاح بها وزجرها .

٢ ذرأ : خلق .

٣ في زمام التسخير : أي مسخرة لما خلقها من أجله .

٤ الحقائق : جمع حق بالضم وهو مجمع المفصائل من الأعضاء . محتجبة :

أي محتجبة بالجلد واللحم .

٥ العباله : ضخامة الجسد .

خَلَقَهُ أَنْ يَسْمُوَ فِي السَّمَاءِ خُفُوفًا^١ ، وَجَعَلَهُ يَدِفُ دَفِيفًا^٢ .
وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِغِ ، بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ ، وَدَقِيقِ
صَنْعَتِهِ ، فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالِبِ لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ
مَا غُمَسَ فِيهِ ؛ وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبْغٍ قَدْ طُوِّقَ
بِخِلَافٍ مَا صَبْغَ بِهِ .

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلَقًا الطَّائُوسُ^٣ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ
تَعْدِيلٍ ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ ، بِجَنَاحٍ أُشْرِجَ
قَصَبُهُ^٤ ، وَذَنْبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ ، إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشْرَهُ
مِنْ طَيْئِهِ ، وَسَمَا بِهِ مُظِلًّا عَلَى رَأْسِهِ ، كَأَنَّهُ قَلْعٌ دَارِيٌّ
عَنْجَةً^٥ نَوْتِيَّةً . يَخْتَالُ بِالْوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بَزَيْفَانِهِ^٦ .
تَحَالُ قَصَبُهُ مَدَارِي^٦ مِنْ فَضَّةٍ ، وَمَا أُنبِتَ عَلَيْهِ ، مِنْ

١ الخفوف : سرعة الحركة .

٢ الدفيف من الطائر : مره فويق الأرض ، أو أن يحرك جناحيه ، ورجلاه
في الأرض .

٣ اشرح الشيء : ادخل بعضه في بعض . القصب : الريش .

٤ داري : أي سفين أو تاجر منسوب إلى دارين ، وهي فرضة بالبحرين ،
مشهورة بتجارة المسك وسوقه في البحر . عنجه : جذبه .

٥ زيفانه : تبحثه .

٦ المداري : جمع مدراة ، وهي أداة من حديد أو خشب كالسلة تسرح
بها المرأة شعرها .

عجيب داراته وشُموسه ، خالص العقيان وفلند الزبرجد^١ .
 فإن شَبَّهَتْهُ بما أنبت الأرض قلت : جنى جني من زهرة
 كل ربيع ؛ وإن ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحُلل
 أو مُونِق عصب^٢ اليمن ؛ وإن ساكنته بالحلي فهو كفصوص
 ذات ألوان قد نُطِقت^٣ باللجين^٤ المكلل . يمشي مشي
 المرح المختال ، ويتصفح ذنبه وجناحيه ، فيُفقه ضاحكاً
 لجمال سرباله ، وأصابعه وشاحه .

فإذا رمى ببصره إلى قوائمه ، زقاً مُعولاً يكادُ بصوت
 يُبين عن استغاثته ، ويشهدُ بصادق توجُّعه ؛ لأنَّ قوائمه
 حُمش^٥ كقوائم الديكة الحلاسية^٦ ، وقد نجمت من
 ظنبوب ساقه صيصية خفيفة^٥ ، وله في موضع العُرف
 قنزعة^٦ خضراء موشاة^٥ ، وتخرج عنقه كالابريق ؛

١ الدارات : هالات القمر . العقيان : الذهب . الفاذ : القطع ، جمع قطعة .

٢ العصب : ضرب من البرود البانية المنقوشة .

٣ نطقت : جعل لها نطاق . اللجين : الفضة .

٤ حمش : دقيقة . الديكة الحلاسية : هي المتولدة من جنسين ، هندي وفارسي .

٥ نجمت : ظهرت . الظنبوب : حرف الساق ، وهو العظم اليابس في الاسفل . الصيصية : شوكة تكون في رجل الديك .

٦ القنزعة : الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي ، أو هي ما ارتفع من الشعر ، استعارها للطاووس .

ومغرزها إلى حيث بطنه كصِغِ الوسمة^١ اليمانية ، أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صِقال . وكأنه مُلقَّعٌ بمِعْجَرٍ أسحم^٢ ، إلا أنه 'خِجَل' لكثرة مائه وشدة بريقه أن الحُضرة النَّاضرة تمتزجة به . ومع فَتَقِ سمعه خطَّ كَمَسْتَدَقِّ القلم في لونِ الأفحوان ، أبيضُ يقق^٣ ، فهو ببياضه في سوادٍ ما هنالك يأتلق . وقلَّ صِغِ إلا وقد أخذ منه بقرسط ، وعلاه بكثرة صِقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورويقه . فهو كالأزاهير المبتوثة لم تُربَّها أمطارُ ربيع ولا شمسُ قيظ . وقد ينحسر^٤ من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترى^٥ ، وينبت تباعاً ، فينحت من قصبه انحنات أوراق الأغصان ، ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه ، لا يخالف سالف ألوانه ، ولا يقع لون في غير مكانه . وإذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة وردية ، وتارة خضرة زبرجدية ، وأحياناً صفرة

١ الوسمة : نبات يخضب بورقه ، أو هو ورق النيل .

٢ المعجر : ثوب تشبه المرأة على رأسها وعنقها . اسحم : اسود .

٣ الأفحوان : نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء ، وأوراق زهره مقلجة صغيرة تشبه بها الأسنان . يقق : شديد البياض .

٤ ينحسر : ينكشف .

٥ تترى : أي شيئاً بعد شيء .

عَسَجْدِيَّة^١. فكيف تصلُ إلى صِفَةِ هذا عَمَاقُ الفِطْنِ ، أو
تبلُغهُ قَرَائِحُ العُقُولِ ، أو تستنظِمُ وصفه أقوالُ الواصِفِينَ؟
وأقلُّ أجزائه قد اعجزَ الاوهامَ أن تدركه ، والألسنة أن
تصفه . فسبحان الذي بهرَ العقولَ عن وصفِ خلقٍ جَلالَةٍ
للعُيونِ فادرَكَته محدوداً مُكوَّناً ، ومؤلفاً ملوَّناً ؛ وأعجزَ
الألسنَ عن تلخيصِ صفتهِ وقعدَ بها عن تأديةِ نعتِهِ ! وسبحان
مَنْ أدمجَ قوائمَ الذَّرَّةِ والهمجَةِ^٢ إلى ما فوقها من خلقِ
الحِيتانِ والفَيْسَلَةِ ؛ ووَأَى^٣ على نفسه أن لا يضطربَ شَيْءٌ
مما أولجَ فيه الرُّوحُ إلّا وجعلَ الحِمَامَ موعِدَه والغناءَ غايَتَه .

١ عسجدية : ذهبية .

٢ الهمجة : ذبابة صغيرة كالبعوض تسقط على وجوه الغنم والحمير واعينها .

٣ وأى : وعد .

عجيب خلق أصناف من الحيوانات

ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا
إلى الطريق ، وخافوا عذاب الحريق ، ولكن القلوب عليّة ،
والبصائر مدخولة ! ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف
أحكم خلقه ، وأتقن تركيبه ، وفلق له السمع والبصر ،
وسوى له العظم والبشر ؟ !

أنظروا إلى النملة في صغر جسّتها ، ولطافة هيئتها ،
لا تكاد تُنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ، كيف
دبت على أرضها ، وصبت^٢ على رزقها ! تنقل الحبة إلى
جحرها ، وتعدّها في مستقرّها ؛ تجمع في حرّها لبردها ، وفي
ورودها لصدورها . مكفولة^٣ برزقها ، مرزوقة^٣ بوقفها ،
لا يُغفلها المتأن ، ولا يحرمها الديّان ، ولو في الصفا

١ البشر : جمع بشرة ، وهي ظاهر الجلد في الانسان ، وفي غيره .

٢ صبت : أي انصبت ، لازم متعد .

٣ بوقفا : أي بقدر كفايتها .

اليابس ، والحجر الجامس^١ .

ولو فكرتَ في مجاري أكلها ، في علوها وسفلها ، وما في الجوف من شراسيف^٢ بطنها ، وما في الرأس من عينها وأذنها ، لقضيتَ من خلقها عجباً ، ولقيتَ من وصفها تعباً ؛ فتمالى الذي أقامها على قوائمها ، وبنّاها على دعائمها ! لم يشركه في فطرتها فاطرٌ ، ولم يُعنه في خلقها قادرٌ !

ولو ضربتَ في مذاهبِ فكرِك لتبلغَ غايته ، ما دلتك الدلالة إلا على أنَّ فاطرَ النملة هو فاطر النخلة ، لدقيقِ تفصيلِ كلِّ شيء ، وغامضِ اختلافِ كلِّ حيٍّ ! وما الجليلُ واللطيفُ ، والثقيلُ والخفيفُ ، والقويُّ والضعيفُ ، في خلقه إلا سَوَاء !

وكذلك السماءَ والهواءَ ، والرياحَ والماءَ ! فانظرْ إلى الشمسِ والقمرِ ، والنُّبَّاتِ والشَّجَرِ ، والماءِ والحجرِ ، واختلافِ هذا الليلِ والنَّهارِ ، وتفجُّرِ هذه البحارِ ، وكثرةِ هذه الجبالِ ، وطولِ هذه القِلالِ^٣ ، وتفرُّقِ هذه اللُّغاتِ ، والألسنِ المختلفةِ ! فالويل لمن جحد المقدَّرَ ، وأنكر المديبَّ !

١ الجامس : الجامد .

٢ الشراسيف : اطراف الاعضاء المشرقة على البطن .

٣ القلال : رؤوس الجبال .

زعموا أنهم كالنَّبات ما لهم زارعٌ ، ولا لاختلاف صورهم
صانعٌ ! ولم يلجأوا إلى حُجَّةٍ فيما ادَّعوا ، ولا تحقيقٍ لما
أوعوا^١ ، وهل يكونُ بناءٌ من غيرِ بانٍ ، أو جنائيةٌ من
غيرِ جانٍ ؟

وإن شئتَ قلتَ في الجرادةِ ، إذ خلق لها عينينِ حمراوينِ ،
وأسرجَ لها حدقتينِ قمرأوينِ ، وجعل لها السَّمْعَ الحَقِي ،
وفتَحَ لها الفمَّ السَّوِيَّ ، وجعل لها الحسَّ القويَّ ، ونايينِ
بهما تقرضُ ، ومنجلينِ بها تقبضُ . يرهبُها الزَّرَّاعُ في زرعِهِم ،
ولا يستطيعونَ ذبَّها^٢ ، ولو أجبوا^٣ بجمعِهِم ، حتى تردَّ
الحِثُّ في تزواتِها ، وتقضيَ منه شهواتِها ؛ وخلَقها كُلُّهُ
لا يكونُ إصبعاً مُستدقَّةً !

فبَارِكْ اللهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
طَوْعاً وَكَرْهاً ، وَيَعْنُو لَهُ خَدَّاً وَوَجْهاً ، وَيَلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ
سَلِماً وَضَعْفاً ، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً ! فَالطَّيْرُ
مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ ، أَحْصَى عِدَدَ الرَّيشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ ،
وَأَرَسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدِيِّ وَالْيَبْسِ ، وَقَدَّرَ أَقْوَامَهَا ،

١ أوعوا : حفظوا وجمعوا ، كوعوا .

٢ ذبها : دفعها .

٣ اجبوا : أي جمعوا الجمع .

وأحصى أجناسها : فهذا غُرَابٌ ، وهذا عُنُقَابٌ ، وهذا حِمَامٌ ،
وهذا نَعَامٌ . دعا كلَّ طائرٍ باسمه ، وكفَّلَ له برزقَه . وانشأ
السَّحَابَ الثَّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيمَهَا ، وعدَّدَ قَسَمَهَا ، فبَلَ الأَرْضَ
بعد جُفُوفِهَا ، وأَخْرَجَ نَبْتَهَا بعد جُدُوبِهَا !

ادراك الله

سأله ذعلب الثاني فقال : هل رأيت ربك يا امير المؤمنين ؟ فقال : أفاعبد
ما لا ارى ؟ فقال : وكيف تراه ؟ قال :

لا تُدركه العيونُ بِمُشاهدة العِيانِ ، ولكنْ تُدركه
القلوبُ بِمُحَاقِقِ الايمانِ . قَرِيبٌ مِنْ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلَامِسٍ ،
بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ ، مُتَكَلِّمٌ لَا بَرْوِيَّةَ ، مُرِيدٌ لَا بَهْمَةَ ،
صَانِعٌ لَا بَجَارِحَةَ ، لَطِيفٌ لَا يوصَفُ بِالْخَفَاءِ ، كَبِيرٌ لَا يوصَفُ
بِالْخَفَاءِ ، بَصِيرٌ لَا يوصَفُ بِالْخَاسَةِ ، رَحِيمٌ لَا يوصَفُ بِالرَّقَّةِ .
تَعْنُو الْوُجُوهَ الْعَظِيمَةَ ، وَتَجِيبُ الْقُلُوبَ مِنْ مَخَافَتِهِ .

كتاب الله

في ذكر القرآن

فالقرآن أمرٌ زاجر ، وصامت فاطق ، حُجَّةُ الله على خلقه . أخذ عليهم ميثاقه ، وارتهنَ عليه أنفسهم . أتمَّ نوره وأكمل به دينه ، وقبض نبيّه ، صلى الله عليه وآله ، وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به . فعظّموا منه سبحانه ما عظم من نفسه ؛ فإنه لم يُخفِ عنكم شيئاً من دينه ، ولم يتروك شيئاً رضيّه أو كرهه ، إلا وجعل له علماً بادياً ، وآيةً محكمةً تزجر عنه أو تدعو إليه ، فرضاه فيما بقي واحداً ، وسخطه فيما بقي واحداً .

واعلموا أنه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ؛ ولن يسخط عليكم بشيء رضيّه من كان قبلكم ، وإنما تسيرون في أثر بين ، وتتكلمون برجع قولٍ قد قاله الرّجال من قبلكم . قد كفاكم مؤونةً دُنياكم ،

١ العلم : ما يستدل به .

وحشكم على الشكر ، وافترض من ألسنتكم الذكر ،
وأوصاكم بالتقوى وجعلها منتهى رضاء وحاجته من خلقه .
فاتقوا الله الذي أنتم بعينه ، ونواصيكم بيده ، وتقلبكم في
قبضته . إن أسررتكم علمه ، وإن أعلنتم كتمه . قد وكل
بكم حفظةً كراماً ، لا يسقطون حقاً ، ولا يثبتون باطلاً .
واعلموا أن من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ، ونوراً
من الظلم ، ويخلده فيما اشتت نفسه ، ويؤزله منزلة
الكرامة عنده ، في دار اصطنعها لنفسه : ظلها عرشه ،
ونورها بهجته ، وزوارها ملائكته ، ورفقاؤها رسله .
فبادروا المعاد^١ ، وسابقوا الأجل ! فإن الناس يوشك أن
ينقطع بهم الأمل^٢ ، ويرهقهم الأجل^٣ ، ويسد عنهم باب
التوبة . فقد أصبحتم في مثل ما سأل إليه الرجعة من كان
قبلكم ، وأنتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم ،
وقد أودنتم^٣ منها بالارتحال ، وأمرتم فيها بالزاد .
واعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار ،
فأرحموا نفوسكم ، فإنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا .

١ المعاد : المصير والآخره .

٢ يرهقهم : يغشاهم .

٣ أودنتم : أعلمتم بالبناء على المجهول .

أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ ،
وَالرَّمضاءِ تَحْرِقُهُ ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ^١ مِنْ نَارٍ ،
ضَجِيعَ حَجَرٍ^٢ ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ^٣ ؟ ! أَعْلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا إِذَا
غَضِبَ عَلَى النَّارِ ، حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِعُغْضَبِهِ ؛ وَإِذَا زَجَرَهَا ،
تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجَرَتِهِ ؟

١ الطابق : الأجرة الكبيرة .

٢ ضجيع حجر : إشارة إلى الآفة : وقودها الناس والحجارة .

٣ قرين شيطان : إشارة إلى الآفة : قال قرينه : ربنا ما أطغيته .

٤ مالك : وكيل الجحيم .

المال والبنون

لا يقولنَّ أحدُكم : « اللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ ! » لِأَنَّهُ
لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ ، وَلَكِنْ مَنْ اسْتَعَاذَ ،
فَلَيْسَتْ عِزُّهُ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ :
« وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ
يُخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطُ لِرِزْقِهِ ، وَالرَّاضِي
بِقِسْمِهِ ، وَإِنْ كَانَ سَبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَلَكِنْ
لِتُظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ ؛ لِأَنَّ
بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الْإِنَاثَ ؛ وَبَعْضُهُمْ يُحِبُّ تَشْمِيرَ
الْمَالِ ، وَيَكْرَهُ انْتِلَامَ الْحَالِ .

قال الرضي : وهذا من غريب ما سمع منه في التفسير .

ذكر الله

من كلام قاله عند تلاوته : رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ،
تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ ^١ ، وَتَنْقَادُ بِهِ
بَعْدَ الْمَعَانِدَةِ . وَمَا بَرِحَ اللَّهُ ، عَزَّتْ آلاؤُهُ ، فِي الْبَرْهَةِ بَعْدَ
الْبَرْهَةِ ، وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ ^٢ ، عِبَادُ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ،
وَكَلَمِهِمْ فِي ذَاتِ عَقُولِهِمْ ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْإِبْصَارِ
وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَيُخَوِّفُونَ
مَقَامَهُ ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدَلَّةِ فِي الْفُلُوتِ . مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ ^٣ حَمِيدُوا
إِلَيْهِ طَرِيقَهُ ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ ؛ وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشِمَالًا ،
ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ ، وَحَذَرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ . وَكَانُوا كَذَلِكَ
مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ ، وَأَدَلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ . وَإِنَّ

١ الوقرة : الثقل في الاذن . العثوة : الضعف في النظر .

٢ الفترات : اي الازمان التي تخلو فيها الأرض من الانبياء ، وتكون
الفترة بين نبوتين .

٣ القصد : الاعتدال .

للدَّكرِ لأَهْلًا أَخْذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا ، فلم تَسْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ
ولا بَيْعٌ عَنْهُ . يَقطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ ، وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْاجِرِ
عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ^١ وَيَأْتُرُونَ
بِهِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ ، فَكَأَنَّهُمْ قَطَعُوا
الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا ، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ؛ فَكَأَنَّمَا
اطَّاعُوا غِيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ^٢ فِي طَوْلِ الْإِقَامَةِ فِيهِ ،
وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتَهَا ، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ
الدُّنْيَا ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا
لَا يَسْمَعُونَ .

فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمْ^٣ الْمَحْمُودَةِ ، وَبِمَجَالِسِهِمْ
الْمَشْهُودَةِ ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ ، وَفَرَّغُوا لِمَحَاسِبِهِ
أَنْفُسَهُمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمَرُوا بِهَا فَقَصَّروا عَنْهَا ، أَوْ
نَهَوْا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ ،
فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا ، فَلَنَشْجُوا نَشِيجًا ، وَتَجَاوَبُوا

١ القسط : العدل .

٢ البرزخ : حاجز ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث ، فمن
مات فقد دخل البرزخ .

٣ مقاوِمهم : أي مقاماتهم .

٤ الاستقلال بها : أي القيام بمحملها .

٥ نشج : غص بالبكاء في حلقه من غير انتخاب .

نَحْبِياً ، يَعْبُجُونَ^١ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامٍ نَدْمٍ وَاعْتِرَافٍ ، لِرَأْيَتِ
 أَعْلَامَ هَدًى ، وَمَصَابِيحَ دُجًى ، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ ،
 وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ،
 وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ ، فِي مَقَامٍ أَطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 فِيهِ فَرَضِي سَعِيهِمْ ، وَحَمِيدَ مَقَامِهِمْ . يَتَنَسَّمُونَ بَدْعَانَهُ
 رُوحَ التَّجَاوُزِ^٢ : رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ ، وَأَسَارَى ذِلَّةٍ
 لِعِظْمَتِهِ ؛ جَرَحَ طَوْلُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ ، وَطَوَّلَ الْبُكَاءُ عِيُونَهُمْ .
 لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٌ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ ، يَسْأَلُونَ مَنْ
 لَا تَضِيقُ لَهُ الْمَنَادِحُ^٣ ، وَلَا يَحْجِبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ . فَحَاسِبِ
 نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ .

١ يعجون : يصيحون ، ويرفعون أصواتهم .

٢ التجاوز : أي التجاوز عن الذنب .

٣ المنادح : جمع مندوحة ، وهي السعة ، والمتسع من الأرض .

الرسول

وفاة النبي

ولقد علمَ المستحفظون^١ من أصحابِ مُحَمَّدٍ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أَنِّي لم أَرُدَّ على الله^٢ ولا على رسوله ساعةً قطُّ ، ولقد واسيته^٣ بنفسي في المواطن التي تَنكُصُ فيها الأبطالُ ، وتَتَأَخَّرُ فيها الأقدامُ ، نَجدةً أكرمني الله بها ! ولقد قُبِضَ رسولُ الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنَّ رأسَه لعلَى صدري ؛ ولقد سألتَ نفسَه في كَفِّي ، فأمرتُها على وجهي ؛ ولقد وُلِّيتُ غُسلَه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، والملائكةُ أعواني ، فضجَّت الدَّارُ والأفنية^٦ : ملأَ يهبطُ

١ المستحفظون : أي الذين أودعهم النبي إمانة سره ، أو أقامهم على حفظ شريعة الاسلام وحراستها .

٢ لم أَرِد على الله : أي لم أنكر عليه شيئاً من أحكامه .

٣ واسيته : لغة في آسيته ، أي شاركته وساهمته .

٤ تنكص : تحجم .

٥ أمررتها : أي أمررت كفي .

٦ الأفنية : جمع فناء بالكسر ، وهو ما اتسع من أمام الدار .

وملأ يعرج ، وما فارقت سمعي هينة منهم ، يُصلُّون
عليه حتى واريناه في ضريحه ، فمن ذا أحقُّ به مني حيًّا
وميتًا ؟ ! فانفذوا على بصائرکم ، ولتصدق نبياتکم في
جهادِ عدوِّکم . فوالذي لا إلهَ إلا هو إني لعلی جادة الحق ،
وإنهم لعلی منزلة الباطل ! أقول ما تسمعون ، وأستغفرُ الله
لي ولكم !

مناجاة النبي

من كلام قاله عند دفن فاطمة الزهراء في جوار أبيها :

السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النَّازِلَةِ في
جوارك ، والسريعةِ اللَّحَاقِ بك . قُلْ ، يا رسول الله ،
عن صِفَتِكَ صبري ، ورقِّ عنها تجلُّدي ، إلَّا أَنِّي لي في
التَّأَسِّيِ بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ ، وفادحِ مُصِيبَتِكَ ، موضعَ تَعَزُّي .
فلقد وسَّدتْكَ في ملحودَةٍ قَبْرِكَ^١ ، وفاضت بين نخري وصدري
نفسُك ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! فلقد اسْتَرْجَعْتَ الودِيعَةَ ،
وأخذت الرَّهْيَنَةَ ، أما حزني فسرمدٌ ، وأما لي لي فمُسَهَّدٌ ،
إلى أن يَخْتَارَ الله لي دارك التي أنت بها مُقِيمٌ .

وستَنْبِئُكَ ابنتُكَ بتضافرِ أُمَّتِكَ على هُضْمِهَا ، فأحْفِهَا
السُّؤَالَ^٢ ، واستخبرها الحال . هذا ولم يَطْلُ العَهْدُ ، ولم
يُخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ ، والسلام عليكما سلامَ مودِّعٍ لا قال^٣
ولا سَمِ . ! فإنْ أنصرفتْ فلا عن ملالةٍ ، وإنْ أقيمَ فلا عن
سوءِ ظنٍّ بما وعدَ الله الصَّابِرِينَ !

١ ملحودة قبرك : أي الجهة المشقوقة من القبر ، واللحد هو الشق في جانب
القبر .

٢ أحفها السؤال : استقص في سؤالها .

٣ قال : مبعوض .

في الاسمان والكفر

خطأ الفرق

أما بعد^١ ، فإن الله لم يَقْصِمَ^٢ جَبَّارِي دَهْرٍ قطُّ إلا بعد
تمثيل^٣ ورخاء ؛ ولم يجبرْ عَظَمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إلا بعد
أزْلٍ^٤ وبلاء . وفي دُونِ ما استقبلتم من عَثْبٍ ، وما استدبرتم
من خَطْبٍ ، معتبرٌ ! وما كلُّ ذي قلبٍ بليِّبٍ ، ولا كلُّ
ذي سَمْعٍ بسميعٍ ، ولا كلُّ ناظرٍ ببصيرٍ . فيا عَجَبِي ، وما
لي لا أعجبُ ؟ من خطأ هذه الفرقِ على اختلافِ حُجَجِها في
دينِها ! لا يقتصُّونَ أثرَ نبيٍّ ، ولا يقتدون بعملِ وصيٍّ ، ولا
يؤمنون بغيِّبٍ ، ولا يعفُّون عن عيبٍ . يعملون في الشُّبُهَاتِ

١ لم يقصم : لم يكسر .

٢ تمثيل : أي تبختر وتكبر . وتروى تمثيل

٣ الازل : الشدة .

٤ يقتصون : يتبعون .

ويسرون في الشهوات ! المعروفُ عندهم ما عَرَفُوا ، والمنكرُ
عندهم ما أنكروا . مَفْزَعُهُمْ في المَعْصِيَّاتِ الى أنفُسِهِمْ ،
وتعويلُهُمْ في المهمَّاتِ على آرائِهِمْ ؛ كأنَّ كلَّ امرئٍ منهم إمامُ
نفسِهِ ، قد أخذَ منها فيما يرى بعُرَى ثِقَاتٍ ، وأسبابِ
محكماتٍ !

صفة المتقين

سأله صاحب له يقال له همام ، وكان رجلاً عابداً ، ان يصف له المتقين حتى كأنه ينظر اليهم . فتناقل الامام عن جوابه ، ثم قال : يا همام اتق الله وأحسن ، فان الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون . فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه . فحمد الله واثني عليه ، وصلى على النبي ، ثم قال :

أما بعد ، فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ، حين خلقهم ، غنياً عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم ؛ لأنه لا تضره معصية من عصاه ، ولا تنفعه طاعة من أطاعه . فقسم بينهم معاشهم ، ووضعهم من الدنيا مواضعهم . فالتقون فيها هم أهل الفضائل ؛ منطلقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيمهم التواضع . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، ووقفوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ . نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ . وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كُتِبَ

١ كالتى : اى كالنفوس التى . والمراد انهم يمتثلون الشدائد صابرين لاملهم الكبير في الله ، ولا يبطروهم الرخاء لخوفهم من الله . فنفوسهم لا تبدل على الحالين .

عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب . عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها ، فهم فيها منعّمون ؛ وهم والنار كمن قد رآها ، فهم فيها معذبون . قلوبهم محزونة ، وشروهم مأمونة ، وأجسادهم خفيفة ، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة . صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة : تجارة مربحة يسرها لهم ربهم . أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وأسرتهم فقدوا أنفسهم منها .

أما الليل فصافثون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن ، يوتلونونه ترتيلاً ، يحزنون به أنفسهم ، ويستثيرون دواء داءهم . فاذا مرثوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً ، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً ، وظنّوا أنها نصب أعينهم ؛ وإذا مرثوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسماع قلوبهم ، وظنّوا أن زفير جهنم وشيقها في أصول آذانهم ، فهم حانون على أوساطهم ، مفترشون لجباههم وأكفهم ورؤسهم وأطراف أقدامهم ، يطلبون إلى الله تعالى في فكلك رقابهم .

وأما النهار فحلّماء علّماء ، أبرار أتقياء ، قد براهم

١ يستثيرون دواء داءهم : أي يستثيرون دموعهم ، دواء لداء حزنهم .

الخوف بريّ القِداح^١ ؛ ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مَرَضِي ،
وما بالقوم من مَرَضِي ، ويقول : قد خولطوا^٢ ! ولقد خالطهم
أمرٌ عظيم : لا يَرْضَوْنَ من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون
الكثير ، فهم لأنفسهم مُتَّهِمُونَ ، ومن أعمالهم مُشْفِقُونَ^٣ .
إذا زَكَّيْنا أحدهم خاف بما يقال له ، فيقول : انا أعلمُ بنفسِي
من غيري ، وربي أعلمُ بي مني بنفسِي ؛ أَللَّهُمَّ لا تَوَاخِذْني بما يقولون ،
واجعلني أَفْضَلَ بما يَظُنُّونَ ، واغفرْ لي ما لا يعلمون !
فَمِنْ علامةِ أحدهم ، أنك ترى له قوَّةً في دين ، وحزماً
في لِينٍ ، وإيماناً في يَقِينٍ ، وحِرْصاً في عِلْمٍ ، وعِلْماً في حِلْمٍ ،
وقصدًا في غِنَى ، وخشوعاً في عِبَادَةٍ ، وتَجَمُّلاً في فِافَةٍ ، وصبراً
في سِدَّةٍ ، وطلباً في حلالٍ ، ونشاطاً في هَدْيٍ ، وتَحَرُّجاً^٤
عن طمعٍ ؛ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وهو على وجلٍ . يَمْسِي
وَهُمُّهُ الشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ وَهُمُّهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِيراً ،

١ القداح : جمع القدح بالكسر ، وهو السهم قبل ان يراش وينصل .

٢ خولطوا : اي خولطوا في عقولهم .

٣ مشفقون : خائفون .

٤ زكي : مدح بالبناء على المجهول .

٥ القصد : الاقتصاد .

٦ التجل : التزين والتصبر .

٧ تخرجاً : تأثماً .

ويُصبحُ فرحاً : حذراً لما حذر من الغفلة ، وفرحاً بما
أصاب من الفضل والرحمة . إن استصعبت عليه نفسه فيما
تكره لم يعطها سُؤلها فيما تحب . قرّة عينه فيما لا يزول ،
وزهادته فيما لا يبقى . يمزجُ الحلم بالعلم ، والقول بالعمل .
تراه قريباً أمه ، قليلاً زلله ، خاشعاً قلبه ، قانعة نفسه ،
منزوراً أكله ، سهلاً أمره ، حريزاً دينه ، ميتة شهوته ،
مكظوماً غيظه . الخيرُ منه مأمولٌ ، والشرُّ منه مأمونٌ . إن
كان في الغافلين كتب في الذاكرين ؛ وإن كان في
الذاكرين لم يكتب من الغافلين^١ . يعفو عمن ظلمه ، ويعطي
من حرّمه ، ويصل من قطعته ، بعيداً فحشه ، ليناً قوله ،
غائباً منكره ، حاضراً معروفه ، مقبلاً خيرُه ، مدبراً شره .
في الزلازل وقوّر ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء
شكور ، لا يحيف^٢ على من يبغيض ، ولا ياثم فيمن يحب .
يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه . لا يضع ما استحفِظ ،
ولا ينسى ما ذكر^٣ ، ولا ينابز^٣ بالألقاب ، ولا يضار

١ في الذاكرين : أي يذكر الله في قلبه . لم يكتب من الغافلين : لانه
يذكر الله بقلبه ولسانه .

٢ يحيف : يبور ويظلم .

٣ ينابز : أي يلقب الناس على سبيل التعمير .

بِالْجَارِ ، وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ ، وَلَا
يُخْرِجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنَّ صَمْتَ لَمْ يَغْمَّهْ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ
لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبْرٌ ، حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ
الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ .
أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بُعْدُهُ عَمَّنْ
تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنِزَاهَةٌ ، وَدُنُوهُ مِنْ دُنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ .
لَيْسَ تَبَاعَدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَةٌ ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدَعَةٌ .
قال : فصق همام صفة كانت نفسه فيها ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

أَمَّا وَاللَّهِ ، لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ !

ثم قال :

هكذا تصنع المواعظُ البالغةُ بأهلها !

فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ؟ (أي فما بالك لا تموت على ما في
نفسك من هذه المواعظ البالغة) فقال :

وَيْحَكَ ! إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ ، وَسَبَبًا
لَا يَتَجَاوَزُهُ ، فَمَهْلًا لَا تَعْدُ لِمِثْلِهَا ؛ فَإِنَّمَا تَفْتَتِ الشَّيْطَانُ عَلَى
لِسَانِكَ !

صفة المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَذَادًا عَنْهُ مِنَ
 الْمَعْصِيَةِ ؛ وَنَسْأَلُهُ لِنَيْتِهِ تَمَامًا ، وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَامًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ
 مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ ١ ،
 وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غَضَّةٍ ٢ ، وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنُونَ ٣ ، وَتَأَلَّبَ
 عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ ٤ ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْنَئَهَا ٥ ، وَضَرَبَتْ
 لِمُحَارِبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا ، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عُدْوَانَهَا ،
 مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ ، وَأَسْحَقِ ٦ الْمَزَارِ .

أَوْصِيَكُمْ ، عِبَادَ اللَّهِ ، بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأُحْذَرُكُمْ أَهْلَ النَّفَاقِ ،
 فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ ، وَالزَّالُّونَ الْمَزِلُّونَ . يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَانًا ،
 وَيَفْتَنُّونَ أَقْنَانًا ، وَيَعِمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ ٧ ، وَيَرْصُدُونَكُمْ

١ ذاد : دفع وطرده .

٢ الغمرة : شدة الشيء ومزدهمه .

٣ اسحق : ابعد .

٤ يعمدونكم : يوجهونكم ، ويفدحونكم . بكل عماد : أي بكل
 امر فادح .

بكلِّ مرصادٍ . قلوبُهُمْ دَوِيَّةٌ^١ ، وصِفاحُهُمْ نَقِيَّةٌ^٢ ، يمشون
الخفاء ، ويدبُّون الضَّرَاءَ^٣ ؛ وصفُهُمْ دواء ، وقولُهُمْ شفاء ،
وفعلُهُم الدَّاء العيَاء ؛ حَسَدَةُ الرَّخَاء ، ومؤكِّدو البلاء ،
ومقنطو الرِّجَاء . لهم بكلِّ طريقٍ صريعٌ ، وإلى كلِّ قلبٍ
شفيعٌ ، ولكلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ . يتقارَضون الثناء ، ويتواقبون
الجزاء . إن سألوا أَلْحَفُوا ، وإن عذَّلوا كَشَفُوا ، وإن حكموا
أَسْرَفُوا . قد أَعَدُّوا لكلِّ حقٍّ باطلاً ، ولكلِّ قائمٍ مائلاً ،
ولكلِّ حيٍّ قاتلاً ، ولكلِّ بابٍ مِفْتَاحاً ، ولكلِّ ليلٍ
مُصباحاً . يتوصَّلون إلى الطَّمَعِ باليأسِ لِيُقِيمُوا بِهِ
أَسْوَاقَهُمْ ، ويُنفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ^٤ . يقولون فَيَشْبَهُونَ^٥ ،
ويَصِفُونَ فِيْمَوْهُونَ ، قد هَوَّنُوا الطريقَ ، وأَضَلُّوا المضيقَ^٦ .
فَهُمْ لُئِمَةُ الشَّيْطَانِ^٧ ، وَحُمَةُ النَّيِّرَانِ^٨ : « أُولَئِكَ حِزْبُ
الشَّيْطَانِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ! »

١ دوية : اي فاسدة مريضة . صفاحهم : وجوههم .

٢ يدبون الضراء : مثل يضرب لمن يختل صاحبه ويخدعه ، اي يمشون
متخفين . والضراء : الاستخفاء ، والشجر المتلف في الوادي .

٣ اعلاقمهم : اشيائهم النفيسة ، والمراد بها بضاعة نفاقهم .

٤ يشبهون : يلبسون الامر ، حتى يلتبس .

٥ اضلُّوا المضيق : اي جعلوه معوجاً ، والمراد انهم جعلوا المضيق معوجاً
بتلبساتهم ، بعدما هونوا طريقه على الناس ، فاذا سلكه سالك اعوج
لاعوجاچه .

٦ اللمة : الاصحاب والمؤنسون ، للواحد والجمع .

٧ الحمة : السم ، وابية الزبور والعقرب ونحوهما .

اصحاب الحديث

من كلام للامام ، وقد سأله سائل عن أحاديث البدع ، وعما في أيدي
الناس من اختلاف الخبر :

إنَّ في أيدي الناس حقًّا وباطلاً ، وصدقًا وكذبًا ،
وناسخًا ومنسوخًا ، وعامًّا وخاصًّا ، ومُحكَّمًا ومُشابهًا ،
وحِفْظًا ووهماً . ولقد كُذِّبَ على رسول الله ، صلى الله عليه
 وآله وسلم ، على عهدِهِ حتى قام خطيباً فقال : « مَنْ كَذَبَ
 عليَّ مُتَعَمِّداً فليَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ! »

وإنما أتاك بالحديثِ أربعة رجالٍ ليس لهم خامسٌ :
رجلٌ منافقٌ مُظهرٌ للإيمانِ ، مُتَضَنِّعٌ بالإسلامِ ، لا يَتَأَثَّمُ
ولا يَتَحَرَّجُ ، يَكْذِبُ على رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ،
مُتَعَمِّداً ؛ فلو علم الناسُ أَنَّهُ منافقٌ كاذبٌ لم يَقْبَلُوا مِنْهُ ، ولم
يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، ولكنهم قالوا : صاحبُ رسول الله ، صلى الله
 عليه وآله وسلم ، رآه ، وسمِعَ مِنْهُ ، وَلَقِيَ عَنْهُ ، فَيَأْخُذُونَ
بقَوْلِهِ ؛ وقد أَخْبَرَكَ اللهُ عنِ المنافقين بما أَخْبَرَكَ ، ووصَفَهُم بما

١ لَقِيَ عَنْهُ : تَتَاوَلَ عَنْهُ .

وصفهم به لك . ثم بقوا بعده ، عليه وآله السلام ، فتقربوا إلى
أمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان ، فولّوهم
الاعمال ، وجعلوهم حكماً على رقاب الناس ، فأكلوا بهم
الدنيا ، وإنا الناس مع الملوك والدنيا ، إلا من عصم الله ؛
فهذا أحد الأربعة .

ورجلٌ سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه ،
فوهم فيه ، ولم يتعمّد كذباً ، فهو في يديه ويرويه ويعمل
به ، ويقول : أنا سمعته من رسول الله ، صلى الله عليه وآله
وسلم ، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه ، ولو علم
هو أنه كذلك لرفضه .

ورجلٌ ثالث سمع من رسول الله ، صلى الله عليه وآله ،
شيئاً يأمر به ، ثم إنه نهى عنه وهو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن
شيء ، ثم أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ المنسوخ ، ولم يحفظ
الناسخ ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه ، ولو علم المسلمون إذ
سنعوه منه أنه منسوخ لرفضوه .

وآخرٌ رابع لم يكذب على الله ، ولا على رسوله ،
مُبغضٌ للكذب خوفاً من الله ، وتعظيماً لرسول الله ، صلى
الله عليه وآله ، ولم يهيم^١ ، بل حفظ ما سمع على وجهه ،

١ يهيم : مضارع وهم .

فجاء به على سَمْعِهِ ، لم يَزِدْ فيه ولم يَنْقُصْ منه ؛ فحفظ
الناسخَ فَعَمِلَ به ، وحَفِظَ المنسوخَ فَجَنَّبَ عنه ؛ وعَرَفَ
الخاصَّ والعامَّ ، فَوَضَعَ كلَّ شيءٍ موضِعَهُ ؛ وعَرَفَ المتشابهَ
ومُحْكَمَهُ .

وقد كان يكونُ من رسولِ الله ، صلى الله عليه وآله ، الكلام
له وجهانِ : فكلامٌ خاصٌّ ، وكلامٌ عامٌّ ، فيسمعه مَنْ
لا يعرفُ ما عَنِ الله ، سبحانه ، به ، ولا ما عَنِ رسولِ الله ،
صلى الله عليه وآله وسلم ، فيحمله السامعُ ، ويوجِّهه على
غيرِ معرفةٍ بَعْنَاهُ ، وما قُصِدَ به ، وما خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ .
وليس كلُّ أَصْحَابِ رسولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، مَنْ
كان يسأله ويستفهمه ؛ حتَّى إن كانوا لَيُجِبُّونَ أَنْ يجيئ
الأعرابيُّ والطاريُّ ، فيسأله ، عليه السلامُ ، حتَّى يسمعوا .
وكان لا يَثُرُ بي من ذلك شيءٌ إلا سألتُ عنه وحَفِظْتُهُ .
فهذه وجوهُ ما عليه الناسُ في اختلافِهِمْ ، وَعِلَلِهِمْ في
رواياتِهِمْ .

دعائم الايمان

الايمانُ على أربعٍ دعائمٍ : على الصبرِ ، واليقينِ ، والعدلِ ،
والجهادِ .

والصبرُ منها على أربعٍ شُعَبٍ : على الشوقِ ، والشَّقِّقِ^١ ،
والزُّهْدِ ، والترَقُّبِ . فَمَنْ اشْتاقَ إلى الجنةِ سلا عن
الشهواتِ ؛ وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النارِ اجْتَنَبَ المحرِّماتِ ؛
وَمَنْ زَهَّدَ في الدُّنيا اسْتَهَانَ بالمصِيباتِ ؛ وَمَنْ ارْتَقَبَ
الموتَ سارعَ إلى الخِيراتِ .

واليقينُ منها على أربعٍ شُعَبٍ : على تبصُّرَةِ الفطنةِ ،
وتأوُّلِ الحِكْمَةِ^٢ ، وموعِظَةِ العِبَرَةِ ، وسُنَّةِ الأوَّلِينَ . فَمَنْ
تبصَّرَ في الفطنةِ تبيَّنتَ له الحِكْمَةُ ؛ وَمَنْ تبيَّنتَ له الحِكْمَةُ
عرَفَ العِبَرَةَ ؛ وَمَنْ عرَفَ العِبَرَةَ فكأنما كان في الأوَّلِينَ .
والعدلُ منها على أربعٍ شُعَبٍ : على غائِصِ الفَهْمِ ،

١ الشَّقِّقُ : الخوفُ .

٢ التأوُّلُ : تدبرُ الشيءَ وتفسيره وتقديره .

وَعَوَّرِ الْعِلْمَ ، وَزَهَرِ^١ الْحِكْمَ ، وَرَسَاخَةِ الْحِلْمِ . فَمَنْ
فَهِمَّ عِلْمَ غَوْرِ الْعِلْمِ ؛ وَمَنْ عِلْمَ غَوْرِ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ
الْحِكْمِ ؛ وَمَنْ حِلْمٌ لَمْ يُفْرِطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي النَّاسِ -
حَمِيداً .

وَالْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ،
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالصَّدَقِ فِي الْمَوَاطِنِ^٢ ، وَشَتَانِ^٣
الْفَاسِقِينَ . فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَمَنْ نَهَى
عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْوْفَ الْكَافِرِينَ ؛ وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ
قَضَى مَا عَلَيْهِ ؛ وَمَنْ شَتَّى الْفَاسِقِينَ ، وَغَضِبَ اللَّهُ ، غَضِبَ اللَّهُ
لَهُ ، وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

١ الزهرة بالضم : الحسن .

٢ المواطن : أي مواطن القتال .

٣ الشتان : البغض .

دعائم الكفر

الكفرُ على أربعٍ دعائمَ : على التعمُّقِ^١ ، والتنازعِ ،
والزَّيغِ ، والشَّقَاقِ . فَمَنْ تعمَّقَ لم يُنبَ^٢ إلى الحقِّ ؛ ومَنْ
كثُرَ نزاعُه بالجهلِ دامَ عماهُ عنِ الحقِّ ؛ ومَنْ زاغَ ساءت
عندهُ الحسنةُ ، وحسنتُ عندهُ السيئةُ ، وسكِرَ سُكْرَ
الضَّلالةِ ؛ ومَنْ شاقَّ وعُرَّتْ عليه طرقُه ، وأغضَلَ عليه
أمرُه ، وضاقَ عليه مخرجُه .

والشكُّ على أربعٍ سُعَبٍ : على التَّماري^٣ ، والهولِ ، والتردُّدِ ،
والاستسلامِ . فَمَنْ جَعَلَ المِرَاءَ ديناً لم يُصبحْ ليلُه ؛ ومَنْ
هاله ما بين يديه نكصَ على عقبيه ؛ ومَنْ تردَّدَ في الرَّيبِ
وطِئته سنابكُ ؛ الشياطينِ ؛ ومَنْ استسلمَ لهلكةَ الدُّنيا
والآخرةِ هَلَكَ فيهما .

١ التعمق : أي التعمق في البحث للكشف عن الاسرار .

٢ لم ينب : لم يرجع .

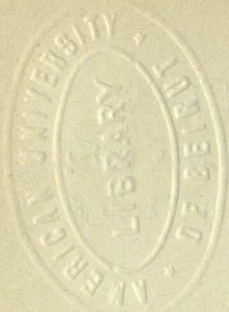
٣ التماري : التجادل ، والتنازع في القول .

٤ السنابك : اطراف الخوافر .

القضاء والقدر

من كلام له وقد سأله سائل : أكان مسيرنا الى الشام بقضاء من الله وقدر؟

ويحك ! لعلك ظننت قضاء لازماً ، وقدرأً حاقماً . ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد . إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الانبياء لعباء ، ولم ينزل الكتاب للعباد عبثاً ، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ؛ و « ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار ! »



طوبى للزاهدين!

وعن نوف البكالي ، قال : رأيت أمير المؤمنين ، عليه السلام ، ذات ليلة وقد خرج من فراشه فظفر في النجوم فقال لي : يا نوف ، أراقد أنت أم راقق ؟ فقلت : بل راقق . قال :

يا نَوْفُ ، طوبى للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ! أولئك قوم اتخذوا الأرضَ بساطاً ، وتراها فراشاً ، وماءها طيباً ، والقرآنَ شعاراً ، والدُّعاءَ دثاراً^١ ، ثم قرضوا الدنيا^٢ قرضاً على منباجِ المسيح .

يا نَوْفُ ، إنَّ داودَ ، عليه السلام ، قام في مثلِ هذه الساعةِ منَ الليلِ فقال :

١ والقرآنَ شعاراً : أي يقرأونه سرراً . والشعار في الأصل ما يلي البدن من الثياب . والدُّعاء دثاراً : أي يرددونه جهاراً . والذثار في الأصل ما فوق الشعار من الثياب .

٢ قرضوا الدنيا : أي قطعوها كما يقطع الثوب بالمقراض .

إنها ساعة لا يدعو فيها عبدٌ إلا استجيب له ، إلا أن
يكون عشاراً^١ ، أو عريفاً^٢ ، أو شرطياً ، أو صاحب
عرطبة^٣ ، أو صاحب كوبة^٤ .

١ العشار : هو الذي يتولى جباية اعشار الاموال .

٢ العريف : من يتعرف وجوه الناس باحثاً عن شخص مطلوب ليثني به
الى طالبه .

٣ المرطبة : الطنبور .

٤ الكوبة : الطبل الصغير المخضر ، اي الدربكة .

علامات المؤمن

المؤمنُ بِشْرُهُ في وجهه ، وحُزْنُهُ في قلبه ؛ أوسعُ
شيء صدرًا ، وأذلُّ شيء نفسًا . يكرهُ الرِّفْعَةَ ، ويشنأُ
السُّمْعَةَ^١ . طويلٌ غمُّه ، بعيدٌ همُّه ، كثيرٌ صمته ، مشغول
وقته ، شكورٌ صبور ، مغمورٌ بفكرته ، ضنينٌ بجَلَّتِهِ^٢ ،
سهلٌ الخَلِيقَةِ^٣ ، لَيِّنٌ العَرِيكَةِ ، نفسه أصْلَبُ من الصِّلْدِ^٤ ،
وهو أذلُّ من العبدِ .

١ يشنأُ : يفيض . السمعة : التتويه بالذكر .

٢ الخلة : الحاجة .

٣ الخليفة : الطبيعة .

٤ الصلد : الحجر الصلب . والمراد ان نفسه اصاب من الصلد في عقيدتها
وامانها بالحق .

استغفر الله !

قال رجل بحضرته : استغفر الله ! فقال له الامام :

ثَكَلْتِكَ أُمُّكَ ! أتدري ما الاستغفار ؟ الاستغفارُ درجةُ العَلِيِّينَ ، وهو اسمٌ واقعٌ على ستّةٍ معانٍ : أوَّلُها الندمُ على ما مضى ؛ والثاني العزمُ على تركِ العَوْدِ اليه أبداً ؛ والثالثُ أَنْ تُؤدِّيَ إلى المخلوقين حقوقَهم ، حتى تَلْقَى اللهَ أَمْلَسَ ليس عليك تَبِعَةٌ ؛ والرابعُ أَنْ تَعْمِدَ إلى كُلِّ فريضةٍ عليك ضَيَعْتَهَا ، فتؤدِّيَ حقَّها ؛ والخامسُ أَنْ تَعْمِدَ إلى اللحمِ الذي نبتَ على السُّحْتِ ، فتُذَيِّبَهُ بالاحزانِ ، حتى تَلصِقَ الجلدَ بالعظمِ ، وينشأَ بينهما لحمٌ جديدٌ ؛ والسادسُ أَنْ تَذِيقَ الجسمَ أَلَمَ الطاعةِ ، كما أذَقْتَهُ حلاوةَ المعصيةِ ، فعند ذلك تقول : أَسْتَغْفِرُ اللهَ !

١ السحت بالضم : المال الحرام .

النعمة والعصيان

يا ابنَ آدَمَ ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ ، سَبِّحَانِهِ ، يُتَابِعُ عَلَيْكَ
نِعْمَةً ، وَأَنْتَ تَعْصِيهِ ، فَاحْذَرِهِ !

الصلاة على شك

سمع رجلاً من الخوارج يتعبد ويقرأ ، فقال :
نومٌ على يقينٍ خيرٌ من صلاةٍ في شكٍّ .

ترك الدين

لا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِمُصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ ،
إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ .

المعصية والطاعة

احْذَرُ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ ، وَيَقْصِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ ،
فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ! وَإِذَا قَوَّيْتَ فَاقَوْا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ،
وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ .

معنى الاسلام

لأنَّسُنَّ الاسلامَ نسبةً لم ينسبها أحدٌ قبلي :
الاسلامُ هو التسليمُ ؛ والتسليمُ هو اليقينُ ؛ واليقينُ هو
التصديقُ ؛ والتصديقُ هو الاقرارُ ؛ والاقرارُ هو الأداءُ ؛
والاداء هو العملُ .

فرائض

الصلاةُ قربانٌ كلِّ تقيٍّ ؛ والحجُّ جهادٌ كلِّ ضعيفٍ ؛
ولكلِّ شيءٍ زكاةٌ ، وزكاةُ البدنِ الصيامُ ؛ وجهادُ المرأةِ
حُسنُ التبعلِ^١ .

اصلاح النفس

مَنْ أصلحَ سريره ، أصلحَ اللهَ علانيته ؛ ومَنْ عمِلَ لدينه ،
كفاه اللهَ أمرَ دنياه ؛ ومن أحسنَ فيما بينه وبين الله ، أحسنَ
اللهُ ما بينه وبين الناس .

١ حسن التبعل : اطاعة الزوج .

ابواب الله

ما كان الله ليفتح على عبدٍ بابَ الشُّكرِ ، ويُعَلِّقَ عنه
بابَ الزَّيَادَةِ ؛ ولا ليفتحَ على عبدٍ بابَ الدُّعاء ، ويُعَلِّقَ عنه
بابَ الاجابةِ ؛ ولا ليفتحَ لعبدٍ بابَ التَّوبَةِ ، ويُعَلِّقَ عنه
بابَ المَغْفِرَةِ .

لا حول ولا قوة الا بالله !

وسئل عن معنى قولهم : لا حول ولا قوة الا بالله ! فقال :
إنا لا نملكُ مع الله شيئاً ؛ ولا نملكُ إلا ما ملَّكنا . فمضى
ملَّكنا ما هو أملكُ به منا ، كلَّفَنا ؛ ومضى أخذنا منا ،
وضَعَ تكليفه عنا .

حد الايمان

الايانُ معرفةٌ بالقلب ، وإقرارٌ باللسانِ ، وعملٌ بالاركانِ .^١

١ كلَّفنا : اي فرض علينا العمل بما ملَّكنا من القوة عليه .

٢ الاركان : اي اركان الدين ، وهي الواجبات .

القدر

طريقٌ مظلمٌ فلا تسلكوه ، وبجرٌ عميقٌ فلا تلجوه ،
وسرُّ الله فلا تكلفوه .

معنى الزهد

الزُّهْدُ كلُّهُ بين كلمتين من القرآن . قال الله سبحانه :
« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم . » ومن
لم يأسَ على الماضي ، ولم يفرحْ بالآتي ، فقد أخذ الزُّهْدَ
بطرفيه .

التوحيد والعدل الالهي

التوحيدُ ان لا تتوهمه^١ ، والعدلُ ان لا تتهمه^٢ .

١ لا تتوهمه : اي لا تصوره بوهمك ، فتجعله محدوداً كالمخلوقات .

٢ ان لا تتهمه : اي ان لا تتهم عدل الله في امور لم تستطع ان تبين
حكمته فيها .

الدنيا والآخرة

تخففوا !

فإنَّ الغاية ^١ أمامكم ، وإن وراءكم الساعة ^٢ تحذوكم ؛
تخففوا ، تلحقوا ^٣ ؛ فإننا تنتظرُ بأولكم آخركم ؛ .

١ الغاية : الموت ، او اراد بها الثواب والعقاب .

٢ الساعة : يوم القيامة . وقوله وراءكم : لانها تسوق الناس الى موقف الحساب .

٣ تخففوا : اي تخففوا من أثقال أوزاركم . تلحقوا : اي تلحقوا بالفائزين .

٤ اولكم : اي الذين ماتوا . آخركم : اي الذين يموتون آخر الدهر ، وعندئذ تكون القيامة .

بكاء الزاهد

شوهده الامام في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وهو قائم
في محرابه ، قابض على لحيته ، يتململ ويبكي بكاء الحزين ويقول :

يا دنيا ، يا دنيا ، إليك عني ! أيّ تعرّضت ؟ أم إليّ تشوّفت^١ ؟
لا حان حينك ! هيهات ! غرّي غيري ، لا حاجة لي فيك ،
قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها ! فعيشك قصير^٢ ، وخطرك^٢
يسير^٢ ، وأملك حقير^٢ . آه من قلّة الزّاد ، وطول الطريق ،
وبُعدِ السفر ، وعظيم المورد !

١ تشوّفت : تزيّفت .

٢ خطرك . شأنك .

الدنيا آذنت بوداع

أما بعد ، فإن الدنيا قد أدبرت ، وآذنت بوداع ؛ وإن الآخرة قد أشرفت باطلاع . ألا وإن اليوم المضمار ، وغداً السباق ، والسَّبَقَةُ الجنة^١ ، والغاية النار . أفلا تأبئ من خطيئته قبل منيته ؟ ألا عامل لنفسه قبل يومِ بؤسه ؟ ألا وإنكم في أيامِ أملٍ من ورائه أجلٌ ، فمن عيِل في أيامِ أمليه قبلَ حضورِ أجله ، نفعه عمله ، ولم يضره أجله . ومن قصر في أيامِ أمليه قبلَ حضورِ أجله ، فقد خسر عمله ، وضره أجله . ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة ! ألا وإني لم أرَ كالجنة نام طالبها ، ولا كالنارِ نام هاربها ؛ ألا وإنه من لا ينفعه الحقُّ يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى ، يجرَّ به الضلال إلى الردى ؛ ألا وإنكم قد مِرتُم بالظعن ، ودلّتم على الزَّادِ ، وإنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم ، اتِّباعُ الهوى وطولُ الأملِ . تزودوا من الدنيا ما تحرُّزون^٢ أنفسكم به غداً !

١ السبقة بالتحريك : الغاية المحبوبة .

٢ تحرزون : تحفظون .

رفض الدنيا

عبادَ الله ، أوصيكم بالرَّفض هذه الدنيا التاركة لكم ، وإن لم تحبُّوا تركها ؛ والمُبلىة لاجسامكم ، وإن كنتم تحبون تجديدها . فإنما مثلكم ومثلها كسفرٍ سلكوا سبيلاً ، فكانهم قد قطعوه ؛ وأثَّوا علماً ، فكانهم قد بلغوه . وكَم عسى المُجري^٢ إلى الغاية أن يجري إليها ، حتى يبلغها ؟ وما عسى أن يكون بقاء مَنْ له يومٌ لا يعدُّوه ، وطالبٌ حيث يجدُّوه^٣ في الدنيا حتى يفارقها ؟ فلا تناقَسوا في عزِّ الدنيا وفخرها ، ولا تعجِّبوا بزینتها ونعيمها ، ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها ؛ فإن عزَّها وفخرها إلى انقطاعٍ ، وإن زینتها ونعيمها إلى زوالٍ ، وضرائها وبؤسها إلى نفاذٍ ؛ وكلُّ مدَّةٍ فيها إلى انتهاءٍ ، وكلُّ حيٍّ فيها إلى فناءٍ . أوليس لكم في آثار الأولين مُزدجراً ، وفي آبائكم الأولين

١ العلم : الجليل ، والعلامة في الطريق يهتدى بها .

٢ المجري : أي الذي يجري فرسه إلى الغاية .

٣ الحثيث : السريع . وطالبٌ حيث : أي الموت . حذاه : تبعه وساقه امامه .

تبصرة^١ ومعتبر^٢ ، إن كنتم تعقلون ؟ ! أو لم تروا الى الماضين
منكم لا يرجعون ؟ الى الخلف الباقي لا يبقون ؟ أو لستم
تروا أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال شتى : فميت^٣
يُبكى ، وآخر يُعزى ، وصريع مبتلى ، وعائد يعود ،
وآخر بنفسه يجود ، وطالب^٤ للدنيا والموت يطلبه ، وغافل^٥
وليس بمغفول عنه ؟ ! وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي !
ألا فاذكروا هاذم^٦ الذات ، ومنقص^٧ الشهوات ،
وقاطع^٨ الأمنيات ، عند المساورة^٩ للأعمال القبيحة .
واستعينوا الله على أداء واجب حقه ، وما لا يحصى من أعداد
نعمه وإحسانه !

١ ما يمضي : ما زائدة ، او مصدرية .

٢ الهاذم : القاطع .

٣ المساورة : الموائمة .

احذروا الدنيا !

أما بعد ، فإنني أُنذِرُكم الدنيا فإنها حُلوةٌ خَصِرَةٌ ،
 خَفَّتْ بالشهوات ، وَتَجَبَّتْ بالعاجلة ، وراقت بالقليل ،
 وتحلَّتْ بالآمال ، وتَوَيَّنت بالغرور ؛ لا تدوم حَبَوَتُهَا ،
 ولا تَوَمَّنُ فَبَجَعْتُهَا . غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، نافذة
 بائدة ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ ؛ لا تعدُّو ، إذا تناهت إلى أُمْنِيَّةٍ أَهْلِ
 الرِّغْبَةِ فيها والرضاء بها ، أَن تَكُونَ كما قال الله ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :
 « كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ، فَأَصْبَحَ
 هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ » ، وكان الله على كلِّ شيءٍ مُّقْتَدِرًا .
 لم يكن امرؤٌ منها في حَبْوَةٍ ، إِلَّا أَعْقَبَتْهَا عِبْرَةٌ ؛ ولم
 يَلْقَ في سَرَّائِهَا بَطْنًا ، إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْرًا ؛ ولم
 تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةٌ رَخَاءٌ ، إِلَّا هَتَّتْ عَلَيْهِ مُزْنَةً بِلَاءٍ .

١ الحبرة : السرور .

٢ حائلة : متغيرة .

٣ تطله : تَطْرَهُ مطراً قليلاً . الديمية : مطر يدوم في سكون بلا رعد
 وبرق . الرخاء : سعة العيش .

٤ هتنت : مطرت مطراً كثيراً . المزنة : القطعة من السحاب الأبيض ،
 أو ذي الماء .

وحريّ ، إذا أصحت له منتصرةً ، أن تسمي له متكررةً ؛
 وإن جانبٌ منها اعتذّ وذَبَّ واحلّو لي ، أمرٌ منها جانبٌ
 فأوبى^١ . لا ينالُ امرؤ من غضارتها^٢ رغباً ، إلا أرهقته من
 نوائبها تعباً ؛ ولا يسمي منها في جناحِ أمنٍ ، إلا أصبح على قوادمِ
 خوفٍ^٣ . غرارةٌ ، غرورٌ ما فيها ؛ فانيةٌ ، فانٍ من عليها ؛
 لا خيرٍ في شيءٍ من أزوادها ، إلا التقوى . من أفلٍ منها ،
 استكثر مما يؤمنه ؛ ومن استكثر منها ، استكثر مما يوبقه^٤ ،
 وزال عما قليلٍ عنه . كم من واثقٍ بها فجعته ، وذو
 طمأنينةٍ قد صرعه ، وذو أبهةٍ قد جعلته حقيراً ، وذو نخوةٍ
 قد ردّته ذليلاً ! سلطانها دولٌ ، وعيشها رنقٌ^٥ ، وعذبتها

١ أوبى : صار وبيئاً .

٢ الغضارة : التهمة والسعة والخصب .

٣ في جناح امن : اي في ظل امن ، مستوراً وموقى من الاذى . القوادم :
 عشر ريشات في مقدم جناح الطائر ، وهي كبار الريش ، واحدها قادمة .
 والمراد أن الراكب عليها يكون في خوف لانه يخشى السقوط .

٤ الازواد : جمع الزاد .

٥ يوبقه : يهلكه .

٦ رنق : كدر ، بكسر الدال .

أُجَاجٌ^١، وَحُلُوها صَبِيرٌ^٢، وَغِذَاؤُها سِمَامٌ^٣، وَأَسْبَابُها رِمَامٌ^٤.
حَيْثُها يَعْزُضُ^٥ مَوْتٌ، وَصَحِيحُها يَعْزُضُ سُقْمٌ. مَلَكُها
مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُها مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُها^٦ مَنكُوبٌ، وَجَارُها
مَحْرُوبٌ^٧.

أَلَسْتُ فِي مَسَاكِنٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطُولَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى
آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالاً، وَأَعَدَّ عَدِيداً، وَأَكْتَفَ جُنُوداً؟
تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِثَارٍ؛ ثُمَّ ظَنَمُوا عَنْهَا
بَغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ، وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٍ^٨! فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا
سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً يَفِيدِيهِ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنْتْ لَهُمْ
صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ، وَأَوْغَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ،
وَضَعَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَخَاخِرِ، وَوَطَّئَتْهُمْ بِالْمُنَاسِمِ،
وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمُ رَيْبَ الْمُنُونِ^٩!

١ اجاج : حارق بملوحته .

٢ الصبر : عصارة شجر مر .

٣ السم : جمع السم .

٤ الاسباب : الجبال . الرمام : جمع الرمة ، وهي القطعة البالية من الجبل .

٥ بعرض : بجانب .

٦ موفورها : اي ذو الوفرة والثروة .

٧ محروب : مسلوب .

٨ ظهر قاطع : اي ظهر مطية تقطع براكبها الطريق .

٩ ريب امنون : صرف الدهر .

فقد رأيتم تنكثوها لمن دان لها وآثرها ، وأخذها ! حتى
ظعنوا عنها لفراق الأبد ! وهل زودتهم إلا السَّغْبَ ١ ، أو
أحلبهم إلا الصَّنَك ٢ ، أو نوّرت لهم إلا الظُّلْمَة ٣ ، أو أعقبتهم
إلا الندامة ؟ أفهذه تؤثرون ، أم اليها تَطْمِئِنُّونَ ، أم عليها
تَحْرِصُونَ ؟ فبُسَّتِ الدَّارُ لمن لم يتَّهَمْهَا ، ولم يكن فيها على
وجلٍ منها ! فاعلموا ، وأنتم تعلمون ، بأنكم تاركوها ،
وظاعنون عنها ؛ واتَّعِظُوا فيها بالذين قالوا : « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا
قُوَّةً ! » حَمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وأنزلوا
الأجداثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وجُعِلَ لهم مِنَ الصَّفِيحِ
أَجْنَانٌ ٤ ، وَمِنَ التَّرَابِ أَكْفَانٌ ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ ؛
فهم جيرةٌ لَا يَجِبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ، وَلَا يَبَالُونَ
مَنْدَبَةً ٥ . إِنْ جِئْتُمْ لَا يَفْرَحُوا ، وَإِنْ فُحِطَوا لَمْ يَقْنَطُوا .
جميعٌ وهم آحادٌ ، وجيرةٌ وهم أبعادٌ . مَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ ،
وقريبون لَا يَتَقَارَبُونَ . حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءُ

١ السَّغْبُ : الجوع .

٢ الصَّفِيحُ : وجه كل شيء عريض ، والمراد وجه الأرض . وفسره ابن أبي

الحديد بمعنى الحجارة . الأجنان : القبور ، واحداها جن .

٣ المندبة : الدب على الميت .

٤ جئوا : أي جادهم المطر .

قد ماتت أحقادهم . لا يُخشى فجعهم ، ولا يرجى دفعهم .
استبدلوا بظَهْرِ الأرضِ بطناً ، وبالسَّعَةِ ضيقاً ، وبالأهلِ
غربةً ، وبالنورِ ظلمةً ؛ فجاءوها كما فارقوها حفاةً عراةً ،
قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياةِ الدائمةِ ، والدارِ الباقيةِ ،
كما قال سبحانه : « كما بدأنا أولَ خلقٍ نُعيدُه ، وعداً علينا ،
إنا كنا فاعلين . »

قيام الساعة

فَاللَّهُ ، اللَّهُ ، عباد الله ! فَإِنَّ الدُّنْيَا ماضيةٌ بكم على سَنَنِ ١ ،
وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ ٢ . وَكَأَنَّمَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا ،
وَأُزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا ٣ ، وَوَقَفَتْ بكم على صَرَاطِهَا . وَكَأَنَّمَا قَدْ
أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا ، وَأَنَاخَتْ بِكَلَالِهَا ٤ ، وَانصَرَمَتِ الدُّنْيَا
بِأَهْلِهَا ، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حَضْنِهَا ، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى ، أَوْ
شَهْرٍ انْقَضَى ، وَصَارَ جَدِيدُهَا رُتًّا ، وَسَمِينُهَا غَتًّا ٥ . فِي مَوْقِفِ
ضَنْكِ الْمَقَامِ ، وَأُمُورٍ مُسْتَبْهَةِ عِظَامٍ ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَسِبِهَا ٦ ،
عَالٍ لَجْبُهَا ، سَاطِعٍ لَهْبُهَا ، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا ، مُتَأَجِّجٍ
سَعِيرُهَا ، بَعِيدٍ خُمُودُهَا ، ذَاكَ ٧ وَقُودُهَا ، نَخِيفٍ وَعِيدُهَا ،

١ السنن : نهج الطريق ووجهته .

٢ القرن : الجبل يجمع به البعيران .

٣ الاشرط : العلامات . الافراط : الاعلام ، اي الدلائل .

٤ كلالها : صدورها .

٥ الغت : الهزيل .

٦ الكلب : الغضب والهياج بما يشبه الجنون ، والاكل الكثير بلا شبع .

٧ ذاك : شديد الاله .

غمّ قرارها ، مظلمة أقطارها ، حامية قدورها ، فظيعة
أمورها : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً . » قد
أمن العذاب ، وانقطع العتاب ، وزُحزحوا عن النار ،
واطمأنت بهم الدار ، ورضوا المثوى والقرار . الذين كانت
أعمالهم في الدنيا زاكية ، وأعينهم باكية ، وكان ليلهم في
دنياهم نهراً ، تحشعاً واستغفاراً ، وكان نهارهم ليلاً ، توحشاً
وانقطاعاً . فجعل الله لهم الجنة مآباً ، والجزاء ثواباً ، وكانوا
أحقّ بها وأهلها ، في ملك دائم ، ونعيم قائم .

فارعوا ، عباد الله ، ما بوعايتيه يفوز فائزكم ، وبإضاعته
يخسر مبطلكم ، وبإدروا آجالكم بأعمالكم ، فإنكم
مرتهنون بما أسلفتم ، ومدينون بما قدّمتم ، وكأن قد نزل بكم
المخوف فلا رجعة تنالون ، ولا عثرة تقالون . استعملنا
الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله ، وعفا عنا وعنكم بفضل
رحمته !

١ غم قرارها : أي ذو غم وكرب ، أو شديد الحر .

بين الدنيا والاخرة

من كتاب بعث به الى عبد الله بن عباس ، وكان ابن عباس يقول :
ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله كانتفاعي بهذا الكلام .

أما بعدُ ، فإن المرء قد يسرُّه دركُ ما لم يكن ليفوته ؛
ويسوءه فوتُ ما لم يكن ليدركه ؛ فليكن سروركَ بما
نلتَ من آخرتِكَ ، وليكن أسفُكَ على ما فاتكَ منها . وما
نلتَ من دنياك فلا تُكثِرْ به فرحاً ، وما فاتكَ منها فلا تأس
عليه جزعاً ؛ وليكن همُّكَ فيما بعد الموت .

ضاحك في جنازة

وتبع جنازة فسمع رجلاً يضحك فقال :

كَأَنَّ المَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الحَقَّ فِيهَا
عَلَى غَيْرِنَا وَجِبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ عَمَّا
قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ! نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَادَهُمْ ، وَنَأْكُلُ ثَرَاتِهِمْ ،
كَأَنَّا مَحَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ . ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ ،
وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ !

١ الجائحة : الآفة المهلكة .

الدنيا والآخره عدوان

ورئي عليه ازار خلق مرقوع ، فقيل له في ذلك ، فقال :
يخشع له القلب ، وتذل به النفس ، ويقتدي به المؤمنون .
إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان ، وسبيلان مختلفان ، فمن
أحب الدنيا وتولاتها ، أبغض الآخرة وعادها . وهما بمنزلة
المشرق والمغرب ، وماش بينهما ، كلما قرُب من واحدٍ بعد
من الآخر ، وهما بعد ضرتان !

عجب !

عجبت للبخل يستعجل الفقر الذي منه هرب ، ويفوته
الغنى الذي إياه طلب ، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ،
ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء . وعجبت للمتكبر
الذي كان بالأمس نطفة ويكون غدا جيفة . وعجبت لمن
شك في الله وهو يرى خلق الله . وعجبت لمن نسي الموت
وهو يرى الموتى . وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو
يرى النشأة الأولى . وعجبت لعامر دار الفناء ، وتارك دار
البقاء !!

١ يخشع له : اي للازار الخلق المرقوع .

حديث القبور

قال ، وقد اشرف على القبور بظاهر الكوفة ، بعد رجوعه من صفين :
يا أهل الديارِ الموحِشةِ ، والمحالِّ المَقْفِرَةِ ، والقبورِ
المظْلِمَةِ ؛ يا أهلَ التربةِ ؛ يا اهل الغربة ؛ يا أهلَ الوَحْدَةِ ؛
يا أهلَ الوَحْشَةِ ، أنتم لنا فرطٌ^١ سابقٌ ، ونحن لكم تبعٌ لاحقٌ .
أما الدُّورُ فقد سُكِنَتْ ، وأما الأزواجُ فقد نُكِحَتْ ، وأما
الأموالُ فقد قُسِمَتْ . هذا خبرُ ما عندنا فما خبرُ ما عندكم ؟
ثم التفت الى اصحابه فقال :
أما لو أذن لهم في الكلامِ لأخبروكم : أنَّ خيرَ الزَّادِ
التَّقْوَى .

بين عمليين

شَتَّانَ ما بين عمليين : عملٌ تذهبُ لذَّته وتبقى تَبِيعَتُهُ ،
وعملٌ تذهبُ مؤوَنَتُهُ ويبقى أَجْرُهُ .

نداء الملك

إِنَّ اللَّهَ مَلَكًا ينادي في كلِّ يومٍ : لِدُّوا للموت ،
واجتمعوا للفناء ، وابنوا للخراب !

١ الفرط : المتقدم .

فهرست

۳	علي بن أبي طالب
۹	واقعة الجمل
۱۱	واقعة صفين
۱۵	التحكيم
۱۸	الخوارج
۱۹	مقتل الامام
۲۰	نهج البلاغة
۲۱	الدينيات
۲۴	سياسة الخلافة
۲۷	لاخلاق والاجتماع

الدينيات

صفات الله وعجيب خلقه

۳۱	خلق السماء والأرض
۳۶	صفة خلق آدم عليه السلام
۴۲	خطبة الاشباح
۴۷	منها في صفة السماء

٤٩	.	.	.	.	.	ومنها في صفة الملائكة
٥٤	.	.	.	.	.	ومنها في صفة الارض ودحوها على الماء
٥٨	.	.	.	.	.	في خلق الانسان
٦٠	.	.	.	.	.	بديع خلقه الحفاش
٦٣	.	.	.	.	.	عجيب خلقه الطاووس
٦٨	.	.	.	.	.	عجيب خلق اصناف من الحيوانات
٧٢	.	.	.	.	.	ادراك الله

كتاب الله

٧٣	.	.	.	.	.	في ذكر القرآن
٧٦	.	.	.	.	.	المال والبنون
٧٧	.	.	.	.	.	ذكر الله
٨٠	.	.	.	.	.	وفاة النبي
٨٢	.	.	.	.	.	مناجاة النبي

في الايمان والكفر

٨٣	.	.	.	.	.	خطأ الفرق
٨٥	.	.	.	.	.	صفة المتقين
٩٠	.	.	.	.	.	صفة المنافقين
٩٢	.	.	.	.	.	أصحاب الحديث
٩٥	.	.	.	.	.	دعائم الايمان
٩٧	.	.	.	.	.	دعائم الكفر
٩٨	.	.	.	.	.	القضاء والقدر

٩٩	.	.	.	.	.	طوبى للزاهدين
١٠١	.	.	.	.	.	علامات المؤمن
١٠٢	.	.	.	.	.	استغفر الله
١٠٣	.	.	.	.	.	النعمة والعصيان
١٠٣	.	.	.	.	.	الصلاة على شك
١٠٣	.	.	.	.	.	ترك الدين
١٠٣	.	.	.	.	.	المعصية والطاعة
١٠٤	.	.	.	.	.	معنى الاسلام
١٠٤	.	.	.	.	.	فرائض
١٠٤	.	.	.	.	.	اصلاح النفس
١٠٥	.	.	.	.	.	ابواب الله
١٠٥	.	.	.	.	.	لا حول ولا قوة الا بالله
١٠٥	.	.	.	.	.	حد الايمان
١٠٦	.	.	.	.	.	القدر
١٠٦	.	.	.	.	.	معنى الزهد
١٠٦	.	.	.	.	.	التوحيد والعدل الالهي

الدنيا والآخرة

١٠٧	.	.	.	.	.	تحففوا
١٠٨	.	.	.	.	.	بكاء الزاهد
١٠٩	.	.	.	.	.	الدنيا آذنت بوداع
١١٠	.	.	.	.	.	رفض الدنيا
١١٢	.	.	.	.	.	احذروا الدنيا

١١٧	.	.	.	.	.	قيام الساعة
١١٩	.	.	.	.	.	بين الدنيا والآخرة
١١٩	.	.	.	.	.	ضاحك في جنازة
١٢٠	.	.	.	.	.	الدنيا والآخرة عدوان
١٢٠	.	.	.	.	.	عجب
١٢١	.	.	.	.	.	حديث القبور
١٢١	.	.	.	.	.	بين عمليين
١٢١	.	.	.	.	.	نداء الملك

مناهل الادب العربي

- | | |
|----|-------------------------------------|
| ١ | جبران خليل جبران |
| ٢ | ميخائيل نعيمة |
| ٣ | احمد فارس الشدياق |
| ٤ | ولي الدين يكن |
| ٥ | أمين الريحاني |
| ٦ | ابو العلاء المعري - رسالة الغفران ١ |
| ٧ | أبو العلاء المعري - رسالة الغفران ٢ |
| ٨ | أبو العلاء المعري - كتب مختلفة |
| ٩ | أبو العلاء المعري - اللزوميات ١ |
| ١٠ | ابو العلاء المعري - اللزوميات ٢ |
| ١١ | بطرس البستاني |
| ١٢ | ابراهيم اليازجي * |
| ١٣ | ابراهيم اليازجي ** |
| ١٤ | الشريف الرضي * |
| ١٥ | الشريف الرضي ** |
| ١٦ | الشريف الرضي *** |
| ١٧ | كرم ملحم كرم |
| ١٨ | الموشحات الاندلسية * |
| ١٩ | الموشحات الاندلسية ** |
| ٢٠ | الموشحات الاندلسية *** |

٢١	ابن خلدون - المقدمة *
٢٢	ابن خلدون - المقدمة **
٢٣	ابن خلدون - المقدمة ***
٢٤	ابن خلدون - المقدمة ****
٢٥	ابن خلدون - المقدمة *****
٢٦	الامام علي - نهج البلاغة *

مَنَاهِلُ الدُّرَرِ الْعَرَبِيَّةِ

٢٧

مَخْتَارَاتٌ مِنْ

الْإِمَامِ عَسَلِي

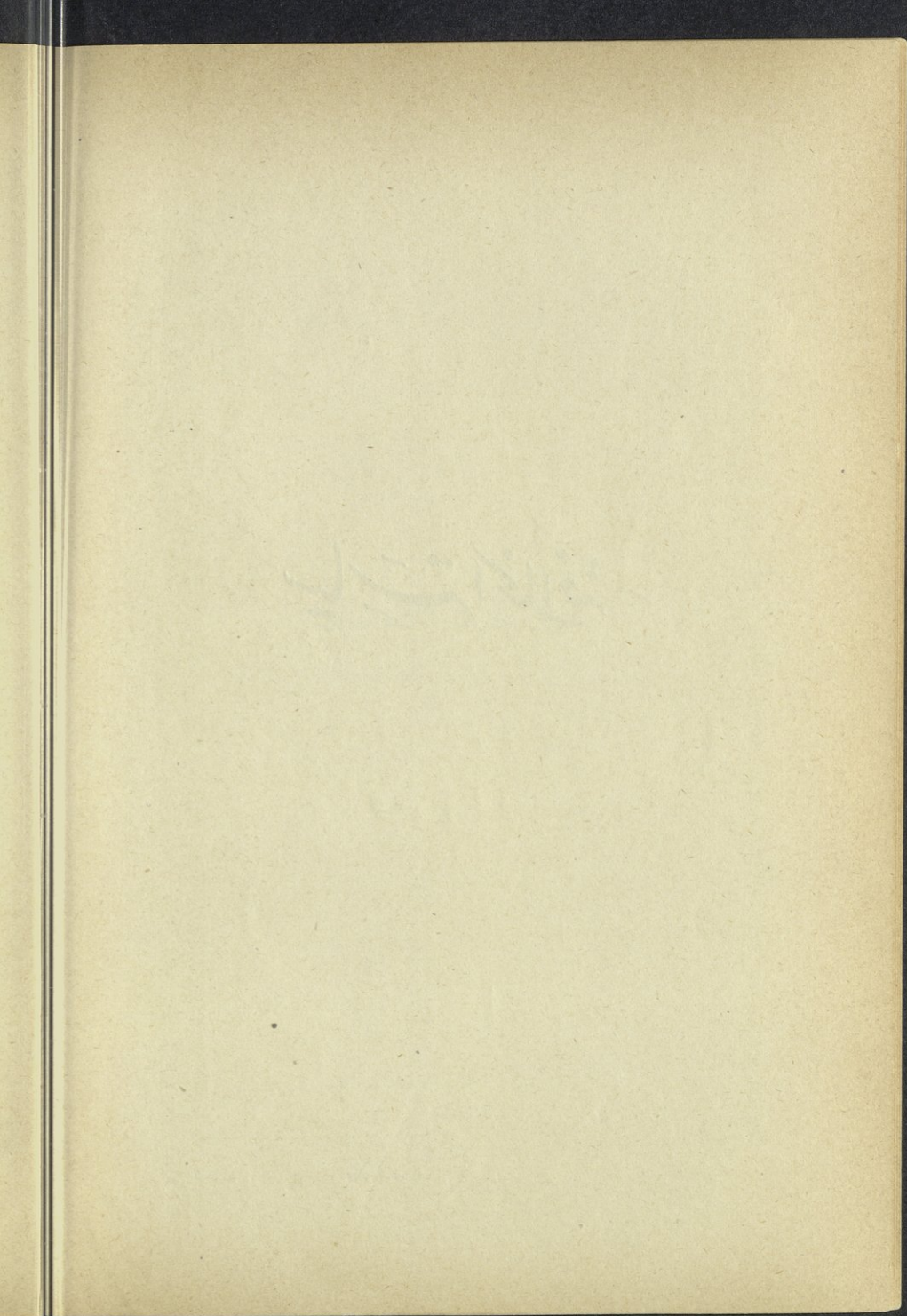
نَهْجُ الْبَلَاغَةِ

مَكْتَبَةُ صَادِر
بَيْرُوت

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

مطبعة المناهل : ٤٤ - ١٩٥٠

سیاستِ اختلافہ



قبل مباحثه

الخطبة الشقشقية^١

أما والله لقد تَقَمَّصَهَا ابن أبي قُحَافَةَ^٢ ، وإنه لَيَعْلَمُ أَنَّ
مَحَلِّيَّ مِنْهَا حُلَّ الْقُطْبِ^٣ مِنَ الرَّحَى ، يَنْحَدِرُ عَنِ السَّيْلِ^٤ ،
وَلَا يَرْقَى إِلَى الطَّيْرِ . فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا^٥ ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا
كَشْحًا^٦ . وَطَفِيقْتُ أُرْتَبِي بَيْنَ أَنْ أُصُولَ بِيَدِ جَذَاءٍ^٧ ، أَوْ

-
- ١ سميت الشقشقية لقوله فيها : شقشقة هدرت ثم قرئت .
٢ تقمصها : لبسها كالقميص ، والضمير يعود على الخلافة . ابن أبي قحافة : أي أبو
بكر ، هذه رواية ابن أبي الحديد ، ورواها الشيخ محمد عبده : تقمصها
فلان ، والمراد أيضاً أبو بكر .
٣ القطب : حديدة تدور عليها الرحى .
٤ ينحدر عني السيل : أي الخير والفضل ، يشير إلى قرابته للتي .
٥ سدلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا : أي أَرخِيتْ دُونَهَا حِجَابًا .
٦ طَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا : أي مَلَتُ عَنْهَا ، وَقَطَعْتُهَا . وَالْكَشْحُ : مَا يَبْنِي الْخَاصِرَةَ
إِلَى الضِّلَعِ الْخَلْفِ .
٧ جَذَاءٌ : مَقْطُوعَةٌ .

أصبرَ على طَخِيَةِ عَمِيَاء^١ ، يَرَمُ فيها الكبيرُ ، ويشيب فيها الصغيرُ ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربّه . فرأيت أن الصبر على هاتَا^٢ أحجى ، فصبرت وفي العين قَدَيّ ، وفي الحلق شجاً ، أرى تراثي نهياً ، حتى مضى الأولُ لسبيله ، فأدلى بها إلى ابن الخطاب^٣ بعده :

شَتَّانَ ما يومِي على كورِها ، ويومُ حَيَّانَ أَخِي جابِرٍ ؛
فيا عجباً ! بينا هو يستقيْلُها في حياته ، إذ عقدَها لآخرِ
بعدَ وفاته ، لشدِّ ما تشطَّرَا^٤ ضرعيها . فصيرَها في حوزة

١ الطخية : الظلمة .

٢ هاتا : بمعنى هذه ، الهاء للتثنية ، وتا للإشارة بمعنى ذي .

٣ ابن الخطاب : رواية ابن أبي الحديد ، وفلان : رواية الشيخ محمد عبده .

٤ البيت للأعشى . كورها : أي رحل الناقة . حيان : كان سيداً من بني جنيقة وأوسع النعمة ، وكان الأعشى ينادمه ، وله أخ أصغر منه يقال له جابر . يظهر هنا الفرق بين حالته في السفر على كور ناقته ، وحالته في الدعة والسكون وهو ينادم حيان . ويمثل الامام بهذا البيت لتبيان حالته في الخلافة الاولى والثانية .

٥ يستقيها : روي ان ابا بكر قال بعد البيعة : « اقبلوني فليست بخيركم . » ومن الناس من انكر ذلك ولم يروه ، وانما روى قوله : وليتكم ولست بخيركم .

٦ لشد ما : شد بمعنى ما اشد للتعجب ، واللام للتوكيد ، وما مصدرية ، أي ما اشد ما . تشطرا : أي اقتسما .

خَشَاءَ يَغْلُظُ كَلَامُهَا^١، وَيَحْشُنُ مَشْهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا،
وَالْإِعْذَارُ مِنْهَا. فَصَاحِبُهَا كِرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنَّ أَسْنَقَ لَهَا
خَرَمَ^٢، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمُ^٣. فَمُنَى النَّاسِ، لَعَمْرُ اللَّهِ،
بِجَبْطِ شِمَاسٍ^٤، وَتَلَوْنٍ وَاعْتِرَاضٍ. فَصَبَرْتُ عَلَى طَوْلِ
الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمُحَنَةِ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ
زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لِلَّهِ وَلِلشُّورَى، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ^٥
فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صَرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ! لَكِنِّي
أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفُتُوا، وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا، فَضَعَى رَجُلٌ مِنْهُمْ

١ الحوزة : الناحية . الكلام بالضم : الأرض الغليظة . ورواها ابن أبي الحديد
كلها ، أي جرحها .

٢ الصعبة : من الأبل ما ليست بذلول . اسنق البعير وشنقه : كفه بزمامه حتى
ألصق أذنه بقادمة الرجل ، أو رفع رأسه وهو راكبه . وقوله : أسنق لها ،
ليقابل بها أسلس لها ، ومثل هذا كثير في كلامهم . خرم : أي خرم
انفها بشده .

٣ تقحم : رمى بنفسه في الأمر العظيم من غير روية وثبت ، والمراد : تعرض
للخطر .

٤ مني : بلي واصيب . الجبط : السير على غير جادة . الشماس : النفار .

٥ جعل عمر بن الخطاب قبل وفاته مجلس شورى للخلافة من ستة أشخاص بينهم
علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان ، فتشاوروا فيما بينهم ، وبايعوا عثمان
بعد جدال .

٦ اسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه ، والمراد : فعلت مثلاً فعلوا .

لِضَغِينِهِ^١، وَمَالَ الْآخِرُ لِحَصِيرِهِ^٢، مَعَ هَنٍ وَهْنٍ^٣؛ إِلَى أَنْ قَامَ
ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنِيهِ بَيْنَ نَشْلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ^٤، وَقَامَ مَعَهُ
يَمُونُ أَبِيهِ يَحْضِمُونَ^٥، مَا لَ اللَّهِ خَضَمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ،
إِلَى أَنْ انْتَكَشَ قَتْلَهُ^٦، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ، وَكَبَتْ بِهِ
بِطْنَتُهُ^٧. فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبْعِ إِلَى^٨، يَنْتَالُونَ^٩
عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ^٩

-
- ١ صغى : مال . رجل : قيل اراد به سعد بن أبي وقاص ، وسبب ضغنه ان
الامام قتل أخواله صناديد قريش من بني عبد شمس يوم بدر .
٢ الآخر : اي عبد الرحمن بن عوف ، وكان صهراً لعثمان ، زوج اخته لأمه .
٣ هن وهن : شيء وشيء ، والمراد أمور لا يحسن التصريح بها .
٤ ثالث القوم : اي عثمان . نافجاً : رافعاً . يقال : جاء نافجاً حضييه ، للمتكبر ،
ولن امتلاً بطنه من الطعام ، والمعنى الاخير هو المقصود . النشل : الروث .
المعتلف : موضع العلف .
٥ يحضمون : أي يأكلون ملء أفواههم .
٦ انتكش قتله : أي انتقض أمره ، من قتل الحبل .
٧ البطنة : الاسراف في الشبع .
٨ عرف الضبع : ما على عنقها من الشعر وهو ثخين يضرب به المثل في
الازدحام . ينتالون : يتتابعون مزدحمين ، والمراد انهم ينتالون لمبايعته
على الخلافة .
٩ الحسنان : اي ولداه الحسن والحسين . شق عطفائي : اي خدش جانباي من
شدة الزحام .

عِطْفَايَ ، جَتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِيضَةَ الْغَنَمِ^١ . فلما نهضت
 بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى ، وَقَسَطَ آخَرُونَ^٢
 كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ : « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ
 نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا ،
 وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . » بلى ، والله ! لقد سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا ،
 وَلَكِنَّهُمْ حَلَّتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زَبْرُجُهَا^٣ . أما
 وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ
 الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ^٤ ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يَقَارُوا
 عَلَى كِطْطَةِ ظَالِمٍ ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ^٥ ، لَأَثَقْتُ حَبْلَهَا عَلَى
 غَارِبِهَا^٦ ، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أَوَّلِهَا ، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ

١ ربيعة الغنم : اي الطائفة الرابضة من الغنم ، يصف شدة ازدحامهم حوله ،
 وجنومهم بين يديه .

٢ نكثت طائفة : اي الذين حاربوه يوم الجمل . ومرقت اخري : اي الخوارج .
 قسط : جار ، وقوله : وقسط آخرون ، اي الذين حاربوه يوم صفين .

٣ زبرجها : زينتها .

٤ لولا حضور الحاضر : اي من حضر ليعتبه . الناصر : اي الجيش الذي ناصره .

٥ ان لا يقاروا : من قاره على الشيء اي قر وسكن معه . الكظة : ما يعتري
 الانسان من الثقل عند امتلاء البطن من الطعام . السغب : الجوع .

٦ الغارب : الكاهل ، والمراد : تركت الخلافة وشأنها ، لا راعي لها .

هذه أزهَدَ عندي من عَفْطَةٍ عَنزٍ ١ .

قالوا : وقام إليه رجل من اهل السواد (اي العراق) عند بلوغه الى هذا
الموضع من خطبته فناوله كتاباً ، فأقبل ينظر فيه . قال له ابن عباس رضي الله
عنهما : يا امير المؤمنين ، لو اطردت خطبتك من حيث افضيت . فقال الامام :

هيهات يا ابنَ عباسٍ ، تلك شِقْشِقَةٌ ٢ هدرت ثم قرئت !

قال ابن عباس : فوالله ما اسفت على كلام قط كاسفي على هذا الكلام أن
لا يكون امير المؤمنين ، عليه السلام ، بلغ منه حيث اراد .

١ عَفْطَةُ عَنزٍ : اي عطسة عَنزٍ . ويكثر استعمال العفطة للنعجة ، والنفطة للعنز .

٢ الشَّقْشَقَةُ : شيء كالرئة يخرج البعير من فيه اذا هاج ، وصوته عند اخراجها
يسمى الهدير . ويقال : خطيب ذو شَقْشَقَةٍ ، على تشبيهه بالفحل عند هديره .

معنى قتل عثمان

لو أمرتُ به لكنتُ قاتلاً ؛ أو نهيتُ عنه لكنتُ ناصراً^١ ،
غير أنَّ مَنْ نصره لا يستطيعُ أن يقولَ : خذله مَنْ أنا خيرُ
منه ؛ ومَنْ خذله لا يستطيعُ أن يقولَ : نصره مَنْ هو خيرُ
مني^٢ . وأنا جامعُ لكم أمره : استأثر فأساء الأثرة^٣ ، وجزعتم
فأسأتم الجزع^٣ ، والله حكمٌ واقعٌ في المستأثرِ والجازعِ !

١ ناصراً : أي ناصراً له . أراد أنه لم يأمر بقتل عثمان ، ولا نصره بسيفه .

٢ يقول : إن الذين خذلوه افضل من الذين نصره . فالذين خذلوهم
المهاجرون والانصار ، والذين نصره دون هؤلاء فضلا وتديننا كمروان بن
الحكم وامثاله من الامويين .

٣ استأثر : أي استبد بالامر . جزعتم : أي فقدتم الصبر . فأسأتم الجزع : أي
لم تحسنوا التصرف في جزعكم ، فقتلتموه .

اتهامه بقتل عثمان

بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة في دم عثمان ، فقال :

أولم ينه أُمَيَّةَ علمها بي عن قرني^١ ؟ او ما وزع الجهال
سابقتي عن تهمتي ؟ ولما^٢ وعظهم الله به أبلغ من لساني ! أنا
حجيج^٣ المارقين^٤ ، وخصيم^٥ المرتابين^٦ ، وعلى كتاب الله تُعرض
الأمثال^٧ ، وبما في الصدور تجازي العباد^٨ .

١ قرني : اتهامي وعيبي .

٢ لما : اللام للتأكيد ، وما موصول مبتدأ .

٣ الحجيج : الخصيم ذو الحجاج والخصومة . المارقين : أي الخارجين من الدين .

٤ الأمثال : الحجيج ، واحدها مثل بالتحريك .

ابعاد ابى ذر

كان ابو ذر من كبار الصحابة ، ومن الذين حدثوا عن الرسول ، وكان لا يخشى في الحق لومة لائم ، فلما اعطى عثمان مروان بن الحكم وغيره بيوت الاموال ، جعل ابو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع : بشر الكافرين بعذاب اليم ! ويرفع بذلك صوته ، ويتلو الآية : والذين يكتزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله ، فبشرهم بعذاب اليم ! فرفع امره الى عثمان ، فنهاه ، فلم ينته . واتفق ذات يوم ان عثمان قال والناس حوله : ايجوز للامام ان يأخذ من المال شيئاً قرضاً ، فاذا ايسر قضي ؟ فقال كعب الاحبار : لا بأس بذلك . فقال ابو ذر : يا بن اليهوديين اتعلمنا ديننا ؟! فامر عثمان باخراج ابى ذر الى الشام . فلما جاء دمشق اخذ بنكر على معاوية اشياء يفعلها . فلما بنى الدار الخضراء بدمشق ، قال له ابو ذر : يا معاوية ، ان كانت هذه من مال الله فهي الحيانة ، وان كانت من مالك فهي الاسراف . وما زال كذلك حتى امر معاوية بحبسه ، وكتب الى عثمان يطلعه على خبره ، فاستقدم عثمان ابا ذر الى المدينة ، ثم أمر بابعاده عنها ، ومنع الناس ان يكلموه ، ويشيعوه . فخرج ابو ذر الى الربذة ، وهي قرية على ثلاثة اميال من المدينة على طريق الحجاز ، وتحاماه الناس الا علي بن ابى طالب

وعقيلاً اخاه والحسن والحسين وعمار بن ياسر فاتهم خرجوا معه
 يشيعونه ، فجعل الحسن يكلم ابا ذر ، فقال مروان : ايها يا حسن !
 ألا تعلم ان امير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل ؟ فان كنت
 لا تعلم ، فاعلم ذلك . فحمل علي على مروان ، ف ضرب بالسوط بين
 اذني فرسه وقال له : تنح ، لحاك الله ، الى النار ! فرجع مروان
 مغضباً الى عثمان فاخبره الخبر ، فتلظى على علي . ووقف ابو ذر ،
 فودعه القوم ، فقال له الامام علي :

يا ابا ذر ، انك غضبتَ لله فارحُ مَنْ غضبتَ له . إن
 القومَ خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فترك في
 أيديهم ما خافوك عليه ، واهرب بما خفتهم عليه ؛ فما
 أحوجهم الى ما منعهم ، وما أغناك عما منعوك ! وستعلم
 من الرابح غداً ، والأكثر حسداً ! ولو أن السموات
 والأرض كانتا على عبدٍ رتقاً ثم اتقى الله ، لجعل الله له منهما
 مخرجاً . لا يؤنسك إلا الحق ، ولا يوحشك إلا الباطل ،
 فلو قبلت دنياهم لأحبوك ، ولو قرضت منها^٢ لأمنوك .

١ رتقاً : سداً ، اي مسدودتين .

٢ لو قرضت منها : اي لو اخذت شيئاً من دنياهم .

تحذيره لعثمان

اجتمع الناس الى الامام علي ، وشكوا اليه ما تقوموه على عثمان ،
وسألوه مخاطبته عنهم ، واستغاثه بهم ، فدخل عليه فقال :

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي ، وَقَدْ اسْتَفَرُونِي^١ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ،
وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ! مَا أَعْرَفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ ، وَلَا
أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ لَا تَعْرِفُهُ . إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ ، مَا سَبَقْنَاكَ
إِلَى شَيْءٍ فَتَجْهَرُكَ عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَتُبْلِغُكَهُ ، وَقَدْ
رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا ، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ
كَأَصْحَابِنَا . وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ أَوْلَى
بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَشَيْخَةُ^٢ رَحِمَ مِنْهُمَا ، وَقَدْ نَلْتَ مِنْ
صِهره^٣ مَا لَمْ يَنَالَا ، فَاللَّهُ اللَّهُ^٤ فِي نَفْسِكَ ! فَإِنَّكَ ، وَاللَّهِ ،

١ استفروني : جعلوني سفيراً .

٢ الشويخة : اشتباك القرابة . وكان عثمان من بني أمية بن عبد شمس بن مناف ،
رابع أجداد النبي . وكان أبو بكر من بني قُيم بن مرة ، سابع أجداد النبي .
وكان عمر من بني عدي بن كعب ، ثامن أجداد النبي .

٣ صهره : لان عثمان تزوج بينتي الرسول ، رقية وام كلثوم .

٤ الله الله : أي فاحذر الله ، وراقبه .

ما تُبَصِّرُ من عمى ، ولا تُعَلِّمُ من جهل ! وإنَّ الطُّرُقَ
لواضحةٌ ، وإنَّ أعلامَ الدينِ لقائمةٌ ! فاعلم أنَّ أفضلَ عبادِ
اللهِ ، عند الله ، إمامٌ عادلٌ هُديَ وهُدَى ، فأقام سُنَّةَ
معلومةً ، وأمات بدعةً مجهولة . وإنَّ السُّنَنَ لنيوةٌ لها
أعلامٌ^١ ، وإنَّ البِدَعَ لظاهرةٌ لها أعلام ؛ وإنَّ شرَّ الناسِ ،
عند الله ، إمامٌ جائزٌ ضلَّ وضلَّ به ، وأمات سُنَّةً مأخوذةً ،
وأحيا بدعةً متروكة !

واني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول :
« يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر ،
فيُلْقَى في نارِ جهنم ، فيدورُ فيها كما تدور الرِّحَى ؛ ثم يَرْتَبِطُ
في قعرها . » وإني أنشدك الله أن لا تكونَ إمامَ هذه الأمةِ
المقتولِ ؛ فإنه كان يقال : يُقتلُ في هذه الامةِ إمامٌ يفتحُ
عليها القتلَ والقتالَ إلى يومِ القيامةِ ، ويُلْبِسُ أُمُورَهَا عليها ،
ويُثَبِّتُ الفِتَنَ فيها ، فلا يبصرون الحقَّ من الباطلِ ؛
يموجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً^٢ ، فلا تكوننَّ لمروان

١ اعلام : اي علامات ودلائل .

٢ المرج : بالتسكين الخلط ، وبالتحريك الفساد ، ويسكن للازدواج في قولهم :

الهرج والمرج .

سَيْقَةٌ^١ يسوقك حيث شاء بعد جلال السن ، وتَقْضِي
العُمْرُ !

وسأله عثمان ان يكلم الناس في تأجيله حتى يصلح امرهم ، فقال :
ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول
أمرك اليه .

١ السيقة : ما استاقه العدو من الدواب ، وكان مروان كاتباً ومشيراً لعثمان .

مباينة على الخرفة

استغفأوه

قيل ان الذين ارادوه على البيعة بعد مقتل عثمان ، طلبوا منه ان
يقسم عليهم بيوت الاموال ، فاستغفاهم ، وسألهم ان يطلبوا غيره ،
لانه اذا ولي الخلافة ، يسير بها كما يعلم من امرها ، ولا يميل الى قول
القائل وعتب العاتب .

دعوني والتمسوا غيري ، فإننا مُستقبلون أمراً له وجوه
والوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ؛ وإن
الآفاق قد أغامت ، والمحنة قد تنكرت ! واعلموا أني إن
أجبتكم ركبتم بكم ما اعلم ، ولم أصغ الى قول القائل
وعتب العاتب . وإن تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلي أسمعكم
وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ؛ وأنا لكم وزيراً خيراً لكم
مني أميراً .

اعينوني على انفسكم

قال هذا الكلام بعد بيعته :

لم تكن يبيعكم إيايَ فلتة^١ ، وليس أمري وامركم
واحداً : إني أريدكم الله ، وأنتم تريدونني لانفسكم ! ايها
الناس ، أعينوني على انفسكم ! وإيم الله لا تُصِفَنَّ المظلومَ من
ظالمه ، ولأقودنَّ الظالمَ بِخِزَامَتِهِ^٢ ، حتى أُورِده منهلَ الحقِّ
وإن كان كارهاً !

١ الفلتة : الامر يقع عن غير تدبير ولا روية . قال ابن ابي الحديد : وفي
الكلام تعريض ببيعة ابي بكر ، لقول عمر : كانت بيعة ابي بكر فلتة
وقى الله شرها .

٢ الخِزَامَةُ : حلاقة من شعر تجعل في انف البعير ، ويجعل فيها الزمام .

الى طلحة والزبير

من كلام قاله لطلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة ، وقد عتا عليه من ترك مشورتها ، والاستعانة في الامور بهما :

لقد نقمتمُا يسيراً ، وأرجأتما كثيراً ، ألا تُخبراني أي شيء ،
لكما فيه حق ، دفعتمُكما عنه ؟ وأي قِسمٍ استأثرتُ عليكما
به ؟ أم أي حقٍ رفعه إليَّ أحدٌ من المسلمين ضعفتُ عنه
أم جهلته أم أخطأتُ بابه ؟

والله ، ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ،
ولكنكم دعوتوني إليها ، وحملتموني عليها ، فلما أفضت إلي
نظرتُ الى كتاب الله وما وضع لنا ، وأمرنا بالحكم به ،
فاتَّبَعْتُهُ ، وما استنَّ النبيُّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فاقتديتُ به .
فلم أحتجْ في ذلك إلى رأيكما ، ولا رأي غيركما ، ولا وقع
حكمٌ جهلته ، فأستشيركما وإخواني المسلمين ، ولو كان ذلك
لم أرغب عنكما ، ولا عن غيركما . وأما ما ذكرتما من أمر

١ أرجأتما كثيراً : اي اخرتما ذكر كثير من الحسنات التي لا تدعوكا الى النعمة .

الأسوة^١ ، فإن ذلك أمرٌ لم أحكم أنا فيه برأيي ، ولا وليته
هوئى مني ، بل وجدتُ أنا وأنتما ما جاء به رسول الله ، صلى
الله عليه وآله وسلم ، قد فرغ منه ، فلم أحتج اليكما فيما قد
فرغ الله من قسمه ، وأمضى فيه حكمه ؛ فليس لكما ،
والله ، عندي ولا لغيركما في هذا عتبي^٢ . أخذ الله بقلوبنا
وقلوبكم إلى الحق ، وأهمننا وإياكم الصبر .
رحم الله امرأاً رأى حقاً فأعان عليه ، أو رأى جوراً فردّه ،
وكان عوناً بالحق على صاحبه !

١ الأسوة : أي المساواة بين الناس . وكان الامام قد آثر المساواة بين المسلمين
في قسمة الاموال ، فلم يعجب ذلك طالحة والزبير ، وكانا يؤثران تفضيل اهل
السوابق ، وهما منهم .

٢ العتبي : الرضى ، والرجوع عن الاساءة .

موقفه الجمل

قوة المنطق

ارسل قوم من اهل البصرة رجلاً يقال له كليب الجرمي يستطلع حال الامام مع اصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم ، فبين له امير المؤمنين من امره معهم ما علم به انه على الحق . ثم قال له : بايع ! فقال: اني رسول قوم ، ولا احدث حدثاً حتى ارجع اليهم . فقال له :

أرأيت^١ ، لو أن الذين وراءك بعثوك رائداً تبتغي لهم مساقطة الغيث ، فرجعت اليهم وأخبرتهم عن الكلاء والماء ، فخالفوا الى المعاطش والمجاذب ، ما كنت صانعاً ؟

قال : كنت تاركهم ومخالفهم الى الكلاء والماء . فقال الامام :

فامدد إذا يدك !

فقال الرجل : فوالله ما استطعت ان امتنع عند قيام الحجة علي ، فبايعته عليه

السلام !

١ ارأيت : اي اخبرني .

الى اهل الكوفة

بعث بهذا الكتاب الى اهل الكوفة يحضهم على الجهاد ، عند مسيره
من المدينة الى البصرة :

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة
الأنصار^١ وسنأم العرب !

أما بعد ، فإنني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه
كعبانه : إن الناس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين
أكثر استغتابه^٢ وأقل عتابه . وكان طلحة والزبير أهون^٣
سيرهما فيه الوجيف^٣ ، وأرفق حدائهما العنيف . وكان من
عائشة فيه فلتة غضب^٤ ، فأتيج له قوم فقتلوه ، وبايعني
الناس غير مستكرهين ولا مجبورين ، بل طائعين خيَّرين .

١ الانصار : اي انصاره .

٢ استغتابه : استرضاه .

٣ الوجيف : ضرب من السير سريع . والمواد انهما كانا يعمنان في تحريض الناس
عليه والظعن فيه .

٤ قيل ان عائشة حرضت الناس على عثمان .

واعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها^١ ،
وجاشت جيشَ الرجل ، وقامت الفتنة على القطب^٢ ؛
فأسرِعوا إلى أميركم ، وبادِروا جِهَادَ عدوِّكم ، إن شاء الله !

نقائص النساء

قالها بعد حرب الجمل :

معاشرَ الناسِ ، إنَّ النساءَ نواقصُ الإيمانِ ، نواقصُ
الحُظوظِ ، نواقصُ العقولِ . فأما نقصانُ إيمانِهِنَّ ، فقعودهنَّ
عن الصلاةِ والصيامِ في أيامِ حيضِهِنَّ ؛ وأما نقصانُ عقولِهِنَّ ،
فشهادةُ امرأتينِ كشهادةِ الرجلِ الواحدِ . وأما نقصانُ
حُظوظِهِنَّ ، فمواريثِهِنَّ على الأنصافِ من موارِيثِ الرجالِ .
فاتَّقوا شرارَ النساءِ ، وكونوا من خيارِهِنَّ على حذرٍ ، ولا
تطيعوهنَّ في المعروفِ حتى لا يطعنَ في المنكرِ !

١ دار الهجرة : أي المدينة . قلعت بهم : أي صارت منزل قلعة بالضم ، يعني
منزل رحيل لا يستوطن ، وقلعوا بها : أي فارقوها واتقلعوا عنها .
٢ القطب : المراد به الإمام علي نفسه .

الى اهل البصرة

كنتم جندَ المرأةِ وأتباعَ البهيمةِ^١؛ رغا فأجبتُم ، وعقرِتم
فهرِبتُم . أخلاقُكم دقاقٌ^٢، وعهدُكم شقاقٌ^٣ ، ودينُكم نفاقٌ ،
وماؤُكم زعاقٌ^٤، والمقيمُ بين أظهرِكم مرتَهَنٌ بذنبه ، والشاخصُ
عنكم متدارِكٌ برحمةٍ من ربه . كأني بمسجدِكم كجَوْجُو^٥
سفينةٍ قد بعث الله عليها العذابَ من فوقها ومن تحتها ، وعرق
من في ضَمَنِها !

١ المرأة : اي عائشة . البهيمة : جمل عائشة ، وكانت عليه في هودجها تحريض
عسكر البصرة على قتال علي .

٢ زعاق : ملح .

٣ الجَوْجُو : الصدر . روي ان البصرة غرقت مرتين ، مرة في ايام القادر بالله
ومرة في ايام القائم بامر الله ، ولم يبق الا مسجدها الجامع بارزاً كجَوْجُو السفينة ،
فصح ما توقعه لها أمير المؤمنين . قيل جاءها الماء من بحر فارس من جهة
الموضع المعروف بجزيرة الفرس ، ومن جهة الجبل المعروف ^{بـ}بجبل السنام ،
فخربت دورها ، وغرق كل من في ضَمَنِها ، وهلك كثير من اهلها .

حرمة عائشة

من خطاب لاهل البصرة :

فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه على الله فليفعل !
فإن أطعتموني فاني حاملكم ، إن شاء الله ، على سبيل الجنة ، وإن
كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة .

وأما فلانة فأدر كها رأي النساء ، وضغن على في صدرها
كم رجل القين^١ ، ولو دُعيت لستال من غيري ما أتت إلي ،
لم تفعل . ولها بعد حرمتها الاولى ، والحساب على الله !

١ القين : الخداد .

في طلحة بن عبيد الله

قد كنتُ وما أهددُ بالحرب ، ولا أُرهبُ بالضرب ، وانا
على ما قد وعدني ربي من النصر . والله ، ما استعجل متجرداً
للطلبِ بدمِ عثمانٍ إلا خوفاً من أن يطالبَ بدمه ، لانه
مَظِنَّهُ ، ولم يكن في القومِ أحرصُ عليه^١ منه . فأراد ان
يغالطَ بما أجلب^٢ فيه ليلتبسَ الأمرُ ويقعَ الشكُّ ! ووالله
ما صنع في أمرِ عثمانٍ واحدةً من ثلاثٍ : لئن كان ابنُ عفان
ظالماً ، كما كان يزعمُ ، لقد كان ينبغي له أن يؤازرَ قاتليه ، أو
أن يباذ^٣ ناصريه ، ولئن كان مظلوماً ، لقد كان ينبغي له أن
يكونَ من المنهين عنه^٤ والمعتزين فيه^٥ ، ولئن كان في
شكٍّ من الحاصلتين ، لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركُدَ
جانباً ، ويدعَ الناسَ معه . فما فعل واحدةً من الثلاثِ ،
وجاء بامرٍ لم يُعرفَ بابُه ، ولم تسلمْ معاذيرُه .

١ احرص عليه : اي على سفكه .

٢ أجلب : توعد بشر ، أو جمع الجمع .

٣ يباذ : يناضل .

٤ المنهين : اي الزاجرين والكافين .

٥ المعتزين^٦ : بتشديد الذال المكسورة ، اي المعتذرين الذين لهم عذر ،
ادغمت التاء بالذال .

قتلى قريش

وقال لما مر بطاحه بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد ،
وهما قتيلان يوم الجمل :

لقد أصبح ابو محمد بهذا المكان غريباً ! أما والله لقد كنتُ
أكره أن تكون قريشُ قَتلى تحت بطون الكواكب .
أدركتُ وتري^١ من بني عبد منافٍ وأفلتني أعيان^٢ بني جُمح ؛
لقد اتلعوا^٣ اعناقهم إلى أمرٍ لم يكونوا أهلّه ، فوفصوا^٤ دونه .

١ وتري : تأري .

٢ اعيان : وتروى اعيار ، اي حمير .

٣ اتلعوا : رفعوا .

٤ وفصوا : اندقت اعناقهم .

عرب صفيين

دعاؤه قبل القتال

اللهم رَبَّ السَّقْفِ المرفوع ، والجوِّ المكفوف^١ ، الذي جعلته مَغِيضاً^٢ لليل والنهار ، ومَجْرَى للشمس والقمر ، ومُخْتَلَفاً للنجومِ السَّيَّارة ؛ وجعلتْ سُكَّانَهُ سَبْطاً^٣ من ملائكتك لا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ ؛ وَرَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جعلتها قراراً للأنام ، ومَدْرَجاً للهوامِّ والأنعام^٤ ، وما لا يحصى مما يُرى وبما لا يُرى ؛ وَرَبَّ الْجِبَالِ الرُّوَاسِي الَّتِي جعلتها للارض اوتاداً وللخلقِ اعْتِماداً ، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنَّبْنَا الْبَغْيَ ، وَسَدَّدْنَا لِلْحَقِّ ؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا ، فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ !

١ المكفوف : أي المجموع بعضه الى بعض .

٢ المغيض : مدخل الماء ويجمعه في الارض ، استعاره لليل والنهار .

٣ السبط : الامة .

٤ الهوام : الحشرات . الانعام : الابل والشاة .

أين المانع للذمار^١، والغائر^٢ عند نزول الحقائق^٣ من أهل الحِفاظِ ؟ ! العار وراءكم ، والجنة امامكم !

تأخير القتال

قال ، وقد استبطأ أصحابه اذنه لهم في القتال بصفين :

أما قولكم : أكل ذلك كراهية الموت ؟ ! فوالله ما أبالي أدخلتُ الى الموتِ أو خرج الموتُ اليّ . وأما قولكم : شكاً في أهل الشام^٥ ! فوالله ، ما دفعتُ الحربَ يوماً إلا وأنا اطمعُ أن تلحقَ بي طائفةٌ فتهديَني ، وتعشوا^٦ إلى ضوئي ، وذلك أحبُّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها ، وإن كانت تبوء بآثامها^٧ .

١ الذمار : ما يحامى عنه .

٢ الغائر : ذو الغيرة .

٣ الحقائق : جمع الحقيقة ، وحقيقة الرجل ما يلزمه حفظه ومنعه ويحق عليه الدفاع عنه من أهل بيته .

٤ أهل الحِفاظ : أي الذين يحافظون على حقائقهم .

٥ شكاً في أهل الشام : المراد أن الامام يشك في جواز قتال أهل الشام .

٦ عشوا : تقصد النور الذي بدا لها وهي في الليل .

٧ تبوء : ترجع ، والمراد ترجع الى الله بآثامها .

آداب الفروسية

كان يقول لاصحابه في بعض أيام صفين :

معاشرَ المسلمين ، استشعروا الحُشِيَّةَ^١ ، وتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ ،
وَعَضُّوا عَلَى النُّوَاجِذِ^٢ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى السِّيفِ عَنِ الْمَهِامِ^٣ .
وَأَكْمَلُوا اللَّأْمَةَ^٤ ، وَقَلَقُوا السِّيفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا ،
وَالْحَظُّوا الْخَزَرَ^٥ ، وَاطْعُنُوا الشَّرَرَ^٦ ، وَنَافِحُوا^٧ بِالظُّبَا ، وَصَلُّوا
السِّيفَ بِالْخَطَا^٨ . وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنُ اللَّهِ ، وَمَعَ ابْنِ عَمٍّ

١ استشعروا الحُشِيَّةَ : أي اجعلوها شعاركم ، والشعار من الثياب ما يلي الجلد ،
واراد بها الحُشِيَّةَ من الله .

٢ النواجذ : اضراس العقل ، والعض على النواجذ : كناية عن الصبر والتصلب
في الامور .

٣ انبى : من نبا السيف ، اذا لم يقطع ، والمراد ان الصبر في القتال انجي
للمحارب من الفشل .

٤ اللَّأْمَةُ : الدرع ، واكملها أن يزداد عليها البيضة والسواعد .

٥ الخزر : ان ينظر الانسان بمؤخر عينه ، وهي علامة الغضب .

٦ اطعنوا الشرر : أي يميناً وشمالاً .

٧ نافحوا : ضاربوا .

٨ بالخطا : أي بخطوكم الى عدوكم .

رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم . فعاودوا الكرّ .
 واستحيوا من الفرّ ، فانه عارٌّ في الأعقاب ، وناثرٌ يومَ الحسابِ ،
 وطبيبوا عن أنفسكم نفساً ، وامشوا الى الموتِ مشياً سُجُجاً ؛
 وعليكم بهذا السوادِ الاعظمِ ، والرواقِ المظنَّبِ ٢ ، فاضربوا
 ثَبَجَهُ ٣ ! فانَّ الشيطانَ كامنٌ في كِسْرِهِ ٤ ، قد قدَّم للوثبةِ
 يداً ، وأخَّرَ للنكوصِ رجلاً ! فصدَّ صمداً ٥ ! حتى ينجلي
 لكم عمودُ الحقِّ » وأنتم الأعلونَ ، والله معكم ، ولن
 يتركم أعمالكم ٦ .

١ سججاً : سهلاً

٢ المظنَّب : المشدود بالجمال ، واراد به رواق معاوية ، اي قبته ، وحولها
 ابطال اهل الشام .

٣ الثبج : الوسط .

٤ الكسر : جانب البيت .

٥ الصمد : القصد ، اي فاصمداً له صمداً .

٦ يتركم : ينقصكم ، اي ينقصكم جزاء اعمالكم .

الرفق بالنساء

وصيته لجيشه قبل لقاء العدو بصفين

لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم ، فإنكم ، بحمد الله ، على حجة ،
وترككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم عليهم . فإذا
كانت الهزيمة ، باذن الله ، فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تضيخوا
مُعوراً^١ ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تهيجوا^٢ النساء
بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسبين أمراءكم ؛ فإنهن
ضعيفات القوى والأنفس والعقول ؛ إن كنا لنؤمر^٣ بالكف^٤
عنهن ، وإنهن لمشركات ، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في
الجاهلية بالفهر^٤ ، أو المِراوة فيُعيرُ بها وعقبه من بعده .

١ المعور: الفارس اذا بدا فيه موضع خلل للفرس ، لا يستطيع ان يتنعم ويحميه .

٢ لا تهيجوا : اي لا تثيروا .

٣ لنؤمر : اي يأمرنا الشرع .

٤ الفهر : الحجر ملء الكف .

قتلى صفيين

من خطبة له بالكوفة بعد معركة صفين

أيها الناس ، إني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الانبياء
بها أممهم ، وأديت اليكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم ،
وأدبتكم بسوطي فم تستقيموا ، وحدوتكم بالزواج فلم
تستوسقوا^١ ! الله أنتم ، أتوقعون إماماً غيри يطاء بكم
الطريق ، ويرشدكم السبيل ؟ !

ألا إنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً ، وأقبل منها ما
كان مدبراً ، وأزمع الترحال عباد الله الأخيار ، وباعوا قليلاً
من الدنيا لا يبقى ، بكثير من الآخرة لا يفنى . ما ضرَّ إخواننا
الذين سُفكت دماؤهم وهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء
يسعفون الغُصص ، ويشربون الرِّثق^٢ ، قد ، والله ، لقوا
الله فوقأهم أجورهم ، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم . أين
إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق ؟ أين عمائر ؟

١ لم تستوسقوا : لم تجتمعوا .

٢ الرثق : يسكون النون وكسرها وفتحها : الماء الكدر .

وَأَيْنَ ابْنُ التَّيَّهَانِ ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ^١ ؟ وَأَيْنَ نَظْرَاؤُهُمْ مِنْ
إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ ، وَأُبْرَدَ بَرُّوْسِهِمْ ^٢ إِلَى الْفَجْرِ ؟ !
أَوْه ^٣ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَتَدَبَّرُوا
الْفَرَضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَاوُا السُّنَّةَ ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ ؛ دُعُوا
لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا ، وَوَثَقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ !
ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ ! أَلَا وَإِنِّي مُعَسَّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا ،
فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ !

١ عمار : أي عمار بن ياسر من الصحابة السابقين . ابن التيهان : هو مالك بن
عمرو بن الحارث من الصحابة . ذو الشهادتين : هو خزيمة بن ثابت بن
الفاكه الأنصاري من الأوس ، لقب بذي الشهادتين لأن النبي جعل شهادته
كشهادة رجلين .

٢ أبرد برؤوسهم : أي حملت رؤوسهم مع البريد .

٣ روي أنه قال ذلك بعدما ضرب على لحيته فاطال البكاء .

رسائله الى معاوية

برأته من دم عثمان

من كتاب له الى معاوية

إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ،
على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب
أن يرُدَّ ، وإنا الشورى للمهاجرين والأنصار ؛ فإن اجتمعوا
على رجلٍ وسموه إماماً ، كان ذلك لله رضى ، فان خرج عن
أمرهم خارجٌ بطعنٍ أو ببدعةٍ ، ردوه الى ما خرج منه ؛ فان
أبى ، قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله
ما تولى^١ .

ولعمري ، يا معاوية ، لئن نظرت بعقلك دون هواك ،
لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان ، ولتعلن أني كنت في
عزلة عنه ، إلا أن تتجنى ، فتجنى^٢ ما بدا لك ؛ والسلام .

١ ولله : اي اعرض عنه . ما تولى : اي ما ادبر واعرض . والمراد
ادبر واعرض عن سبيل المؤمنين .

٢ تجنى عليه : ادعى عليه جناية لم يفعلها . تجنى : تستر .

بين السلم والحرب

من كتاب الى جرير بن عبد الله البجلي ، لما ارسله الى معاوية

أما بعد ؛ فاذا أتاك كتابي ، فاحمل معاوية على الفصل
وخذ بالأمر الجزم ؛ ثم خيرهُ بين حربٍ مجلية^١ ، أو
سلمٍ مخزية^٢ ؛ فإن اختار الحرب فانبذ اليه^٣ ، وإن اختار
السلم فخذ بيعته ؛ والسلام.

١ مجلية : اي تحلي المقهورين عن اوطانهم .

٢ مخزية : لان معاوية امتنع عن البيعة ، واختار السلم مشروط بها .

٣ فانبذ اليه : من قولهم نبذ اليه عهده ، اي طرحه وابطله وجاهر بالعداء .

سابقة اهل البيت

من كتاب له الى معاوية

فأراد قومنا^١ قتل نبيّنا ، واجتياح^٢ أصلنا ، وهمّوا بنا
الهموم ، وفعلوا بنا الأفاعيل ، ومنعونا العذب^٣ ، وأجلسونا^٤
الخوف ، واضطرونا الى جبل وعري^٥ ، وأوقدوا لنا نار
الحرب . فعزم الله لنا على الذّب^٦ عن حوزته ، والرّمي من
وراء حرمة ، مؤمننا ينبغي بذلك الأجر ، وكافرنا يحامي
عن الأصل ، ومن أسلم من قريش خلوا بما نحن فيه بحلف
ينعه ، أو عشيرة تقوم دونه ، فهو من القتل بمكان آمن .
وكان رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، إذا احمرّ

١ قومنا : اي قريش في جاهليتها .

٢ الاجتياح : الاستئصال .

٣ العذب : اي العيش أو الماء العذب .

٤ اجلسونا : الزمونا .

٥ جبل وعري : كناية عن خشونة العيش .

٦ حوزته : ناحيته .

البأس^١ ، وأحجم الناس ، قدّم أهل بيته فوقى بهم أصحابه
حرّ الأسنة والسيوف ؛ فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر ،
وقتل حمزة يوم أحد^٢ ، وقتل جعفر يوم مؤتة^٣ ، وأراد
من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة^٤ ،
ولكن آجالهم عجّلت ، ومنيته أجلت ، فيا عجباً للدهر
إذ صرت يُقرن في من لم يسع بقدمي ، ولم تكن له كسابقتي
التي لا يدي أحد بثليها إلا أن يدعي مدّع ما لا أعرفه ، ولا
أظن الله يعرفه ! والحمد لله على كل حال !

وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان اليك ، فاني نظرت في
هذا الأمر ، فلم أراه يسعني دفعهم اليك ولا الى غيرك .
ولعمري ، لئن لم تنزع عن غيبك وشقاقك ، لتعرفنهم عن
قليل يطلبونك ، لا يكلفونك طلبهم في بر ولا بحر ، ولا
جبل ولا سهل ، إلا أنه طلب يسوءك وجدانه ، وزور^٥
لا يسرك لقيانه ، والسلام لأهله !

١ احمر البأس : كناية عن اشتداد القتال مما سال من الدماء .

٢ أراد بذلك نفسه .

٣ الزور : الزيارة ، والزائر الواحد والجمع .

دعوة الى البراز

من كتاب الى معاوية

وكيف أنت صانع ، اذا تكشفت عنك جلايب ما
أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها ، وخدعت بلبثها ؟
دعك فأجبتها ، وقادتك فاتبعتها ، وأمرتك فأطعتها . وإنه
يوشك أن يقفك واقف على ما لا يُنجيك منه مجن^١ ،
فاقعس^٢ عن هذا الأمر ، وخذ أهبة الحساب ، وشمر لما
قد نزل بك ، ولا تمكّن الغواة من سميعك ؛ وإلا تفعل
أعلمك ما أغفلت من نفسك . فانك متوف قد أخذ الشيطان
منك مأخذه ، وبلغ فيك أمله ، وجرى منك مجرى الروح والدم .
ومتى كنتم^٣ يا معاوية ساسة الرعية ، وولاة أمر الأمة ،

١ يقفك : يطلعك . واقف : قيل اراد به الله ، وقيل اراد به الموت ، ويجوز
ان يكون اراد به نفسه ، لقوله بعد ذلك : والا تفعل اعلمك . المجن :
الترس .

٢ اقعس : تأخر .

٣ كنتم : اي انت وقومك بنو امية .

بغير قدم سابقٍ ، ولا شرفٍ باسقى ؟ ونعوذ بالله من لزوم
سوابقِ الشقاء ! وأحذرك أن تكونَ متماذياً في غِرَةِ الأُمْنِيَةِ
مُخْتَلِفِ العَلَانِيَةِ والسِّرِيَةِ .

وقد دعوتَ الى الحربِ فدعِ الناسَ جانباً واخرجْ إلي ،
وأعفِ الفريقينِ مِنَ القتالِ ، لِيُعْلَمَ أَيُّنَا المَرِينُ^٢ على قلبه
والمُعْطَى على بصره . فأنا أبو حسنٍ قاتلُ جَدِّكَ وخَالِكَ
وأخيكَ شَدْخاً^٣ يومَ بدرٍ ، وذلكَ السيفُ معي ، وبذلكَ القلبُ
ألقى عدوِّي ! ما استبدلتُ ديناً ، ولا استحدثتُ نبياً ؛ وإني
لعلى المنهاجِ ؛ الذي تركتموه طائعين ، ودخلتم فيه مكرهين !
وزعمتَ أنك جئتَ ثائراً بعمَّانَ ، ولقد علمتَ حيث وقع
دمُ عثمانَ ، فاطلبه من هناك إن كنتَ طالباً ؛ فكأنني قد
رأيتك تضحُّ منَ الحربِ إذا عضتكَ ضجيجُ الجِمالِ بالأنقالِ ؛
وكأنني بجماعتِكَ تدعوني ، جزعاً من الضربِ المتتابعِ ، والقضاءِ
الواقعِ ، ومَصَارِعَ بعد مَصَارِعَ ، الى كتابِ الله وهي كَافِرَةٌ
جاحدةٌ ، أو مَبَايِعَةٌ حائدةٌ !

١ الغرة : الغفلة والغرور .

٢ المَرِين : المغلوب ، يقال رانَ ذنبه على قلبه .

٣ جد معاوية لأمه : عتبة بن ربيعة . خاله : الوليد بن عتبة . أخوه : حنظلة
ابن أبي سفيان . شَدْخاً : كسراً ، يقال شَدْخَ رأسه .

٤ المنهاج : أي منهاج الدين .

بين محق ومبطل

من كتاب الى معاوية جواباً عن كتاب منه اليه

فأما طلبك إليّ الشام ، فاني لم أكن لأعطيك اليوم ما
منعتك أمس ؛ وأما قولك : « إنَّ الحربَ قد أكلتِ العرب
إلا حشاشاتِ أنفسٍ بقيت . » ألا ومن أكله الحقُّ فإلى
الجنة ، ومن أكله الباطلُ فإلى النار ! وأما استِواؤنا في
الحربِ والرجال ، فلستَ بأمضى على الشكِّ مني على اليقين ؛
وليس أهل الشام بأحرصَ على الدنيا من أهل العراق على
الآخرة . وأما قولك : « إنا بنو عبدٍ منافٍ » فكذلك نحن ،
ولكن ليس أُميةٌ كهاشمٍ ، ولا حربٌ كعبدِ المطلبِ ، ولا
أبو سفيانَ كأيِّ طالبٍ ، ولا المهاجرُ كالطليقِ ^١ ، ولا
الصريحُ كالصيقِ ^٢ ، ولا المحقُّ كالمبطلِ ، ولا المؤمنُ

١ الطليق : هو كل من دخل عليه النبي مكة عنوة ، فملكه ، ثم أطلقه عن
إسلام أو غير إسلام ، بفداء أو بغير فداء ، وكان أبو سفيان ومعاوية من
الطلقاء يوم الفتح .

٢ الصريح : المراد به هنا من اسلم اعتقاداً وأخلاقاً . الصيق : المراد به من
اسلم تحت السيف أو رغبة في الدنيا .

كالدغل^١ ؛ ولبيس الحلفُ خلفاً يتبعُ سلفاً هوى في نار
جهنم !

وفي أيدينا ، بعدُ ، فضلُ النبوةِ التي أذللتنا بها العزيزُ ،
ونعشنا بها الدليلُ . ولما أدخل الله العربَ في دينه أفواجاً ،
وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً ، كنتم ممن دخل في الدين
إما رغبةً^٢ ، وإما رهبةً ، على حين فاز أهلُ السَّبْقِ بسبقهم ،
وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم ، فلا تجعلنَّ للشيطان فيك
نصيياً ، ولا على نفسك سييلاً !

١ المدغل : الفساد والخائن .

٢ رغبة : أي رغبة في الدنيا .

رد وتهديد ونقض

من كتاب الى معاوية جواباً ، وهو من محاسن الكتب

أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمدًا ،
صلى الله عليه وآله ، لدينه ، وتأنيده إياه بمن أيده من أصحابه ،
فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت تحبونا ببلاء الله
تعالى عندنا ، ونعمته علينا في نبينا ، فكنت في ذلك كناقل
التمر الى هجر^٢ أو داعي مسدده الى النضال^٣ . وزعمت
أن أفضل الناس في الاسلام فلان^٤ وفلان^٥ ! فذكرت

١ البلاء : اي البلاء الحسن .

٢ هجر : بلد بالبحرين مشهور بنخيله وثمره ، ومنه المثل : كمبضع تمر الى هجر .

٣ داعي مسدده الى النضال : هذا مثل من قول الشاعر :

اعلمه الرماية كل يوم فلما استند ساعده رماني

استند ساعده : استقام على الرمي . مسدده : معلمه الرماية . النضال : الرماية .

٤ فلان وفلان : اي ابو بكر وعمر ، اراد معاوية بقوله هذا ان يغضب

الامام فيحمله على التبرؤ من الخليفتين الاولين ، والظعن فيهما لفسد عليه

قلوب جنده وانصاره ممن يعتقدون امامة الشيخين ، فلم يخف ذلك على علي ،

فكان متحفظاً في جوابه .

أمرًا إن تمَّ اعتزلَكَ كلُّهُ^١ ، وإن نقص لم يلحقك ثلْمُهُ .
وما أنت والفاضلَ والمفضولَ ، والسائسَ والمسوسَ ، وما
للطلقاء وأبناء الطلقاء ، والتمييزَ بين المهاجرين الأولين ،
وترتيبَ درجاتهم ، وتعريف طبقاتهم ؟ هيهات ! لقد حنَّ قدح
ليس منها^٢ ، وطفِقَ يحْكُمَ فيها مَنْ عليه الحُكْمُ لها ! ألا
ترَبِّعُ^٣ ، أيها الانسانُ ، على ظلمِكَ^٤ ، وتعرفُ قُصُورَ ذرْعِكَ^٥ ،
وتتأخَّرُ حيثُ أخركَ القدرُ ؟ فما عليك غَلَبَةُ المغلوبِ ، ولا
ظَفَرُ الظافرِ ! وإنك لذهَّابٌ في التَّيه ، رَوَّاعٌ عنِ القصدِ !
ألا ترى ، غيرُ خَبرٍ لك ، ولكن بنعمةِ الله أُحْدِثَ ، أن قومًا
استشهدوا في سبيلِ الله من المهاجرين والأنصارِ ، ولكلِّ
فضلٍ ؛ حتى إذا استشهدَ شهيدُنَا ، قيل : « سيدُ الشهداء^٦ » ؛

١ اعتزلَكَ كله : أي ليس لك من فضلها نصيب .

٢ القدح : السهم . ليس منها : أي ليس من بقية السهام ، وهو مثل يضرب لمن
يدخل نفسه بين قوم ليس له أن يدخل بينهم ، ويروى أن قائله عمر بن
الخطاب .

٣ ترَبِّعُ : أي تقيم . الظلع : ميل الناقة من رجلها كالعرج ، ومن الامثال
قولهم : اربع على ظلمك ، أي انك ضعيف ، فانتة عما لا تطيقه .

٤ الذرع : بسط اليد ، ومن ذلك قولهم : ضقت به ذرعاً .

٥ التَّيه : الضلال والكبر . الرواغ : الميل . القصد : الاعتدال .

٦ سيد الشهداء : حمزة بن عبد المطلب ، قتل يوم أحد .

ونخصّه رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه ؟ أولا ترى أن قوماً قُطِّعت أيديهم في سبيل الله ، ولكلّ فضل ؛ حتى إذا فُعِلَ بواحدنا ما فُعِلَ بواحدهم قيل : « الطيارُ في الجنةِ وذو الجناحين ^١ » ؟ ولولا ما نهى الله عنه من تركية المرء نفسه ، لذكرَ ذاكر ^٢ فضائلَ جمّةٍ تعرفُها قلوبُ المؤمنين ، ولا تمجُّها آذانُ السامعين . فدع عنك مَنْ مالت به الرّمية ^٣ ، فإنّا صنائعُ ربِّنا والناسُ بعدُ صنائعُ لنا ، لم يمنعنا قديمَ عزنا ولا عاديّ طولنا ، على قومِك ، أنْ خاطبناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا ففعل الأكفاء ، ولستم هناك ! وأنّى يكونُ ذلك كذلك ؟ ومنا النبيُّ ، ومنكم

١ الطيار في الجنة ، وذو الجناحين : جعفر بن أبي طالب أخو الامام ، قتل في غزوة مؤتة ، قال البلاذري : « قطعت يداه ، ولذلك قال رسول الله ، صلى الله عليه وآله : لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة ، ولذلك سمي الطيار . »

٢ ذاكر : أي الامام نفسه .

٣ الرمية : الصيد يرميه الصائد . قال الشيخ محمد عبده : هو مثل يضرب لمن اعوج غرضه ، فمال عن الاستقامة لطلبه . وشرحه ابن أبي الحديد بقوله : دع عنك ذاكر من مال الى الدنيا ، ومالت به ، أي امانته اليها ، وقال انه اراد بذلك عثمان لان معاوية ذكره في كتابه .

٤ العادي : القديم . الطول : الفضل .

٥ ولستم هناك : أي ولستم أكفاء لنا .

المكذِّب^١ ! ومنا أسدُ الله ، ومنكم أسدُ الاحلاف^٢ ! ومنا
سيد شبابِ أهلِ الجنة^٣ ، ومنكم صبيةُ النارِ^٤ ! ومنا خير نساءِ
العالمين^٥ ، ومنكم حمالةُ الخطب^٦ ! في كثير مما لنا وعليكم .
فإسلامنا ما قد سَمِعَ ، وجاهليتنا^٧ لا تُدفعُ ، وكتاب الله

١ المكذب : يعني ابا سفيان بن حرب ، والد معاوية ، كان يكذب النبي ،
ويجب عليه .

٢ اسد الله : حمزة بن عبد المطلب ، عم النبي ، وعم الإمام علي . اسد
الاحلاف : عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه ، والمراد احلاف قريش في موقعة
بدر . قال الواقدي ما حصله : ان منادي المشركين نادى : يا محمد ، أخرج
الينا الاكفاء من قومنا لثقاتهم . فبرز حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن
عبد المطلب . فقال حمزة : انا اسد الله واسد رسوله . فقال عتبة بن ربيعة :
كفو كريم ، وانا اسد الخلفاء ، من هذان معك ؟ فسامها له ، فقال :
كفو ان كريمان !

٣ سيد شباب اهل الجنة : يعني الحسن والحسين ، كما سماهما النبي .

٤ صبية النار : هي الكلمة التي قالها النبي لعقبة بن أبي معيط حين قتله يوم بدر
وقد قال له مستعظفاً : من للصبية يا محمد ؟ قال : النار . وعقبة من بني عبد
شمس قوم معاوية .

٥ خير نساء العالمين : يعني زوجه فاطمة بنت النبي .

٦ حمالة الخطب : ام جميل بنت حرب بن امية امرأة ابي لهب وعمه معاوية
وكانت تلقي الشوك في طريق النبي وقد ورد نص القرآن بذلك متوعداً لها
ولزوجها .

٧ جاهليتنا : اي شرفنا في الجاهلية .

يجمعُ لنا ما شدَّ عنا وهو قوله : « وأولو الأرحامِ بعضهم أولى ببعضٍ في كتابِ الله » ، وقوله تعالى : « إنَّ أولى الناسِ بإبراهيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وهذا النبيُّ والَّذِينَ آمَنُوا ، واللهُ وليُّ المؤمنين . » فنحن مرةً أولى بالقرابةِ ، وتارةً أولى بالطاعة . ولما احتجَّ المهاجرون على الانصارِ يومَ السَّقِيفَةِ^١ برسولِ الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فَلَجَّجُوا عَلَيْهِمْ^٢ ؛ فإنَّ يكنِ الفلجُ به فالحقُّ لنا دونكم^٣ ، وإن يكنِ بغيره فالانصار على دعواهم ! وزعمتَ أني لكلِّ الخلفاءِ حسدٌ ، وعلى كلِّهم بغيتُ ! فان يكنِ ذلك كذلك فليس الجنايةُ عليك ، فيكونَ العذرُ اليك :

وتلكَ شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها ؛

وقلتَ : إني كنتُ أقادُ كما يُقادُ الجملُ المخشوشُ^٤ حتى

١ يوم السقيفة : يوم اجتمع السامون في سقيفة بني ساعدة بعد موت النبي ، ليختاروا الخليفة ، فقال الانصار للمهاجرين من قريش : « منا امير ومنكم امير . » فاحتجت قريش بانها شجرة الرسول ، ففازت عليهم .

٢ فلججوا عليهم : فازوا عليهم .

٣ الحق لنا دونكم : لان بني هاشم ثمرة الشجرة . وعلى ذلك قوله حين اخبر باحتجاج قريش يوم السقيفة : « احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة . »

٤ الشكاة هنا : الذم والعيب ، وهي في غير هذا الموضع المرض والشكوى .

٥ المخشوش : البعير الذي ادخل في انفه الخشاش ليقاد . والخشاش ككتاب : خشب يجعل في عظم اتق البعير .

أَبِيعَ ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أُرِدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ ! وما على المسلم من غضاظة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ، ولا مرتاباً بيقينه . وهذه حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا ١ ، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا .

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمرِ عثمان ، فلك أن تجاب عن هذه لِرَحِيمِكَ مِنْهُ ؛ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ ؟ أَمَّنْ بِذِلِّ لَهُ نُصْرَتُهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكْفَهَ ٢ ؟ أَمَّنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمُنُونُ إِلَيْهِ ٣ ، حَتَّى أَتَى قَدْرَهُ عَلَيْهِ ؟ ! كَلَّا وَاللَّهِ : « لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ ، وَالْقَائِلِينَ لِأَخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا » . وما كنتُ لِأَعْتَذَرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثًا ،

١ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا : أَيُّ إِلَى مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْخِلَافَةِ .

٢ بِذِلِّ لَهُ نُصْرَتُهُ : أَيُّ الْإِمَامِ . فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكْفَهَ : أَيُّ عَثَانَ .

٣ اسْتَنْصَرَهُ : اسْتَنْصَرَ عَثَانَ بَنِي أُمَيَّةٍ وَمِنْهُمْ مَعَاوِيَةُ ، فَقَعَدُوا عَنْ نُصْرَتِهِ ، وَأَسْلَمُوهُ بِقَعُودِهِ إِلَى الْمُنُونِ .

٤ الْمَعُوقُونَ : الْمَانِعُونَ مِنَ النُّصْرَةِ .

٥ الْأَحْدَاثُ : جَمْعُ حَدَثٍ ، وَهُوَ الْأَمْرُ الْخَادِثُ الْمُنْكَرُ الَّذِي لَيْسَ بِمُعْتَادٍ وَلَا مَعْرُوفٍ فِي السَّنَةِ .

فان كان الذنب اليه إرشادي وهديتي له ، فربّ ملوم
لا ذنب له . وقد يستفيد الظنّة المنتصح^١ ، وما أردت^٢ «إلا
الاصلاح ما استطعت» ، وما توفيتي إلا بالله ، عليه توكلت ، واليه
أُنيب^٣ . »

وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف ! فلقد
أضحكت بعد استيعار^٤ ! متى ألفت بني عبد المطّلب عن
الأعداء ناكين وبالسيف مخوفين ؟ ! لبث^٥ قليلاً يلحق الحميجا
حمل ! فسيطلبك من تطلب^٦ ، ويقرب^٧ منك ما تستبعد ،
وأنا مرقل^٨ه نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين
لهم باحسان ، شديد زحامهم ، ساطع قتامهم^٩ ، متسربلين سربال
الموت ، أحب اللقاء اليهم لقاء ربهم ، قد صحبتهم ذرية^{١٠}
بدرية^{١١} ، وسيوف هاشمية^{١٢} ، قد عرفت مواقع نصالها في
أخيك وخالك وجدك وأهلك ! «وما هي من الظالمين ببعيد !»

١ الظنة: التهمة . المنتصح : باذل النصح بسخاء . وصدر البيت :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة

٢ أنيب : أتوب .

٣ الاستيعار : البكاء ، وبكاؤه على ما يصيب المسلمين من الشقاق .

٤ لبث : أي أمهل . حمل : اسم رجل في الجاهلية اغير على ابله فاستنقذها ،

والمثل يضرب للتهديد .

٥ مرقل : مسرع .

٦ ساطع : منتشر . قتامهم : غبارهم .

٧ بدرية : أي من الذين شهدوا موقعة بدر .

الخوارج والتكليم

انذار

وقال ينذر الخوارج من أهل النهروان ويحذرهم :

فأنا نذيركم أن تُصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر ، وبأهضام
هذا الغائط^١ ، على غير بيّنة من ربّكم ، ولا سلطانٍ مُبينٍ معكم .
قد طوّحتُ بكم الدار^٢ ، واحتبلكم^٣ المقدار^٤ ، وقد كنتُ
نهيتمكم عن هذه الحكومة^٣ فأبيتُم عليّ إباء المخالفين المنابذين ،
حتى صرقتُ رأيي إلى هواكم ، وأنتم معاشرُ أخفّاء الهام ،
سفهاء الاحلام . ولم آتِ ، لا أبا لكم ، بُجراً ، ولا أردت
لكم ضرّاً !

١ الاهضام: جمع هضم وهو المظعن من الوادي. الغائط: ما سفل من الارض.

٢ احتبلكم: أوقعكم في حبالته .

٣ الحكومة: أي التكليم .

٤ البجر: الشر .

لا حِلْمَ الا لله

ومن كلام له لما سمع قول الخوارج : لا حِكْمَ الا لله .

كلمة 'حق' يراد بها الباطل ! نعم ، إنه لا حُكْمَ إِلَّا لله ،
ولكن هؤلاء يقولون : « لا إمرة إِلَّا لله . » وإنه لا بدَّ
للناس من أميرٍ برٍّ أو فاجرٍ يعملُ في إمرته المؤمنُ ،
ويستمعُ فيها الكافرُ ، ويُبلِّغُ الله فيها الأجلُ ^١ ، ويُجمعُ
به الفيء ^٢ ، ويقَاتِلُ به العدو ، وتَأْمَنُ به السبلُ ، ويؤخذُ به
للضعيفِ من القويِّ حتى يستريحَ برٌّ ويستراحَ من فاجر !

آخِرُهُمْ لَصُوص

ولما قتل الخوارج قتل له : يا أمير المؤمنين هلك القوم باجمعهم ، فقال :

كلا والله ، إنهم نُظفُ في أصلابِ الرجالِ وقراراتِ
النساء ، كلما نجمَ منهم قرنٌ قُطِعَ ، حتى يكونَ آخِرُهُم
لصوصاً سلابين .

١ يبلغ الله فيها الأجل : أي ينتهي أجلها المحدود .

٢ به : الضمير للامير . الفيء : مال الخراج .

دون النطفة

وقال لما عزم على حرب الخوارج وقيل له ان القوم قد عبروا جسر
النهر وان :

مصارعهم دون النطفة^١ ، والله لا يُفْلِتُ منهم عشرة^٢ ولا
يهلكُ منكم عشرة^٣.

الخوارج ومعاوية

لا تقتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحقَّ فأخطأه
كمن طلب الباطل^٣ فأدركه .

١ النطفة : قال الشريف الرضي : يعني بالنطفة ماء النهر وهي افسح كتابة عن الماء
وان كان كثيراً جداً .

٢ روي انه لم يفلت من الخوارج الا تسعة، ولم يقتل من أصحاب الامام الا ثمانية.

٣ طلب الباطل : قال الشريف الرضي: يعني معاوية وأصحابه .

رفع المصاحف

من كلام قاله للخوارج ، وقد خرج الى معسكرهم ، وهم مقيمون على انكار التحكيم :

ألكم شهد معنا صفين ؟

فقالوا : منا من شهد ومنا من لم يشهد . قال :

فامتازوا فرقتين ، فليكن من شهد صفين فرقة ، ومن لم يشهدا فرقة ، حتى ألكم كلا بكلامه .

ونادى الناس فقال :

أمسكوا عن الكلام وأنصتوا لقولي ، وأقبلوا بأفئدتكم إليّ ، فمن نشدناه شهادةً فليقل بعلمه فيها .

ثم كلمهم بكلام طويل منه قوله :

ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف ، حيلةً ، وغيلةً ، ومكرًا ، وخديعةً : « إخواننا ، وأهل دعوتنا استقالونا » ، واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه ، فالرأي القبول منهم ،

١ استقالونا : طلبوا منا ان نقبل عثرتهم ، اي نرفعها ونقيمها .

والتنفيس عنهم» ؟ فقلتُ لكم : « هذا أمرٌ ظاهره إيمانٌ ،
وباطنه عُدوانٌ ، وأوله رحمةٌ ، وآخره ندامةٌ ، فأقيموا
على شأنكم ، والزموا طريقَتكم ، وعَضُّوا على الجهاد بنواجذكم^١ ،
ولا تلتفتوا إلى ناعقٍ نَعَقَ ، إن أُجِيبَ أضلُّ ، وإن تُرِكَ ذلُّ . »
وقد كانت هذه الفِعلَةُ ، وقد رأيْتُكم أُعْطِيتُموها ، والله لئن
أَبَيْتُها ما وَجَبَتْ عليَّ فَرِيضُها ، ولا حَمْلُني اللهُ ذَنْبَها ؛ والله
إنْ جَشَّها إِنِّي للمَحْقُوقِ الَّذِي يُتَّبَعُ ، وإنَّ الكتابَ للمَعي ،
ما فارقتُه مَذْهِبِيهِ ؛ فلقد كُنَّا مع رسولِ اللهِ ، صلى اللهُ
عليه وآله وسلم ، وإنَّ القَتْلَ لَيَدُورُ على الآبَاءِ والأَبْنَاءِ
والإِخْوَانِ والقَرَابَاتِ ، فلا تَزْدَادُ على كُلِّ مُصِيبَةٍ وشِدَّةٌ إلا
إِيمَانًا ، ومُضِيًّا على الحَقِّ ، وتسليمًا للأمرِ ، وصبرًا على مَضْضِ
الجِرَاحِ . ولكنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نَقَاتِلُ إِخْوَانَنَا في الإسلامِ على
ما دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ والاعوجاجِ والشبهةِ والتأويلِ . فإذا
طَمِعْنَا في خَصْلَةٍ^٢ يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعْمَنَا ، وَتَدَانِي بِهَا إلى البَقِيَّةِ
فِيما بَيْنَنَا ، رَغِبْنَا فِيهَا ، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا .

١ النواجذ : اضراس العقل . والض بالنواجذ كناية عن الصبر والتصاب .

٢ الخصلة : أي الحالة .

التحكيم

من كلام له في الحوارج لما انكروا تحكيم الرجال

إنما لم نُحكِّم الرجال ، وإنما حكَّمنا القرآن . وهذا القرآن إنما هو خطٌّ مستورٌ بين الدفتين^١ ، لا ينطق بلسانٍ ، ولا بدَّ له من ترجمانٍ ، وإنما ينطق عنه الرجال . ولما دعانا القومُ إلى أن نُحكِّمَ بيننا القرآن ، لم نكنِ الفريقَ المتولي^٢ عن كتابِ الله تعالى ، وقد قال سبحانه : « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول . » فردَّه إلى الله أن نُحكِّم بكتابه ، وردَّه إلى الرسول أن نأخذ بسنَّته . فإذا حُكِّم بالصدقِ في كتابِ الله ، فنحن أحقُّ الناس به ؛ وإن حُكِّم بسنَّةِ رسولِ الله ، صلى الله عليه وآله ، فنحن أولاهم به .

وأما قولكم : لم جعَلتَ بينك وبينهم اجلاً في التحكيم ؟ فإنما فعلتُ ذلك لِيَتَبَيَّنَ الجاهلُ ، ويَتَبَيَّنَ العالمُ ، ولعلَّ الله

١ الدفتان : جانبا الكتاب اللذان يكتنفانه .

٢ المتولي : المعرض .

أَنْ يُصْلَحَ فِي هَذِهِ الْمُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا تَتَّخِذْ بِأَكْظَامِهَا^١
 فَتَعَجَّلَ عَنْ تَبْيِثِنِ الْحَقِّ ، وَتَتَّقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ .
 إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ^٢
 إِلَيْهِ ، وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَّثَهُ^٣ ، مِنْ الْبَاطِلِ ، وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ
 فَائِدَةً وَزَادَهُ . فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ؟ وَمَنْ أَيْنَ أُتِيَتْ^٤ ؟ اسْتَعِدُّوا
 لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، وَمُوزَعِينَ^٥
 بِالْجُورِ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ^٦ ؛ جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ ، نَكْبًا^٧ عَنِ
 الطَّرِيقِ !

مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعَلَّقُ بِهَا ، وَلَا زَوَافِرُ^٨ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا !
 لَبِئْسَ حُشَّاشٌ^٩ نَارَ الْحَرْبِ أَنْتُمْ ! أَفٍّ لَكُمْ ، لَقَدْ لَقِيتُمْ^{١٠}
 مِنْكُمْ بَرَحًا^{١١} ! يَوْمًا أَنْادِيكُمْ ، وَيَوْمًا أَنْاجِيكُمْ ! فَلَا أُحْرَارُ صَدَقَ
 عِنْدَ النَّدَاءِ وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ !

١ الاكظام: جمع كظم بالتحريك، وهو مخرج النفس، والأخذ بالاكظام كناية
 عن المضايقة .

٢ كرثه: اشتد عليه وشق .

٣ اتيتم: ذهيتم ، أو دخل عليكم العدو ، والمراد به الشيطان .

٤ موزعين: من أوزعه ، أي اغراه بالشيء .

٥ لا يعدلون به: أي لا يجعلون مثله شيئاً آخر .

٦ نكب: جمع انكب، وهو الخائد عن طريق الحق .

٧ الزوافر: العشرة والانصار .

٨ الحشاش: الموقدون ، جمع حاش .

٩ برحاً: شدة واذى .

بين التحكيم والتكفير

فان أبيتم أن تزعموا إلا أني أخطأتُ وضللتُ ، فلم
تضلّلون عامة أمة محمد ، صلى الله عليه وآله ، بضلالي ،
وتأخذونهم بخطئي ، وتكفّرونهم بذنوبي ؟ ! سيوفكم على
عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم وتخلطون من أذنّب
بمن لم يُذنب . وقد علمتم أن رسول الله ، صلى الله عليه وآله ،
رجم الزاني ثم صلى عليه ، ثم ورّته أهله ؛ وقتل القاتل
وورّث ميراثه أهله ؛ وقطع السارق^١ ، وجلد الزاني غير
المحصّن^٢ ، ثم قسم عليهما من الفية^٣ ، ونكح المسلمات .
فأخذهم رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، بذنوبهم ، وأقام حقّ
الله فيهم ، ولم يمنعهم سبهم من الاسلام ، ولم يخرج أسماءهم
من بين أهله^٤ . ثم أنتم شرارُ الناس ، ومن رمى به

١ قطع السارق : أي قطع يده .

٢ غير المحصّن : أي غير المعصوم بالزواج .

٣ الفية : الفئمة .

٤ لم يخرج أسماءهم : ذهب الخوارج الى تكفير أصحاب الخطايا الكبيرة ، وكفروا
علياً ومن اتبعه على قبول التحكيم ، فاحتج عليهم الامام بسنة الرسول في معاملة
أصحاب الكبائر ، وانه لم يعتبرهم كفاراً ، ولا اخرجهم من الاسلام .

الشيطانُ مراميةً ، وضرب به تيميه !

وسيهلك في صنفان : محبٌ مُفرطٌ يذهبُ به الحبُّ
إلى غير الحقِّ ، ومُبغضٌ مُفرطٌ يذهبُ به البغضُ إلى غير
الحقِّ ؛ وخيرُ الناسِ في حَالاً النمطُ الأوسطُ فالزموه ،
والزمو السوادَ الأعظمَ ، فإنَّ يدَ الله على الجماعة . وإياكم
والفرقةَ فإنَّ الشاذَّ من الناسِ للشيطانِ ، كما أنَّ الشاذَّ من
الغنمِ للذئبِ ! ألا من دعا إلى هذا الشَّعارِ فاقْتُلوه ، ولو
كان تحتَ عمامتي هذه !

وإنَّا حُكِّمَ الحكماءَ لِيُحْيِيَا ما أحيَا القرآنُ ، ويُمَيِّتَا
ما أَمَاتَ القرآنُ ؛ وإحياءُه الاجتماعُ عليه ، وإماتتُه الافتراقُ
عنه ؛ فإنَّ جرَّنا القرآنُ اليهم اتبعناهم ، وإنَّ جرَّهم إلينا
اتبعونا . فلم آتِ ، لا أباً لكم ، بُجراً^٢ ، ولا خِثْلَكُمْ^٣ عن
أمركم ، ولا لبستُهُ عليكم ؛ إنَّا اجتمع رأيُ مَلئِكِمْ^٤ على

١ الشعار : أي شعار من يدعو إلى الفرقة والخروج ، وهم الخوارج ، وكان شعارهم :
لا حكم إلا لله ، ويخلقون وسط رؤوسهم ، ويبقى الشعر مستديراً حوله
كالاكلیل .

٢ البجر : الشر العظيم .

٣ خثلتكم : خدعتكم .

٤ ملئكم : جماعتكم .

اختيار رجلين أخذنا عليهما أن لا يتعديا القرآن ، فتأها عنه ،
وتركا الحقّ وهما يُبصرانه ، وكان الجورُ هواهما فمضيا عليه .
وقد سبق استئناؤنا^١ عليهما ، في الحكومة بالعدل والصِّدِّ^٢
للحق ، سوء رأيهما وجور حكمهما .

١ استئناؤنا : أي شرطنا .

٢ الحكومة : الحكم . الصمد : القصد .

في معاوية والامويين

اشباه الرجال

قال ابو العباس المبرد : انتهى الى علي ، عليه السلام ، ان خيلاً وردت الانبار لمعاوية ، فقتلوا عاملاً له يقال له حسان بن حسان ، فخرج مفضباً يجر رداءه ، حتى اتي النخيلة ، واتبعه الناس . فرقي رباوة من الارض ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، صلى الله عليه وآله ، ثم قال :

أما بعدُ ، فإنَّ الجهادَ بابٌ من أبوابِ الجنةِ فتحه الله لحَاصَةِ أوليائه ، وهو لباسُ التقوى ، ودرعُ الله الحصينةُ ، وجنتُهُ^١ الوثيقةُ ؛ فمن تركه رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذلِّ وشَمَلَةَ البلاءِ ، ودَيَّثَ بالصَّغارِ والقَمَاءِ^٢ ، وضربَ على قلبه بالأَسَدَادِ^٣ ، وأَدِيلَ الحَقِّ مِنْهُ^٤ ، بتضييعِ الجهادِ ؛ وسِمَ

١ الجنة بالضم : الوقاية .

٢ ديث : ذل . الصغار : الذل والضم . القماء : الصغار والذل .

٣ ضرب على قلبه بالأَسَدَادِ : أي حار وسدت عليه طرقه ، وعميت عليه مذاهبه .

٤ أدِيلَ الحَقِّ مِنْهُ : أي جعلت الدولة للحق بدلاً منه .

الحُصْفَ^١ ، وَمُنْعَ النَّصْفِ^٢ .

ألا وإني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ،
وسيراً وإعلاناً ، وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ،
فوالله ما غزي قوم في عُقْرِ دَارِهِمْ^٣ إلا ذلوا ! فتواكتم^٤ ،
وتخاذلتم ، حتى شئت عليكم الغارات^٥ ، ومُلكت عليكم
الأوطان^٦ . وهذا أخو غامد^٧ ، وقد وردت خيله الانبار ،
وقد قتل حسان بن حسان البكري^٨ ، وأزال خيلكم عن
مسايلها^٩ ! ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة
المسلمة ، والأخرى المعاهدة ، فينتزع^{١٠} حجلها وقلبها إوقلائدها
ورِعائها^{١١} ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع^{١٢} والاسترحام . ثم

١ سيم : كلف . الحُف : الذل والمثقة .

٢ النصف : الانصاف .

٣ عقر دارهم : اصلها ووسطها .

٤ تواكمت : أي وكل كل منكم الامر الى غيره ، ولم يتوله بنفسه .

٥ أخو غامد : هو سفيان بن عوف الغامدي ، بعثه معاوية بجيش ليفرضه على أهل
المدائن وأهل الانبار بالمعراق .

٦ المسالح : الثغور حيث يخشى دخول الاعداء ، واحداثها مسالحة .

٧ المعاهدة : الزميمة . الحجل : الخلل . القلب : السوار المصمت . الرعاث : ما يعلق
في الاذن كالقروط .

٨ الاسترجاع : الاستعاذة بأن تقول : انا لله وانا اليه راجعون .

انصرفوا وافرین ما نال رجلاً منهم کلم^١، ولا أریق لهم دم!
قلو أن امرأً مسلماً مات، من بعد هذا، أسفاً ما كان به
ملوماً، بل كان به عندي جديراً.

فيا عجباً، والله، يُميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء
القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم! فقبحاً لكم
وترحاً، حين صرتم غرضاً يرمى! يُغار عليكم ولا تُغيرون،
وتُغزون ولا تُغزون، ويُعصى الله وتُضون! فإذا أمرتكم
بالسير اليهم في أيام الصيف، قلت: هذه حمارة القيظ^٢،
أمهلنا يُسبِخ^٣ عنا الحرُّ. وإذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء
قلت: هذه صبارة القر^٤، أمهلنا ينسليخ^٥ عنا البود. كلُّ هذا
فراراً من الحرِّ والقرِّ، فأنتم، والله، من السيف أفرُّ،
يا أشباه الرجال ولا رجال! حلوم الأطفال، وعقول ربات
الحِجال^٥؛ لوددتُ أني لم أركم ولم أعرفكم! معرفة، والله،

١ وافرین: اي تامين لم ينقص أحد منهم. کلم: جرح.

٢ حمارة القيظ: شدة الحر.

٣ يسبخ: يخف الحر ويسكن.

٤ صبارة القر: شدة برد الشتاء.

٥ ربات الحجال: أي النساء. والحجال: جمع حجلة وهي القبة، ويبت يزين
بالستور والثياب.

جرّت ندماً ، وأعقبتُ سَدماً^١ . قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحاً
وشختم صدري غيظاً ! وجرعتموني نُعبَ التَّهامِ أنفاساً^٢ !
وأفسدتم عليّ رأيي بالعِصيان والحِذلان ! حتى قالت قريشُ :
إنَّ ابنَ أبي طالبٍ رجلٌ شجاعٌ ، ولكن لا عِلمَ له بالحرب !
لله أبوهم ! وهل أحدٌ منهم أشدُّ لها مراساً ، وأقدمُ فيها
مني ؟ ! لقد نهضتُ فيها وما بلغتُ العشرين ، وها أناذا قد
ذُرِّفتُ^٣ على الستين ، ولكن لا رأيَ لِمَن لا يُطاع !

بين غدر ودهاء

والله ما مُعاويةُ بأدهى مني ، ولكنه يغدرُ ويفجرُ ،
ولولا كراهيةُ الغدرِ لكنتُ من أدهى الناسِ . ولكن كل
غدرٍ فِجْرَةٌ ، ولكلِّ فِجْرَةٍ كفرةٌ ، ولكلِّ غادرٍ لواءٌ يُعرف
به يومَ القيامةِ . والله ما أُستَعْفَلُ بالمكيدةِ ، ولا أُستَغْمَزُ
بالشديدةِ^٤ .

١ السدم : الحزن والغيظ .

٢ النعب : جمع نعبة وهي الجرعة . التهام : ألهم . أنفاساً : أي جرعة بعد جرعة .

٣ ذرفت : زدت .

٤ استغمز : استضعف . الشديدة : النائبة النازلة .

فتنة بني امية

أما بعد أيها الناس ؛ فإنا فقأتُ عينَ الفتنةِ ، ولم تكن
لِيجرؤُ عليها أحدٌ غيري بعدَ أن ماج غييبُها واشتدَّ كلبُها^١ .
فأسألوني قبلَ أن تَفْقِدُونِي ؛ فوالذي نفسي بيده ، لا تسألوني عن
شيءٍ فيما بينكم وبين الساعةِ^٢ ، ولا عن فتنةٍ تهدي مائةً وتُضِلُّ^٣
مائةً ، إلا أنبأتكم بناعيتها^٤ ، وقائدها ، وسائقها ، ومُناخِرَ رِكابها ،
ومحطَّ رحالها ، ومن يُقتلُ من أهلها قتلاً ، ومن يموتُ منهم
موتاً . ولو قد فقَدْتُموني ، ونزلتْ بكم كرائه الأمورِ ،
وحوازِبُ الحُطوبِ ، لأطرقَ كثيرٌ من السائلين ، وفشِلَ^٥
كثيرٌ من المسؤولين . وذلك إذا قلَّصتْ حربُكم وشمرتْ^٦
عن ساقٍ ، وضاحتِ الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون معه أيام

١ الغيب : الظلمة . كلبها : أي جنونها وإذاها .

٢ الساعة : أي القيامة .

٣ ناعيتها : أي الداعي إليها .

٤ الحوازِب : الشدائد .

٥ فشل : جبن .

٦ قلَّصت : انكمشت وشمرت . ونشمر الحرب كناية عن شدتها والاستعداد للحرب .

البلاء عليكم ، حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم .
 ١ إنَّ الفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ شُبِّهَتْ ١ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نُبِّهَتْ .
 يُنَكِّرْنَ مُقْبِلَاتٍ ، وَيُعَرِّفْنَ مُدْبِرَاتٍ . يَحْمُنَ حَوْلَ الرِّيَّاحِ ٢
 يُصْبِنُ بِلَدًّا وَيُخْطِئُ بِلَدًّا . أَلَا إِنَّ أَخُوفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ
 فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةُ عَمِيَاءٍ مُظْلَمَةٍ ، عَمَّتْ خُطْبُهَا ،
 وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ٣ ، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ
 مَنْ عَمِيَ عَنْهَا . وَإِيمُ اللَّهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ
 بَعْدِي كَالنَّابِ الضُّرُوسِ ، تَعْذِمُ فِيهَا ، وَتُخْبِطُ بِيَدِهَا ،
 وَتَرْبِئُ ٤ بَرْجِلَيْهَا ، وَتَنْقَعُ دَرَّهَا . لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرَكُوا
 مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ ، أَوْ غَيْرَ خَائِرٍ بِهِمْ ٥ . وَلَا يَزَالُ بِلَاؤُهُمْ
 حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانَتْصَارُ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ
 وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحَبِهِ . تَرُدُّ عَلَيْكُمْ فِتْنَتَهُمْ شَوْهَاءَ نَخْشِيهِ ،
 وَقَطِيعًا جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هَدًى ، وَلَا عِلْمٌ ٦ يُرَى . نَحْنُ

١ شُبِّهَتْ : التَّبَسَّتْ .

٢ يَحْمُنَ حَوْلَ الرِّيَّاحِ : أَيِ كَأَنَّ الْفِتْنَ تَجْرِي مَعَ الرِّيَّاحِ .

٣ عَمَّتْ خُطْبُهَا : أَيِ عَمَّ أَمْرُهَا جَمِيعَ النَّاسِ ، لِأَنَّهَا الدَّوْلَةُ عَلَيْهِمْ . خَصَّتْ بَلِيَّتَهَا :
 أَيِ خَصَّتْ أَهْلَ الْبَيْتِ .

٤ النَّابِ : النَّاقَةُ الْمُسَنَّةُ . الضُّرُوسُ : السَّيِّئَةُ الْخَالِقُ تَعُضُ حَالِهَا . تَعْذِمُ : تَعُضُ .
 تَرْبِئُ : تَقْرُبُ .

٥ ضَائِرٌ : ضَارٌ ، أَيِ يَضُرُّهُمْ .

٦ الْعِلْمُ : مَا يَسْتَدَلُّ بِهِ .

أهل البيت منها بمنجاة^١ ، ولسنا فيها بدعاة ، ثم يُفرجها الله
عنكم ، كتفريج الأديم^٢ ، بمن يسومهم خسفاً^٣ ، ويسوقهم
عنفاً ، ويسقيهم بكأس مُصبرة^٤ ، لا يُعطيهـم إلا السيف ،
ولا يُجلِسهم^٥ إلا الخوف ، فعند ذلك تودُّ قريشٌ ، بالدنيا
وما فيها ، لو يروني^٦ مقاماً واحداً ، ولو قدرَ جَزْرَ جَزورٍ^٧ ،
لأقبل منهم ما أطلبُ اليومَ بعضه ، فلا يُعطوني .

١ بمنجاة : أي بمغزل عنها ، ولسنا من أصحابها .

٢ الاديم : الجلد ، والمراد سلخ الجلد لينكشف عما تحته .

٣ يسومهم خسفاً : يوليهـم ذلاً ، الاشارة هنا الى بني العباس .

٤ مصبرة : ممزوجة بالصبر ، أو مملوءة الى حروفها .

٥ يجلسهم : أي يلبسهم .

٦ لو يروني : قال ابن أبي الحديد : ان أرباب السيرة كلهم نقلوا ان مروان بن
محمد قال يوم الزاب لما شاهد عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس بازائه في
صف خراسان : لوددت ان علي بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا
الفتي .

٧ الجزور : من الابل ما يجزر ، أي يذبح ، والمراد ولو مدة جزر جزور .

اصحابه واصحاب معاوية

ولئن أهل الله الظالم فلن يفوت أخذه ، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه ، وبموضع الشجاء من مساع ريقه ! أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ، ليس لأنهم أولى بالحق منكم ، ولكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم ، وإبطائكم عن حقي . ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها ، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي . استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا ، وأسماعتكم فلم تسمعوا ، ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجبوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا . أشهود^٢ كغيباب ، وعبيد كآراب^١ ! أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها ، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها ، وأحشكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيادي سبا^٣ ، ترجعون الى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم . أقومكم غدوة

١ الشجاء : ما يعترض في الحق من عظم ونحوه .

٢ شهود : حضور ، جمع حاضر .

٣ أيادي سبا : أي أولاده ، وسبا أبو عرب اليمن ، وكان أولاده عن يمينه وشماله كالأيدي له ، فتبددوا وتفرقوا في البلاد .

وترجعون إليّ عشيّة كظهر الحنيّة^١ ، عجز المقوم ،
وأعزل المقوم !

أيها الشاهدة^٢ أبدانهم ، الغائبة عقولهم ، المختلقة أهواؤهم ،
المبتلى بهم أرواؤهم ! صاحبكم يُطيع الله وأنتم تعصونه ،
وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يُطيعونه ! لوددت ،
والله ، أن معاوية صارفتي بكم صرف الدينار بالدرهم ،
فأخذ مني عشرة منكم ، وأعطاني رجلاً منهم !

يا أهل الكوفة ، منيت^٣ منكم بثلاث واثنين : ضمّ ذوو
أسماع ، وبكم ذوو كلام ، وعمي ذوو أبصار ،
لا أحرارُ صدق عند اللقاء ، ولا إخوان ثقة عند البلاء !

تربت أيديكم^٤ ! يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها ؛ كلما
جمعت من جانب تفرقت من جانب آخر ! والله لكأني بكم ،
فيما إخال ، أن لو حمس الوغى ، وحمي الصّراب ، قد
انفرجتم عن ابن أبي طالب ، وإني لعلّ بيّنة من ربي ، ومنهاج
من نبّي ، وإني لعلّ الطريق الواضح ألقطه لقطاً .

١ الحنيّة : القوس .

٢ الشاهدة : الحاضرة .

٣ منيت : بليت .

٤ اللقاء : أي الحرب ولقاء الاعداء .

٥ تربت أيديكم : أي لا لقيت خيراً وصار فيها التراب .

انظروا أهل بيتِ نبيكم فالزموا سَمَتَهُمْ^١ ، واتَّبِعُوا
أَثَرَهُمْ ، فلن يُخْرِجَوكُم من هُدًى ، ولن يُعِيدَوكُم في رَدًى .
فانْ لَبَدُوا فالْبُدُوا^٢ ، وإن نهضوا فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضلُّوا ،
ولا تتأخروا عنهم فتَهْلِكُوا . لقد رأيتُ أصحابَ محمد ، صلى الله
عليه وآله ، فما أرى أحداً منكم يُشبهُهم ! لقد كانوا يُصبحون
شُعْثاً غُبْرًا^٣ ، وقد باتوا سُجَّداً وقياماً ، يُراوِحون بين
جباهِهم وخُدودِهِمْ^٤ ، ويقفون على مثلِ الجمرِ من ذكرِ
مَعَادِهِمْ^٥ ! كأنَّ بين أعينِهِمْ رُكْبَ المِعْزَى^٦ من طولِ
سجودِهِمْ ! إذا ذُكِرَ الله هَمَلَتْ أعينُهُم حتى تَبُلَ جُيُوبُهُمْ^٧ ،
ومادوا كما يُمِدُّ الشجرُ يومَ الرِّيحِ العاصف ، خوفاً من
العقابِ ، ورجاءٍ للثوابِ .

١ السمت : الطريق .

٢ لبد : أقام .

٣ الشعث : جمع أشعث وهو المغبر الرأس . الغبر : جمع أغبر ، أي أغبر اللون ،
وكنى بذلك عن تقشفهم .

٤ يراوِحون : أي يعملون هذا مرة ، وهذا مرة ، والمراد يسجدون تارة على
الجباه ، ويضعون الخدود تارة على الأرض .
٥ المعاد : الآخرة .

٦ ركب المعزى : أي صلب وبيس ما بين عيونهم من طول السجود حتى صار
كركب المعزى .

٧ الجيوب : جمع الجيب ، وهو طوق القميص .

في الأخلاق والاجتماع

كتاب الصلاة

الناس في الدنيا

الناس اربعة اصناف ، وصف خامل

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ ،
يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا ، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ عُتُوًّا ، لَا نَنْتَفِعُ
بِمَا عَلِمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى
تَحُلَّ بِنَا . فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ
الْفُسَادَ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ ، وَكَلَالَةً حُدَّةٍ ، وَنَضِيبُ^١ وَفَرِهِ^٢ ،
وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسِيْفِهِ ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ ، وَالْمَجْلِبُ^٣ بِخَيْلِهِ
وَرَجْلِهِ ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ ، وَأَوْبَقَ^٤ دِينَهُ ، لُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ ،

١ الكنود : الكفور .

٢ النضيب : القليل . الوفير : المال .

٣ المجلب : المتوعد بشر ، والذي يجمع الجمع .

٤ أوبق : اهلك .

أَوْ مِقْنَبٍ^١ يَقُودُهُ ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ^٢ ، وَلِبْسٍ الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ، وَمَا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضًا ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا ، قَدْ طَامَنَ^٣ مِنْ شَخْصِهِ ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمَلِكِ ضَوْوَلَةُ نَفْسِهِ ، وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ ، وَتَرَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدَى .

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضُّ أَبْصَارِهِمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ^٤ ، وَأَرَاقُ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ^٥ ، فَهَمُّ بَيْنِ شَرِيدٍ نَادٍ^٦ ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ^٧ ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ^٧ ، وَدَاعٍ مَخْلُصٍ ، وَثُكْلَانٍ

١ المِقْنَب : طائفة من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين .

٢ يَفْرَعُهُ : يعلوه .

٣ طَامَنَ : خَفَضَ .

٤ الْمَرْجِعُ : اى الْآخِرَةِ .

٥ الْمَحْشَرُ : الْقِيَامَةُ .

٦ نَادٍ : اى هَارِبٍ مِنَ الْمَجْتَمَعِ ، مُتَوَحِّدٍ .

٧ مَكْعُومٌ : مُشْدُودُ الْفَمِ .

مُوجِعٌ . قد أخلتْهم التَّقِيَّةُ^١ ، وشملتْهم الدَّلَّةُ ، فهم في بحر
أجاجٍ^٢ ، أفواهُم ضامزة^٣ ، وقلوبُهم قرحة^٤ ، وقد وَعَظُوا
حتى مُلُّوا ، وقَهَرُوا حتى ذَلُّوا ، وقُتِلُوا حتى قَلُّوا .

فلتكن الدنيا في أعينكم أصغرَ من حُثالةِ القَرَظِ^٤ ،
وقَرَاضةِ الجَلَمِ^٥ ، واتعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن
يتعظ بكم من بعدكم ، وارفِضوها ذميمةً ؛ فإنها رفضت من
كان أسغف بها منكم .

يوم المظلوم

يومُ المظلومِ على الظالمِ أشدُّ من يومِ الظالمِ على المظلومِ .

١ التقيّة : الخنزير .

٢ الاجاج : الملح .

٣ ضامزة : ساكنة .

٤ الحثالة : القشارة ، وما لا خير فيه . القَرَظ : ورق شجر السلم ، بالتحريك .

٥ الجلم : المقراض يجوز به صوف الغنم .

فروع تتبع الاصول

أيها الناس، إنما أنتم في هذه الدنيا غرض^١ تنتضل فيه المنايا،
مع كل جرعة شرقة، وفي كل أكلة غصص^٢. لا تنالون
منها نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يُعمّر^٣ معمر منكم يوماً
من عمره إلا بهدم آخر من أجله، ولا يُجدد له زيادة في
أكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه، ولا يحيا له أثر إلا مات
له أثر، ولا يتجدد له جديد إلا بعد أن يخلق^٤ له جديد،
ولا تقوم له نابتة إلا وتسقط منه محصودة. وقد مضت
أصول نحن فروعها، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله؟!

القليل الدائم

قليل تدوم عليه أرجى من كثيرٍ مملولٍ منه.

١ الغرض : الهدف . تنتضل : تتبارى ، والمراد اختلاف اسباب الموت .

٢ يخلق : يبلى .

قبل موته

أيها الناس، كلُّ امرئٍ لاقٍ ما يَفرُّ منه في فراره، والأجلُ
مَساقُ النفسِ، والهِربُ منه مُوافاته . كم أطرَدْتُ الأيامَ
أبحثُها عن مكنونِ هذا الأمرِ، فأبى الله إلا إخفاءه . هيهات،
عِلْمٌ مخزونٌ ! أما وصيتي فاللهُ لا تشرَّكوا به شيئاً، ومحمد،
صلى الله عليه وآله وسلم، فلا تُضَيِّعُوا سُنتَه . أقيموا هذين
العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذمٌّ، ما لم
تشرُّدوا ! حملَ كلُّ امرئٍ منكم مجهوده، وخفف عن
الجهلَّةِ ربٍّ رحيمٍ، ودينٍ قويمٍ، وإمامٍ عليمٍ . أنا بالامس
صاحبكم، وأنا اليومَ عبدةٌ لكم، وغداً مُفازكم، غفر الله
لي ولكم !

إنَّ ثَبَّتَ الوطأةُ^١ في هذه المزلَّةِ^٢ فذاك، وإنَّ تدحض
القدمُ^٣، فإنَّا كنا في أفياء أغصانٍ، ومهبِّ رياحٍ، وتحت
١ أطرَدْتُ الأيامَ : أي راهتها وغاليتها، أو طرَدتها يوماً بعد يوم وأنا أبحثُها .
٢ ثَبَّتَ الوطأةُ : كناية عن نهوضه، وشفائه من جراحه . المزلَّةُ : موضع
زَلَّ القدم .

٣ تدحض القدم : تزلق، كناية عن الموت .

ظلّ غمامٍ اضمحلّ في الجوِّ مُتَلَفِّقُهَا ، وعفا في الأرض
مُخْطِطُهَا^١ . وإنما كنتُ جاراً جاوركم بدني أياماً وسُتَعْقَبُونَ^٢
مني نُجَّةً خِلاَءَ ، ساكنةً بعد حَرَائِكِ ، وصامتةً بعد نُطُوقِ !
لِيَعْظُمَ هَدَوِي ، وخُفُوتُ إِطْرَاقِي ، وسكونُ
أُطْرَاقِي ؛ فانه أوعظُ للمعتبرين منَ المنطِقِ البليغِ والقولِ
المسموعِ . وداعي لكم وداعُ امرئٍ مُرْصِدٍ للتلاقي . غداً
ترون أيامي ، ويكشفُ لكم عن سرّائري ، وتعرفونني بعد
خُلُوقِ مكاني ، وقيامِ غيري مقامي !

مرارة الدنيا وحلاوتها

مرارةُ الدنيا حلاوةُ الآخرةِ ، وحلاوةُ الدنيا مرارةُ
الآخرةِ .

١ متلفقها : مجتمعها ، والضمير للغمام . عفا : اندرس وذهب . مخططها : موضع
ما تخط في الأرض ، والضمير للرياح ، والمعنى أننا كنا في طبيعة تؤذن
كلها بالزوال .

٢ ستعقبون : ستورثون .

تعزية

قال يعزي الاشعث بن قيس عن ابن له :

يا أشعث^١ ، إنْ تحزن على ابنك فقد استحقت منك ذلك
الرحيم^٢ ؛ وإن تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف^٣ .
يا أشعث^٤ ، إن صبرت جرى عليك القدر^٥ وأنت مأجور^٦ ؛ وإن
جزعت جرى عليك القدر^٧ وأنت مأزور^٨ . يا أشعث^٩ ، ابنك
سرك^{١٠} وهو بلاء وفتنة^{١١} ، وحزنك^{١٢} وهو ثواب^{١٣} ورحمة .

المبتلى والمعافى

ما المبتلى الذي قد اشتدَّ به البلاء بأحوجَ إلى الدعاء من
المُعافى الذي لا يأمنُ البلاء !

١ مأزور : أي موزور وهو فاعل الوزر أي الذنب ، قلبت الواو همزة ليم
الازدواج بين مأزور ومأجور .

٢ بلاء : أي بكاليف تربيته . فتنة : أي يشاغل مجته .

٣ حزنك : أي بموته .

قوام الدين والدنيا

من كلامه لجابر بن عبد الله الانصاري

قوامُ الدينِ والدنيا بأربعةٍ : عالمٌ مُستَعْمِلٌ عِلْمَهُ ،
وجاهلٌ لا يَسْتَنكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وجَوَادٌ لا يَبْخُلُ بِمَعْرِفِهِ ،
وفَقِيرٌ لا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ . فإذا ضَيَّعَ الْعَالَمُ عِلْمَهُ اسْتَنَكَفَ
الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وإذا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرِفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ
بِدُنْيَاهُ ١ .

يا جابرُ ، مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ
إِلَيْهِ ، فَمَنْ قَامَ لِلَّهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ ، وَمَنْ
لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ .

محاسن الدنيا

إذا أقبلتِ الدنيا على أحدٍ أعارته محاسنَ غيره ، وإذا
أدبرتْ عنه سلبته محاسنَ نفسه .

١ لأنه يقتطف الاثم ليكتسب به .

الصبر على الازى

أغضِ على القذى^١ والألم، ترضَ أبداً.

الخير والشر

ما خيرٌ من خيرٍ بعده النارُ، وما شرٌّ من شرٍّ بعده الجنةُ،
وكلُّ نعيمٍ دون الجنةِ فهو محقورٌ، وكلُّ بلاءٍ دون النارِ عافية.

مرض وصحة

ألا وإنَّ منَ البلاءِ الفاقةَ ؛ وأشدُّ منَ الفاقةِ مرضَ البدنِ ؛
وأشدُّ منَ مرضِ البدنِ مرضُ القلبِ ؛ ألا وإنَّ منَ النِّعمِ
سَعَةَ المالِ ؛ وأفضلُ منَ سَعَةِ المالِ صِحَّةُ البدنِ ؛ وأفضلُ
منَ صِحَّةِ البدنِ تقوى القلبِ .

١ القذى : ما يسقط في العين فيؤذيها .

الدهر يومان

الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّيْنِيَّةُ ! وَالتَّقَلُّلُ ١ وَلَا التَّوَسُّلُ ! وَمَنْ لَمْ
يُعْطَ قَاعِدًا لَمْ يُعْطَ قَائِمًا . وَالدَّهْرُ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ ، وَيَوْمٌ
عَلَيْكَ ؛ فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرْ ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ !

العمل في الحياة

امشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ .

مسكين ابن آدم

مَسْكِينُ ابْنِ آدَمَ ، مَكْتُومُ الْأَجَلِ ، مَكْنُونُ الْعِلَلِ ،
مَحْفُوظُ الْعَمَلِ ٢ ، تَوَلَّمُهُ الْبَقَّةُ ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ ٣ ،
وَتَأْتِيهِ الْعَرَقَةُ .

١ التقلل : الاكتفاء بالقليل .

٢ محفوظ العمل : أي محفوظ عند الله يجاسب عليه .

٣ الشرقة : الفصصة بالماء .

العافية والغنى

لا ينبغي للعبد أن يثقَ بِحَصَلَتَيْنِ : العافية والغنى . بينا تراه
معافىٍّ إذ سقم ، وبيننا تراه غنياً إذ افتقر .

علامات الظالم

للظالم من الرجال ثلاثُ علاماتٍ : يَظلمُ مَنْ فوقه
بالمعصية ، ومَنْ دونه بالغلبة ، ويُظاهرُ القومَ الظَّلمةَ .

بعد الشدة الفرج

عند تناهي الشدة تكونُ الفرجةُ ، وعند تضائقِ حلقِ
البلاء يكونُ الرخاءُ .

منهومان !

منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب دنيا !

رحلة الميت

عزى قوماً عن ميت فقال لهم :

إنَّ هذا الأمر ليس لكم بدءاً ، ولا إليكم انتهى ؛ وقد كان
صاحبكم هذا يسافرُ فعُدُّوه في بعض أسفاره ؛ فإنَّ قدِمَ
عليكم ، وإلاَّ قدِمتم عليه .

الدنيا والآخرة

الدنيا خلقت لغيرها ، ولم تُخلَقْ لنفسِها .

عشرة الامل

من جرى في عِنانِ أمله ، عثرَ بأجلِهِ .

سيئة خير من حسنة

سيئةٌ تسوءُك خيرٌ عند الله من حسنةٍ تُعجِبُك^١ .

١ لان السيئة ربما قربتك الى الله ، والحسنة ربما ابعدتك عنه .

بين جوع وشبع

احذروا صولةَ الكريمِ إذا جاع ، واللئيمِ إذا شبع .

حلوة اللسبة

المرأةُ عقربُ حلوةٍ اللسبةِ^١ .

الحظ ستار

عيبك مستورٌ ما أسعدك جدك^٢ .

ركب نيام

أهل الدنيا كركبٍ يُسارُ بهم وهم نيامٌ .

١ اللسبة : اللسعة .

٢ الجد : الحظ .

شواغل القلب

لقد عُلِّقَ بِنِيَّاطٍ^١ هذا الانسانِ بَضْعَةً^٢ هي أعجبُ ما فيه ، وذلك القلبُ ؛ وله موادُّ من الحكمةِ وأصدادُ من خلافتها . فانْ سَنَحَ له الرجاءُ أَذْلَهُ الطمعُ ، وإنْ هاجَ به الطمعُ أَهْلَكَه الحِرْصُ ، وإنْ مَلَكَه اليأسُ قَتَلَهُ الأَسْفُ ، وإنْ عَرَضَ له الغضبُ اشْتَدَّ به الغيظُ ، وإنْ أَسْعَدَهُ الرضا نَسِيَ التحفظَ ، وإنْ نَالَه الخوفُ شَعَلَهُ الخذرُ ، وإنْ اتَّسَعَ له الأمنُ اسْتَلَبَتْهُ الغِرَّةُ^٣ ، وإنْ أَفَادَ مَالاً أَطْعَمَهُ الغنى ، وإنْ أَصَابَتْهُ مَصِيبَةٌ فَضَحَتْهُ الجُرْعُ ، وإنْ عَضَّتْهُ الفاقةُ شَغَلَهُ البلاءُ ، وإنْ جَهَدَهُ الجوعُ قَعَدَ به الضَّعْفُ ، وإنْ أَفْرَطَ به الشَّبَعُ كَطَّئَتْهُ البِطْنَةُ^٤ . فكلُّ تَقْصِيرٍ به مَضَرٌّ ، وكلُّ إِفْرَاطٍ له مَفْسَدٌ .

١ النياط : عرق غليظ معلق به القلب .

٢ البضعة : القطعة من اللحم .

٣ الغرة : الغفلة .

٤ كظته : كربتته واثقلته . البطنة : امتلاء البطن حتى يضيق النفس .

عشائر قريش

وسئل عن قريش فقال :

أما بنو مخزوم فرحانة قريش ، تحب حديث رجالهم ،
والنكاح في نسائهم . وأما بنو عبد شمس^١ فأبعدوها رأياً ،
وأمنعها لماً وراء ظهورها . وأما نحن^٢ فأبذل لماً في أيدينا ،
وأسمح عند الموت بنؤسينا ؛ وهم^٣ أكثر وأمكر وأنكر ،
ونحن أفصح وأنصح وأصبح^٤ .

الحق واحد

ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة .

١ بنو عبد شمس : منهم بنو أمية .

٢ وأما نحن : أي بنو هاشم .

٣ وهم : أي بنو عبد شمس .

٤ أصبح : أي أصبح وجوهاً .

صفة الغوغاء^١

هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرِفُوا .
وقال فيهم :

هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضُرُّوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا .

فقال : قد عرفنا مضرّة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم ؟ فقال :

يُوجِعُ أَصْحَابُ الْمِهْنِ إِلَى مِهْنِهِمْ ، فَيَلْتَفِعُ النَّاسُ
بِهِمْ ، كَرُجُوعِ الْبَنَاءِ إِلَى بَنَائِهِ ، وَالنَّسَاجِ إِلَى مَنَسْجِهِ ،
وَالْحَبَّازِ إِلَى مَخْبِزِهِ .

واتي بجان ومعه غوغاء فقال :

لا مرحباً بوجوهٍ لا تُرى إلا عند كلِّ سِوَاةٍ !

١ الغوغاء : الكثير المختلط من الناس .

الى ذام الدنيا

قال ، وقد سمع رجلاً يذم الدنيا :

أيها الذَّامُّ للدُّنيا ، المغترُّ بغرورها ، المخدوعُ بأباطيلها !
أتغترُّ بالدنيا ثم تذمُّها ؟ أنت المتجرَّمُ عليها ، أم هي المتجرِّمة
عليك ؟ متى استهوتك ، أم متى غرَّتْكَ ؟ أبصارُ آبائِكَ
من البلى ؟ ! أم بمضاجعِ أمهاتِكَ تحت الثرى ؟ ! كم علَّلتَ^١
بكفِّكَ ، وكم مرَّضتَ بيدِكَ ، تبغي لهم الشِّفاء ، وتستوصف
لهم الأطباء ؟ عُدَّةٌ لا يُغني عنهم دواؤُكَ ، ولا يُجدي عليهم
بكاؤُكَ . لم ينفع أحدهم إشفائُكَ ، ولم تُسعفْ بطليبتِكَ ، ولم
تدفعْ عنه بقوَّتِكَ ! وقد مثَّلتَ لك به الدنيا نفسَكَ ،
وبمصرِعِهِ مصرِعَكَ !

إنَّ الدنيا دارٌ صدقَ لمن صدَّقها ، ودارٌ عافيةٌ لمن فهم
عنها ، ودارٌ غنى لمن تزوَّد منها ، ودارٌ موعظةٌ لمن اتعظ
بها . مسجدُ أحبِّاءِ الله ، ومصلَّى ملائكةِ الله ، ومهبطُ وحي

١ المتجرم عليها : المدعي الذنب عليها .

٢ عللت : خدمت العليل .

الله ، ومتجرُّ أولياء الله ، اكتسبوا فيها الرحمة ، وربحوا فيها الجنة . فمن ذا يذمُّها ؟ وقد آذنت بدينها^١ ، ونادت بفراقها ، ونعت نفسها وأهلها ، فمثَّلت لهم ببلائها البلاء ، وشوَّقتهم بسُرورها إلى السرور ! راحت بعافية^٢ ، وابتكرت^٣ بفعيعة ، ترغيباً وترهيباً ، وتحويلاً وتحذيراً ، فذمَّها رجالٌ غداةَ الندامة ، وحَمِدَها آخرون يومَ القيامة ؛ ذكَّرتهم الدنيا فتذكروا ، وحدَّتْهم فصدَّقوا ، ووعظتهم فاتعظوا .

خيار خصال النساء

خيارُ خصالِ النساءِ شرارُ خصالِ الرجالِ : الزَّهْوُ ، والجُبْنُ ، والبُخْلُ . فاذا كانت المرأةُ مَزْهَوَةً ، لم تَمَكِّنْ من نفسها ؛ وإذا كانت بَخِيلَةً ، حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَعْلِهَا ؛ وإذا كانت جَبَانَةً فَرِقت^٣ من كلِّ شيءٍ يَعْرِضُ لَهَا .

١ آذنت بدينها : أي اعلمت أهلها بزوالها .

٢ الرواح : يكون في العشي . الابتكار : يكون في الصباح .

٣ فرقت : خافت .

البرد

توقّوا البردَ في أولِهِ ، وتلقّوه في آخرِهِ ؛ فانه يفعل في
الابدانِ كفعْلِهِ في الأشجارِ ؛ أوْلُهُ يُحرقُ ، وآخرُهُ يورِقُ .

رجالان في الدنيا

' الدنيا دارُ ممرٍّ لا دارُ مقرٍّ ، والناسُ فيها رجلانُ :
رجُلٌ باع فيها نفسه فأوبقها^١ ، ورجُلٌ ابتاع نفسه فأعتقها .

الهم

الهمُّ نصفُ الهرمِ .

لا بد منها

المرأةُ شرٌّ كلُّها ، وشرُّ ما فيها أنه لا بدُّ منها !

١ أوبقها : اهلكها .

الوالد والولد

إِنَّ للولدِ على الوالدِ حقًّا ، وَإِنَّ للوالدِ على الولدِ حقًّا ؛
فحقُّ الوالدِ على الولدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؛ وَحقُّ الولدِ على الوالدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ ،
وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ ، وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ .

الاشتغال بالاهل والولد

لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ ؛ فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ
وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ ؛ وَإِنْ يَكُونُوا
أَعْدَاءَ اللَّهِ ، فَمَا هُمُكَ وَشُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ ؟ !

تهنئة بغيلام

هَذَا بِحُضْرَتِهِ رَجُلٌ رَجُلًا بِغِيْلَامٍ وَلَدَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : لِيَهْنُتَكَ الْفَارَسُ !
فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ :

لَا تَقُلْ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ قُلْ : شَكَرْتَ الْوَاهِبَ ، وَبَوْرِكَ لَكَ
فِي الْمَوْهوبِ ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ ، وَرَزَقْتَ بَرَّهُ !

المرأة ربحانة لا قهرمانة

من وصيته لابنه الحسن

وإياك ومُشاورة النساء، فإن رأينَّ إلى أفنٍّ^١، وعزمهنَّ
إلى وهنٍّ . واكفُفْ عليهنَّ من أبصارهنَّ بجوابيك إياهنَّ؛
فإنَّ شدةَ الحجابِ أبقي عليهنَّ، وليسُ خروجهنَّ بأشدَّ من
إدخالِك مَنْ لا يوثقُ به عليهنَّ، وإنِ استطعتَ أن لا يعرفنَّ
غيرَكَ فافعلْ . ولا تملِكِ المرأةَ من أمرها ما جاوزَ نفسها،
فإنَّ المرأةَ ربحانةٌ وليست بقهرمانةٌ^٢ . ولا تعدُ^٣ بكرامتها
نفسها، ولا تطمِعْها في أن تشفعَ بغيرِها . وإياك والتغايُرُ^٤ في
غير موضعٍ غيرِ عَيَرَةٍ؛ فإنَّ ذلك يدعو الصحيحةَ إلى السُّقْمِ،
والبريئةَ إلى الرَّيبِ .

القرابة والمودة

مودَّةُ الآباءِ قرابةٌ بين الأبناء؛ والقرابةُ إلى المودَّةِ
أحوجُ من المودَّةِ إلى القرابةِ .

١ الافن: ضعف الرأي .

٢ القهرمان: وكيل المال وامين الدخل والخرج، يؤخذ رأيه في شؤون الدولة.

٣ لا تعد: لا تجاوز .

٤ التغاير: اظهار الغيرة .

ولاية الامور

الحاكم العاجز

في صفة من يتصدى للحكم بين الامة ، وليس لذلك بأهل

إنَّ أبغضَ الخلائقِ إلى الله رجلان : رجلٌ وكله الله إلى نفسه ، فهو جائزٌ عن قصدِ السبيلِ ، مشغوفٌ بكلام بدعةٍ ، ودعاء ضلالةٍ ، فهو فتنةٌ لمن افتتن به ، ضالٌّ عن هديٍ مَنْ كان قبله ، مُضِلٌّ لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته ، حمالٌ خطايا غيره ، رهنٌ بخطيئته ؛ ورجلٌ قَمَشَ جهلاً ، مَوْضِعٌ^٢ في جُحَالِ الأمةِ ، عادٍ في أغباشٍ^٣ الفتنة ، عمٌ بما في عقدِ الهدنةِ^٤ ، قد سمَّاه أشباه الناس عالماً ، وليس به ! بكَرَّ فاستكثر من جمعٍ ، ما قلَّ منه خيرٌ مما كثر ،

١ قَمَشَ جهلاً : جمعه .

٢ مَوْضِعٌ : مسرع .

٣ أغباش : ظلمات .

٤ الهدنة : السكون ، والمراد انه جاهل بما في السكون عن الفتنة من الخير .

حتى إذا ارتوى من آجن^١ ، واكتنز من غير طائل^٢ ، جلس
 بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره . فإن
 نزلت به إحدى المبهمات هياً لها حشواً رثاً من رأيه ، ثم
 قطع به ، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت^٣ ،
 لا يدري أصاب أم أخطأ . فإن أصاب خاف أن يكون قد
 أخطأ ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب . جاهلٌ خبطٌ
 جهالات ، عاش ركاب عشوات^٤ ، لم يعص على العلم^٥
 بضرس قاطع ، يُذري الروايات إذراء الرّيح المشيم ،
 لا ملبّي^٦ ، والله ، بإصدار ما ورد عليه ، ولا هو أهل لما
 فوّض اليه . لا يحسب العلم في شيء مما انكره ، ولا يرى
 أن من وراء ما بلغ مذهباً لغيره ، وإن أظلم أمرٌ اكتم به
 لما يعلم من جهل نفسه . تصرّخ من جور قضائه الدماء ،
 وتعيج^٧ منه المواريث .

١ الآجن : الماء الفاسد الطعم واللون .

٢ من غير طائل : أي من دون خيس .

٣ اللبس : الالتباس . في مثل نسج العنكبوت : أي في ضعف رأيه .

٤ العاشي : الأعمى ، أو الضعيف النظر . العشوات : الظلمات .

٥ لم يعص على العلم : أي لم يعجم عوده . والمراد : لم يأخذ العلم بالاختبار .

٦ الملبّي : الحسن القضاء .

٧ تعيج : تضيح ، وترفع الصوت .

الى الله أشكو من معشرٍ يعيشونُ جهَّالاً ، ويموتون
ضُلالاً ، ليس فيهم سِلعةٌ أبورُ من الكتابِ إذا تُليَ حقُّ
تلاوته ، ولا سِلعةٌ أنفقُ بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتابِ إذا
حُرِّفَ عن مواضعه ، ولا عندهم أنكرُ من المعروفِ ، ولا
أعرفُ من المنكرِ !

نصيحة لعمر

من كلام له وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج الى غزو الروم
بنفسه :

وقد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة^١ ، وستور
العورة^٢ ، والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ، ومنعهم وهم
قليل لا يمتنعون ، حي لا يموت !
إنك متى تسير الى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتشكب^٣ ،
لا تكن للمسلمين كائفة^٤ دون أقصى بلادهم ، ليس بعدك
مرجع يرجعون اليه . فابعث اليهم رجلاً مجرباً ، واحفز^٣
معه أهل البلاء والنصيحة ، فان أظهر الله ، فذاك ما تحب^٤ ،
وإن تكن الأخرى ، كنت ردة^٤ للناس ، ومثابة^٤ للمسلمين .

١ الحوزة : الناحية والجانب . العورة : الخلل ، وكل امر يستحيا منه .

٢ كائفة : أي جهة عاصمة تصونهم .

٣ احفز : ادفع .

٤ الرد : العون والقوة . مثابة : مرجع .

نصيحة مثلها

استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه ، فقال له :

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ وَلَا قَلَّةِ ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثَا طَلَعَ . وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنْ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ ، وَمَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْحَرْزِ ، يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ ، فَإِذَا انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْحَرْزُ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِجِذَافِيرِهِ^١ أَبَدًا . وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ ، وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا ، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ ، عَزِيزُونَ بِالْاجْتِمَاعِ ، فَكُنْ قُطْبًا^٢ ، وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ ، انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُو وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهْمَ إِلَيْكَ بِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا : هَذَا أَصْلُ

١ بجذافيره : بأسره .

٢ القطب : الحديدة التي تدور عليها الرحى .

العرب ، فإذا قطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشدّ لِكَلْبِهِمْ
 عليك^١ ، وطمِعهم فيك . فأما ما ذكرتَ من مسيرِ القومِ الى
 قتالِ المسلمين ، فإنَّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك ،
 وهو أقدرُ على تغيير ما يكره ؛ وأما ما ذكرتَ من عدوِّهم ،
 فإنَّا لم نكن نقاتلُ فيما مضى بالكثرةِ ، وإنَّا كنا نقاتلُ بالنصر
 والمعونة^٢ .

محاسبة

من كتاب الى بعض عماله

أما بعد ؛ فقد بلغني عنك أمرٌ إن كنتَ فعلته فقد أسخطت
 ربَّك ، وعصيتَ إمامك ، وأخزيتَ أمانتك .
 بلغني أنك جرَّدتَ الأرض فأخذت ما تحت قدميك ،
 وأكلت ما تحت يديك ، فارفعْ إليَّ حسابك ، واعلم أن
 حساب الله اعظمُ من حسابِ الناس ؛ والسلام .

١ كلهم عليك : اي حرصهم على قتلك .

٢ بالنصر والمعونة : اي بنصر الله ومعوته .

نראה الحاكم

والله ، لأنَّ أبيت على حَسَكِ السَّعدانِ^١ مُسَهِّدًا ،
وأجرٌ في الأغلالِ مُصَفِّدًا ، أحبُّ إليَّ من أنْ ألقى الله ورسوله ،
يومَ القيامةِ ، ظالمًا لبعضِ العبادِ ، وغاصبًا لشيءٍ من الحُطامِ .
وكيف أظلمُ أحدًا لنفسي يُسرِّعُ إلى البلى قُفُولُها^٢ ، ويطول
في الثرى حُلُولُها ؟ !

والله لقد رأيت عَقِيلًا وقد أَمَلَقَ حتى استأخني من بُرِّكم
صاعًا^٣ ، ورأيتُ صَبِيانَه شُعَثَ الشُّعُورِ^٤ ، غَبَرَ الألوانِ من
فَقَرِهِمْ ، كَانَا سُودَّتْ وجوهُهُم بِالْعِظْلِمِ^٥ ، وعَاوَدَنِي
مُؤَكِّدًا ، وكرَّرَ عليَّ القولَ مردَّدًا ، فأصغيتُ^٦ إليه سَمْعِي ،
فَظَنُّ أَنِّي أبيعُهُ ديني ، وَأَتَّبِعُ قِيادَه مُفَارِقًا طريقي . فأحسيت

١ السعدان : نبت له شوك يسمى حسك السعدان .

٢ لنفس : أي لاجل نفس ، والمراد بها نفسه . قفوها : رجوعها .

٣ عَقِيل : أخو الامام . أَمَلَق : افتقر . البر : الخنطة . الصاع : أربعة امداد .

٤ شعث الشعور : أي شعورهم منتشرة مغبرة لقلة التعهد .

٥ العظلم : نبات يصبغ به صبغ اسود .

٦ أصغيت : أملت .

له حديدَةٌ ، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها ، فضجَّ ضجيجَ
 ذي دنفٍ^١ من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها^٢ . فقلت
 له : ثكلتك الثواكلُ يا عقيلُ ! أنتنُّ من حديدٍ أحماها
 إنسانها للعبي ، وتجريني إلى نارٍ سجرها^٣ جبارها لغضبه ؟
 أنتنُّ من الأذى ، ولا أنتنُّ من لظى ؟ !

وأعجبُ من ذلك طارقٌ طرقتنا بملقوفةٍ^٤ في وعائها ،
 ومعجونةٍ شئتُها^٥ ، كأنما عُجِنَتْ بريقِ حيةٍ أو قيسٍ ،
 فقلتُ : أصلهُ ، أم زكاةٌ ، أم صدقةٌ ؟ فذلك حرَّمُ علينا
 أهلَ البيتِ . فقال : لا ذا ولا ذاك ، ولكنها هديةٌ .
 فقلتُ : هبيلتك الهبولُ^٦ ، أعن دينِ الله أتيتني ليتخذعني ؟
 أختبِطُ^٧ ، أم ذو جنَّةٍ ، أم تهجرُ^٨ ؟ والله لو أعطيتُ الأقاليمَ

١ الدنف : المرض .

٢ الميسم : المكواة .

٣ سجرها : أحماها .

٤ الملقوفة : هي هدية من الخلاء إهداها إليه الأشعث بن قيس ، محاولاً استتاله بها ، وكانا متباغضين .

٥ شئتُها : أبغضتها .

٦ هبيلتك : ثكلتك . الهبول : الثكول التي لا يعيش أولادها .

٧ المختبِط : من به مس الشيطان ، أو المصروع . ذو جنَّة : من به جنون .
 تهجر : تهذي .

السبعة بما تحت أفلاكها ، على أن أعصي الله في نعمة أسلبها
 جلب شعيرة^١ ، ما فعلت . وإن دنياكم عندي لأهون من
 ورقة في فم جرادة تقضمها ! ما ليلي ولنعمي يفتني ، ولذة
 لا تبقى ! نعوذ بالله من سبات العقل ، وقبح الزلل ،
 وبه نستعين !

تناؤه على عمر

لله بلاد فلان^٢ ، فقد قوم الأود ، وداوى العمد^٣ ،
 وأقام السنة ، وخلف الفنة . ذهب نقي الثوب ، قليل
 العيب ، أصاب خيرها ، وسبق شرها . أدى إلى الله طاعته ،
 واتقاه بحقه . رحل وتركهم في طرق متشعبة ، لا يهتدي
 فيها الضال ، ولا يستيقن المهتدي !

١ الجلب : غطاء الرجل ، والمراد هنا غطاء الشعيرة ، أي قشرتها .

٢ بلاد فلان : أي بلاد انشأت فلاناً ، والمراد به عمر بن الخطاب . ورواها

ابن الأثير في النهاية : لله بلاد فلان : أي بلاؤه الحسن .

٣ الاود : العوج . العمد : الورم .

دار القاضي

اشترى القاضي شريح بن الحارث داراً بثمانين ديناراً ، فبلغ الامام ذلك ، فاستدعاه ، وقال له : بلغني انك ابتعت داراً بثمانين ديناراً وكتبت لها كتاباً واشهدت فيه شهوداً . فقال له شريح : قد كان ذلك يا امير المؤمنين . فنظر اليه نظر الغضب ، ثم قال له :

يا 'شريح' ، أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابيك ، ولا يسألك عن بيتك ، حتى يخرجك منها شاخصاً ، ويُسلمك إلى قبرك خالصاً ! فانظر يا 'شريح' ، لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالِك ، أو نقدت الثمن من غير حلالِك ! فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة ! أما إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما استويت ، لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة ، فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوق ، والنسخة هذه :

هذا ما اشترى عبدٌ ذليلٌ ، من عبدٍ قد أزعجَ للرحيل ، اشترى منه داراً من دار الغرور من جانبِ الفانين ، وخِطة ٢

١ الشاخص : المسافر الخارج من منزله .

٢ الخِطة : الأرض التي يخطها الانسان لنفسه ، أي يجعل عليها علامة بالخط ليعمرها .

المالكين . وتجمعُ هذه الدَّارَ حُدُودُ أربعة^١ : الحدُّ الأوَّلُ ينتهي إلى دواعي الآفاتِ ، والحدُّ الثاني ينتهي إلى دواعي المصيباتِ ، والحدُّ الثالثُ ينتهي إلى الهوى المُردِّي ، والحدُّ الرابعُ ينتهي إلى الشَّيْطَانِ المُغْوِي ، وفيه يُشرعُ^١ بابُ هذه الدَّارِ !

اشترى هذا المغترُّ بالأملِ ، من هذا المزعجِ بالأجلِ ، هذه الدَّارَ بالخروجِ من عزِّ القناعةِ ، والدُّخُولِ في ذلِّ الطلبِ والضراعةِ^٢ . فما أدركَ هذا المشتري فيما اشترى منه من دركٍ^٣ ؛ فعلى مُبْلِسِ أجسامِ الملوكِ ، وسالبِ نفوسِ الجبابرةِ ، ومُزِيلِ مُلْكِ الفراعنةِ ، مِثْلَ كسرى وقيصر ، ونُبُعِ وحميرَ ، ومن جمعَ المالَ على المالِ فأكثرَ ، ومن بنى وشيَّدَ ، وزخرفَ ونجَّدَ ، وادَّخَرَ واعتقده ، ونظرَ بزعمِهِ للولدِ ، إشخاصَهُم^٤ جميعاً إلى موقفِ العَرَضِ والحسابِ ، وموضِعِ الثوابِ والعقابِ ، إذا وقعَ الأمرُ بفصلِ القضاءِ

١ يشرع : يفتح .

٢ الضراعة : الخضوع والاستكانة .

٣ الدرك : التبعة .

٤ نجد : زين .

٥ اعتقد : جعل لنفسه عقدة من دار أو مال صامت .

٦ اشخاصهم : مبتدأ مؤخر ، وخبره في قوله : فعلى مبلى الاجسام .

« وخسر هنالك المبطلون » .

شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى ، وسليم
من علائق الدنيا .

الولاية امانة لا طعمة

من كتاب له الى الاشعث بن قيس ، وهو عامل اذربيجان

وإنَّ عملك ليس لك بطُعمَةٍ ، ولكنه في عُنُقِكَ أمانة ،
وأنت مُسترعَى لمن فوقك^١ .

ليس لك أن تفتات^٢ في رعيةٍ ، ولا تخاطرَ إلا بوثيقة^٣ ،
وفي يديك مالٌ من مالِ الله عزَّ وجلَّ ، وأنت من نُخْرَانه حتى
تُسَلِّمه إلَيَّ . ولعلِّي أن لا أكون شرَّ ولا تيك لك ؛ والسلام !

١ مسترعى لمن فوقك : اي يرعاك من فوقك ، وهو الخليفة .

٢ تفتات : اي تعمل دون استئذان .

٣ بوثيقة : اي باحتماط وثقة .

في بني تميم

من كتاب له الى عبد الله بن عباس ، وهو عامله على البصرة ، وكان قد اشتد على بني تميم لمناصرتهم طلحة والزبير يوم الجمل ، فصعب الامر على المتشيعين للامام منهم ، فشكوه اليه :

اعلمُ أنَّ البصرةَ مهبطُ إبليسَ ومغرسُ الفتنِ ، فحادثُ أهلها بالاحسانِ اليهم ، واحللُ عُقدةَ الخوفِ عن قلوبهم .
وقد بلغني تنمرُك لبني تميم وغِلظُك عليهم . إنَّ بني تميم لم يَغِبْ لهم نجمٌ إلا طلعَ لهم آخرُ ، وإنهم لم يُسَبِّقُوا بوغماً^١ في جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ ، وإنَّ لهم بنا رَحِماً ماسَةً^٢ ، وقِرابَةً خاصَةً ، نحنُ مأجورون على صِلَتِها ، ومأزورون^٣ على قِطيعَتِها . فاربعُ^٤ أبا العباسِ ، رَحِمَكَ اللهُ ! فيما جرى على لسانِكَ ويدك من خيرٍ وشرٍّ ؛ فإنَّا شريكان في ذلك ، وكن عند صالحِ ظني بك ؛ ولا يَفِيلَنَّ رأيي ؛ فيكَ ؛ والسلام !

١ الوغم : الثأر والحرب والقهر .

٢ مأزورون : اي موزورون ، جاء بالهمزة موازنة للمأجورون .

٣ اربع : قف واقصر .

٤ يفيل الرأي : يضعف ويخطئ .

بين اللين والشدة

من كتاب له الى بعض عماله

أما بعد ؛ فانّ دهاقين^١ أهل بلدك شكوا منك غلظة
وقسوة واحتقاراً وجفوة ؛ ونظرتُ فلم أرهم أهلاً لأنّ
يُدنوا لشرِكهم ، ولا أن يُقصوا ويُجفوا لعهدهم^٢ . فالبس لهم
جلاباً من اللين تشوبه بطرف من الشدّة ، وداوِل لهم بين
القسوة والرأفة ، وامزج لهم بين التقريب والادناء ، والابعاد
والاقصاء ؛ إن شاء الله !

١ الدهاقين : الزعماء ارباب الاملاك ، واحدها دهقان .

٢ لشرِكهم : اي لانهم مشركون . لعهدهم : اي لانهم معاهدون .

تهديد زياد

من كتاب له الى زياد ابن ابيه ، وكان نائب عبد الله بن عباس على
البصرة ، وعبد الله يومئذ عامل الامام عليها وعلى كور الاهواز
وفارس وكرمان وغيرها .

وإني أقسم بالله قَسَمًا صادقًا ، لئن بلغني أنك نُخِنتَ من
في^١ المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً ، لأشدنَّ عليك شدةً
تدَعُكَ قليل الوافر ، ثقيل الظَّهر ، ضئيل الأمر ؛ والسلام !

مضامير الرجال

الولايات مضامير^٢ الرجال .

١ الفيه : المال من غنيمة او خراج .

٢ المضامير : جمع مضمار ، وهو المكان الذي تضرع فيه الخيل للسباق ، فيعرف
الجواد الكريم .

اسراف زياد

من كتاب له ايضاً

فدع الاسراف مقتصداً ، واذكر في اليوم غداً ،
وأمسك من المال بقدر ضرورتك ، وقدم الفضل ليوم
حاجتك .

أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين ، وأنت عنده من
المتكبرين ؟ وتطمع ، وأنت مُتَمَرِّغٌ في النعيم تمنعه الضعيف
والأرملة ، أن يوجب لك ثواب المتصدقين ؟ وإنما المرء
بجزئي بما أسلف ، وقادم على ما قدم ؛ والسلام !

١ الفضل : الزيادة . والمراد ان ينفق الزيادة في الصدقات ، فيكون له ذخراً
يوم حاجته في الآخرة الى الثواب .

عهد الولاية

من عهد له الى محمد بن ابي بكر حين قلده مصر

فاخفِضْ لَهُم جَنَاحَكَ ، وَأَلِنْ لَهُم جَانِبَكَ ، وَابْسُطْ لَهُم
وَجْهَكَ ، وَآسِ بَيْنَهُمْ^١ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ
الْعِظْمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ^٢ ، وَلَا يَيْأَسَ الضَّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ .
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسْأَلُكُمْ ، مَعِشَرَ عِبَادِهِ ، عَنْ الصَّغِيرَةِ مِنْ
أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمُسْتَوْرَةِ ؛ فَإِنْ يُعَذِّبُ
فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ ؛ وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ .

وَاعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ
الْآخِرَةِ ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَلَمْ يُشَارِكِهِمْ أَهْلُ
الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ . سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكِنَتْ ،
وَأَكَلُوا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ ، فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ
الْمُتَّقُونَ ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ ، ثُمَّ
انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلَّغِ ، وَالْمُتَجَرِّبِ الرَّابِحِ . أَصَابُوا لَذَّةَ

١ آس بينهم : اي اجعلهم اسوة .

٢ في حيفك لهم : اي في جورك على الرعية .

زهدي الدنيا في دنياهم ، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم ، لا تردُّ لهم دعوةً ، ولا ينقص لهم نصيبٌ من لذة . فاحذروا ، عباد الله ، الموت وقربه ، وأعدوا له عُدته ، فإنه يأتي بامرٍ عظيمٍ ، وخطبٍ جليلٍ : بخيرٍ لا يكونُ معه شرٌ أبداً ، أو شرٍّ لا يكونُ معه خيرٌ أبداً ! فمن أقربُ إلى الجنةِ من عاملِها ، ومن أقربُ إلى النارِ من عاملِها ؟ وأنتم طرداء الموت ، إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدركم ، وهو ألزمُ لكم ظلِّكم ! الموتُ معقودٌ بنواصيكم ، والدنيا تطوى من خلفكم ، فاحذروا ناراً قعرُها بعيدٌ ، وحرُّها شديدٌ ، وعذابها جديدٌ : دارٌ ليس فيها رحمةٌ ، ولا تسمع فيها دعوةً ، ولا تُفرَّجُ فيها كربةٌ . وإن استطعتم أن يشتد خوفُكم من الله ، وأن يحسنَ ظنُّكم به ، فاجمعوا بينهما ، فإنَّ العبدَ إنما يكونُ حَسَنُ ظَنِّه بربه على قدرِ خوفِهِ من ربه ، وإنَّ أحسنَ الناسِ ظنّاً بالله أشدُّهم خوفاً لله .

واعلم ، يا محمدُ بنُ أبي بكرٍ ، أني قد وليتُكَ أعظمَ أجنادي^١ في نفسي : أهلَ مصرَ ، فأنتَ محقوقٌ أن تخالفَ على نفسك^٢ ،

١ من عاملها : أي الذي يعمل لها .

٢ اجنادي : أي اقاليمي ، يقال : جند الشام وجند مصر وغيرهما أي اقاليمها واطرافها .

٣ محقوق : جدير . ان تخالف على نفسك : أي ان لا تتبع هواها .

وَأَنْ تَنْفَع^١ عَنْ دِينِكَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ
الدَّهْرِ . وَلَا تُسَخِّطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ؛ فَإِنَّ فِي اللَّهِ
خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ .

صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا الْمَوْقِثَ لَهَا ، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتُهَا لِفَرَاغٍ ،
وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاسْتِغَالٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ
عَمَلِكَ تَبَعٌ لَصَلَاتِكَ .

آلة الرئاسة

آلة الرئاسة سعة الصدر .

١ تنافع : تدافع .

الحرص على بيت المال

من كتاب الى عامل من بني عمه ، وقد بلغه انه استولى على مخزون بيت المال :

أما بعد ؛ فإنني كنتُ أشركتُك في أمانتي ، وجعلتُك
شِعاري وبطانتي ، ولم يكن رجلاً من أهلي أو ثِقَ منك في
نفسي لمواساتي وموازرتي ، وأداء الأمانة إلي . فلما رأيتُ
الزَّمانَ على ابنِ عمِّك قد كَلَبَ ؛ والعدوُّ قد حربَ^١ ؛
وأمانةَ الناس قد خزيت ؛ وهذه الأمانة قد فنكت^٢ وشغرت^٣ ؛
قلبتُ لابنِ عمِّك ظهرَ المِجنِّ^٤ ، ففارقته مع المفارقين ،
وخدلتُه مع الخاذلين ، وخننتُه مع الخائنين . فلا ابنَ عمِّك
أسيتَ ، ولا الأمانةَ أديتَ ، وكأنك لم تكن اللهَ تريد
بجهادك ، وكأنك لم تكن على بيئَةٍ من ربِّك ، وكأنك إنما

١ كَلَبَ الزَّمانَ : اشتد . حرب العدو : اشتد غضبه .

٢ فنكت : مضت في الامور مع هواها .

٣ شغرت : لم يبق احد يحميها ويضبطها .

٤ قلبت له ظهر المِجن : اي كنت معه فصرت عليه .

كنتَ تكيدُ هذه الأمةَ عن دنياهم ، وتنوي غرثهم عن قِيَمِهِمْ^١ ، فلما أمكنتك الشدة^٢ في خيانةِ الأمةِ أسرعتَ الكرَّةَ ، وعاجلتَ الوثبةَ ، واختطفْتَ ما قدَّرتَ عليه من أموالهم المصونةِ لأراملهم وأيتامهم ، اختطفْتَ الذئبَ الأزل^٣ داميةَ المعزى الكسيرةَ . فجملتهِ إلى الحجازِ رحيبُ الصدرِ بجمليهِ ، غيرَ متأثمٍ من أخذهِ ، كأنك ، لا أبا لغيرك^٤ ، حدرتَ الى أهليك تراثاً من أبيك وأمك ، فسبحان الله ! أما تؤمنُ بالمعادِ ؟ أو ما تخافُ نقاشَ الحسابِ ؟ أيها المعدادُ ، كان ، عندنا من ذوي الألبابِ ، كيف تُسبِغُ شراباً وطعاماً ؟ ! وأنتَ تعلمُ أنك تأكلُ حراماً ، وتشربُ حراماً ، وتبتاعُ الإماءَ ، وتنكحُ النساءَ ، من مالِ اليتامى والمساكينِ والمؤمنينِ والمجاهدين الذين أفاءه الله عليهم هذه الأموال ، وأحرزَ بهم هذه البلادَ ؟

فاتقِ اللهَ وارُدُّ الى هؤلاء القومِ أموالهم ؛ فإنك إن لم

١ الغرة : الغفلة . الفيه : مال الغنيمة والحراج .

٢ الشدة : أي شدة الزمان على ابن عمه ، أو هي بالفتح بمعنى الحملة .

٣ الأزل : الخفيف الوركين .

٤ لا أبا لغيرك : لم يقل له : لا أبا لك ، لانه ابن عمه .

٥ أفاء : أعاد .

تفعل ، ثم أمكنني الله منك ، لأعذر^١ الى الله فيك ،
ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار!
والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ، ما كانت
لهما عندي هواده^٢ ، ولا ظفيرا مني بارادة^٣ ، حتى آخذ الحق
منهما ، وأزيل الباطل عن مظلمتيهما . وأقسم بالله رب
العالمين ، ما يسرني أن ما أخذته من أموالهم حلال^٤ لي
أتركه ميراثاً لمن بعدي ، فضح^٥ رويداً^٦ ، فكأنك قد بلغت
المدى^٧ ، ودفنت تحت الثرى ، وعرضت عليك أعمالك
بالمحل^٨ الذي يُنادي الظالم فيه بالحسرة ، ويتمنى المضيّع فيه
الرجعة^٩ ، ولات حين مناص^{١٠} !

١ لأعذر : لأبدن العذر . فيك : أي في عقوبتك .

٢ ضح رويداً : أي اتدد ، ولا تعجل الى الامر .

٣ المدى : أي غاية العمر ونهايته .

عزل عامل محسن

من كتاب الى عمر بن ابي سلمة المخزومي ، وكان عامله على البحرين
فعرله ، واستعمل نعمان بن عجلان الزرقى مكانه :

أما بعدُ ؛ فإني قد وليتُ نعمانَ بنَ عجلانَ الزُّرقى على
البحرينِ ، ونزعتُ يدَكَ بلا ذمٍّ لك ولا تثریبٍ عليك ، فلقد
أحسنَتِ الولايةَ ، وأديتِ الأمانةَ ، فأقبِلْ غيرَ ظنينٍ ولا
ملومٍ ، ولا مُتَّهَمٍ ولا مأثومٍ . فلقد اردتُ المسيرَ الى
ظِلْمَةِ أَهْلِ الشَّامِ ، وأُحْبِيتُ أَنْ تَشْهَدَ معي ؛ فانك بمن
أَسْتَظْهِرُ به على جهادِ العدوِّ ، وإقامةِ عمودِ الدينِ ، إن
شاء الله !

عامل في وليمة

من كتاب الى عثمان بن حنيف الانصاري ، وكان عامله على البصرة ،
وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها ، فمضى اليها :

أما بعد يا ابن حنيف ، فقد بلغني أنَّ رجلاً من فتية
أهل البصرة دعاك الى مأدبة فأسرعت اليها تستطاب لك
الألوان ، وتُنقل اليك الجفان^١ ! وما ظننتُ أنك تجيب الى
طعام قوم عائلهم^٢ بحفوة^٣ ، وغنيهم مدعو . فانظر الى
ما تقضمه من هذا المقضم^٤ ، فما اشتبه عليك علمه ،
فالفضه ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه .

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ، ويستضيء بنور
علمه ؛ ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه^٥ ، ومن
طعمه بقرصيه ؛ ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن

١ الجفان : جمع جفنة وهي القصعة .

٢ العائل : المحتاج .

٣ تقضمه : تأكله . المقضم : المأكول .

٤ علمه : أي علم حلاله من حرامه .

٥ الطمر : الثوب البالي .

أعينوني بورعٍ واجتهادٍ ، وعفةٍ وسدادٍ . فوالله ما كنتُ
من دنياكم تَبْرَأُ^١ ، ولا ادَّخَرْتُ من غنائمها وَفْرًا ، ولا
أعددتُ لبالي ثوبي طَمْرًا^٢ ، ولا حُزْتُ من أرضها شَبْرًا ،
ولا أخذتُ منه إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِيرَةٍ^٣ ؛ وهي في عيني أوهى
وأهونُ من عَفْصَةٍ مَقْرَةٍ^٤ .

بلى ! كانت في أيدينا فَدَكٌ^٥ من كلِّ ما أَظْلَمَتِ السماءُ ،
فَشَحَّتْ عليها نفوسُ قومٍ ، وسَخَتْ عنها نفوسُ قومٍ
آخَرِينَ ، وَنِعِمَّ الْحَكَمُ اللهُ !

وما أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وغيرِ فَدَكٍ ؟ والنفسُ مظانُّها في غَدِ
جَدَثٍ^٦ ، تَتَقَطَّعُ في ظِلْمَتِهِ آثَارُها ، وتَغِيبُ أخبارُها ؛
وحفرةٌ لو زِيدَ في فُسْحَتِها ، وأَوْسَعَتْ يدا حافِرِها ، لأَضْغَطْها
الحِجْرُ والمدَرُ^٧ ، وسَدَّ قُرَجَها التُّرابُ المتراكِمُ ، وإِنَّمَا هي

١ التبر : فئات الذهب والفضة قبل ان يصاغا .

٢ اعددت لبالي ثوبي طمراً : اي اعددت ثوباً بالياً آخر .

٣ الاتان : اثني الحمار . دبرة : معقورة الظهر ، وهي في هذه الحال يقل اكليها .

٤ العفصة : شجرة كالبُلوط . مقرة : مرة .

٥ فدك : قرية للنبي فيها نخل ، قيل انه جعلها من نصيب ابنته فاطمة ، فضمها ابو

بكر الى بيت المال .

٦ مظانها : جمع مظنة ، وهي موضع الشيء . الجدث : القبر .

٧ المدر : الطين .

نفسى أروضها بالتقوى لتأني آمنة يوم الخوف الأكبر ،
وتثبت على جوانب المزلق^١ ، ولو شئت لاهتديت الطريق
إلى مصفى هذا الغسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز ؛
ولكن هيات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي إلى تخيؤ
الأطعمة ، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص
ولا عهد له بالشبع ! أو أبيت مبطاناً وحولى بطون غرثي^٢
وأكبأد حرى ! أو أكون كما قال القائل :

وحسبك داء أن تبيت ببطنة ،

وحولك أكباد تحن إلى القد^٣ !

أأفنع من نفسي بأن يقال : هذا أمير المؤمنين ! ولا
أشار كهم في مكاره الدهر ، أو أكون أسوء لهم في جشوبة
العيش ؟ فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة
همها علفها ، أو المرسلّة شعلها تقمّمها ، تكثرش من
أعلافها ، وتلهو عما يراذ بها ، أو أترك سدى وأهمل عابثاً ،

١ المزلق : أي الصراط .

٢ مبطان : ممتلئ البطن . غرثي : جائعة .

٣ البطنة : امتلاء البطن من الطعام حتى يضيق النفس . القد بالفتح : جلد السحلة ،
وكانوا يأكلون القد في الجوع والجذب .

٤ جشوبة العيش : سوءه وخشونته .

٥ التقمم : تتبع القمامة لأكها ، والقمامة : الكناسة .

أو أجزء حبل الضلالة ، أو أعتسف طريق المئاهة .
 وكأني بقائلكم يقول : « إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب ، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان . » ألا وإن الشجرة البرية^١ أصلبُ عوداً ، والروائع الخضرة أرقُ جلوداً^٢ ، والنباتات العذبة^٣ أقوى وقوداً ، وأبطأ خموداً ! وأنا من رسول الله كالصنوبر من الصنوبر ، والذراع من العضد . والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها ، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها . وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس ، والجسم المركوس^٤ ، حتى تخرج المدرة^٥ من بين حب الحصيد .

-
- ١ الشجرة البرية : أي التي لا يروىها الماء .
 ٢ الروائع الخضرة : أراد بها الأشجار الجميلة الغضة التي يسقيها الماء . أرق جلوداً : أي ليست بصلبة العود .
 ٣ العذبة : أي التي لا يسقيها إلا المطر .
 ٤ الوقود بالضم : الاتقاد .
 ٥ كالصنوبر من الصنوبر : أي كالنخلة من النخلة في الأصل الواحد ، وتروى كالصنوبر من الصنوبر .
 ٦ المعكوس : المردود آخره إلى أوله ، أراد به معاوية ، وأنه معكوس إلى ضلال جاهليته . المركوس : المقلوب أوله على آخره ، ومنه الآية : والله أركسهم بما كسبوا ، أي قلبهم ورددتهم إلى كفرهم بما كسبوا منه ، وركس وأركس واحد .
 ٧ المدرة : قطعة الطين اليابس .

حقوق وواجبات

من كتاب الى امرائه على الجيوش

من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين الى اصحاب
المسالح^١ .

أما بعد ؛ فإن حقاً على الوالي أن لا يُغيّره على رعيّته
فضل^٢ ناله ، ولا طول^٣ تُخص به ، وأن يزيده ما قسم الله له
من نعمه دُنوّاً من عبادِهِ ، وعطفاً على إخوانِهِ .

ألا وإنّ لكم عندي أن لا أحتجزَ دونكم سرّاً إلا في
حرب ، ولا أطويَ دونكم أمراً إلا في حكم ، ولا أُؤخّر
لكم حقّاً عن محلّه ، ولا أقفَ به دون مقطعه^٤ ، وأن
تكونوا عندي في الحقّ سواء . فإذا فعلت ذلك وجبت لله
عليكم النعمة ، ولي عليكم الطاعة ، وأن لا تنكصوا عن دعوة^٥ ؛

١ المسالح : الثغور التي يخشى دخول العدو منها ، وتكون فيها القوات المسلحة .

٢ الطول : الفضل .

٣ دون مقطعه : أي دون حد القطع به متى تعين الحكم .

٤ تنكصوا : تجمعوا . عن دعوة : أي عن دعوة الى الجهاد ادعواكم بها .

ولا تفرطوا في صلاحٍ ، وأن تخوضوا الغمراتِ الى الحقِّ .
فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك ، لم يكن أحدٌ أهونَ عليَّ
ممن اعوجَّ منكم ، ثم أُعْظِمُ له العقوبةَ ، ولا يجدُ عندي فيها
رُخصةً^١ . فخذوا هذا من أمرائكم ، وأعطوهم من أنفسكم
ما يُصلِحُ الله به أمركم .

١ رخصة : تساهل .

وصيته الى عمال الخراج

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج .
 أما بعد ؛ فإنّ مَنْ لم يحذر ما هو صائرٌ اليه ، لم يُقدِّم
 لنفسه ما يحرزها . واعلموا أنّ ما كُلِّقتمَ سِيرُهُ ، وأن ثوابه
 كثيرٌ . ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعُدوان
 عقابٌ يُخافُ ، لكان في ثوابِ اجتنابه ما لا عُذرَ في تركِ
 طلبه . فأنصِفوا الناسَ من أنفسكم ، واصبروا لحوائجهم ،
 فإنكم تُخزّانُ الرعيةَ ، ووكلاءُ الأُمّةِ ، وسفراءُ الأئمّةِ . ولا
 تحسِمُوا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ، ولا تبيعنَّ
 للناس في الخراج كُسوةَ شتاء ولا صيفٍ ، ولا دابةً يعتَمِلونَ
 عليها ، ولا عبداً ؛ ولا تضرِبنَّ أحداً سوطاً لمكانِ درهمٍ ،
 ولا تَمَسِّنَّ مالَ أحدٍ من الناس : مُصلّاً ولا مُعاهدٍ ، إلا

١ لم يقدم لنفسه : اي لم يجعل لها من الحسنات مقدمة تحفظها في الآخرة .

٢ تحسّموا : تقطعوا .

٣ مصل : اي مسلم . معاهد : اي من الذميين المقيمين في البلاد ، او من
 يدخل دار الاسلام على عهد ، اما لاداء رسالة ، او لتجارة ونحو ذلك ، ثم
 يعود الى بلاده .

أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعدى به على أهل الإسلام ، فانه
 لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون
 شوكه عليه . ولا تدخروا أنفسكم نصيحة ، ولا الجند
 حسن سيرة ، ولا الرعية معونة ، ولا دين الله قوة .
 وأبلوا في سبيل الله ما استوجب عليكم ، فإن الله ، سبحانه ،
 قد اصطنع عندنا^٢ وعندكم أن نشكره^٣ بجهدنا ، وأن نصره
 بما بلغت قوتنا ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !

١ لا تدخروا : على تضمينها معنى لا تمنعوا .

٢ اصطنع عندنا : أحسن إلينا .

٣ ان نشكره : أي لأن نشكره ، حذف لام التعليل .

عهد الاشترا النخعي

كتابه الى الاشترا النخعي لما ولاه على مصر واعمالها ، حين اضطرب
امر اميرها محمد بن ابي بكر ، وهو أطول عهد كتبه ، واجمعه
للمحاسن :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث
الاشتر في عهده اليه ، حين ولاه مصر : جباية خراجها ،
وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها .

أمره بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتّباع ما أمر به في
كتابه ، من فرائضه ، وسُننه ، التي لا يسعد أحدٌ إلا باتّباعها
ولا يشقى إلا مع جُحودها وإضاعَتِها ؛ وأن ينصر الله ، سبحانه ،
بقلبه ويده ولسانه ؛ فإنه ، جلَّ اسمه ، قد تكفّل بنصر مَنْ
نصره ، وإعزاز مَنْ أعزّه . وأمره أن يكسِر نفسه من
الشهوات ، ويزعجها عند الجمّحات ؛ فإنّ النفس أمّارة
بالسوء ، إلاّ ما رحم الله .

١ يزعجها : يكفها .

ثم اعلم ، يا مالك ، أني قد وجهتُك إلى بلادٍ قد جرت
عليها دولٌ قبلك من عدلٍ وجورٍ ، وأنَّ الناسَ ينظرون من
أُمورك في مثلِ ما كنتَ تنظرُ فيه من أُمورِ الولاةِ قبلك ،
ويقولون فيك ما كنتَ تقولُ فيهم ، وإنما يُستدلُّ على
الصالحين بما يُجري الله لهم على ألسُنِ عباده ؛ فليكن أحبُّ
الذخائر اليك ذخيرةَ العملِ الصالحِ . فاملكِ هواك وشحَّ
بنفسِكَ عما لا يحِلُّ لك ، فانَّ الشحَّ بالنفسِ الانصافُ منها
فما أحببت أو كرهت . وأشعرِ قلبك الرحمةَ للرعيةِ ،
والمحبةَ لهم ، واللطفَ بهم ، ولا تكوننَّ عليهم سبُعاً ضارياً
تغنمُ أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخٌ لك في الدين ، أو نظيرُ
لك في الخلق ، يفرطُ منهم الزللُ ، وتعرضُ لهم العِللُ ،
ويؤتى على أيديهم^١ في العمدِ والخطأ . فأعطهم من عفوك
وصفحك مثلَ الذي تُحبُّ أن يُعطيك الله من عفوه وصفحه ،
فإنك فوقهم ، ووالي الأمرِ عليك فوقك ، والله فوق مَنْ
ولاك ، وقد استكفأك أمرهم^٢ وابتلاك بهم ؛ ولا تنصبن

١ يؤتى على أيديهم : أي يستولى عليها ، والمراد تستولي عليها السيئات .

٢ استكفأك أمرهم : أي طلب منك كفاية أمرهم .

نفسك لحربِ الله فإنه لا يَدَيْ لك^١ بنقمتِه ، ولا غنى بك عن
 عفوه ورحمته . ولا تندمنَّ على عفوي ، ولا تبجحنَّ بعقوبةٍ ،
 ولا تُسرِّعنَّ إلى بادرةٍ وجدتَ عنها مندوحةً ، ولا تقولنَّ :
 إني مؤمِّرٌ أمرُ فأطاعُ ، فإنَّ ذلك إدغالٌ^٢ في القلبِ ،
 ومنهكةٌ للدين ، وتقربٌ من الغيرِ^٣ .

آفة التكبر

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أُبَّهَةً أو تخيلةً ،
 فانظر الى عِظَمِ مُلكِ الله فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر
 عليه من نفسك ؛ فإنَّ ذلك يُطامنُ^٥ إليك من طِمَاحِك ،
 ويكفُّ عنك من غرْبِك^٦ ، ويفيء إليك بما عَزَبَ^٧ عنك من
 عقلِك .

١ لا يدي : أي لا طاقة ، ويستعمل كذلك بحذف النون كأنه يراد به الإضافة .

٢ الإدغال : الإفساد ،

٣ الغير : نوازل الدهر وبلاياه .

٤ المخيلة : الخيلاء .

٥ يطامن : يخفض .

٦ الغرب : الحدة .

٧ يفيء : يرجع . عزب : غاب .

إياك ومُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ ، وَالتَّشْبُهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ،
فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهَيِّنُ كُلَّ مُخْتَالٍ !

الانصاف

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمِنْ خَاصَّةِ
أَهْلِكَ ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ
تَظْلِمُ ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ ، كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ؛
وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَحْضَ حُجَّتَهُ ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ^١
أَوْ يَتُوبَ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ
نِقْمَتِهِ ، مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ
وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ !

رضى العامة

وَلَيْكِنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعَمُّهَا
فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرِّعِيَةِ ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَةِ يُجْحِفُ
بِرِضَى الْخَاصَّةِ^٢ ، وَإِنْ سُخْطُ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَةِ ،

١ حرباً : أي عدواً محارباً . ينزع : أي يقلع عن ظلمه .

٢ اجحف برضى الخاصة : ذهب به ، أي لا ينفع رضى الخاصة اذا سخطت
العامة .

وليس أحدٌ من الرعية أثقلَ على الوالي مؤونةً في الرخاء ،
وأقلَّ معونةً له في البلاء ، وأكْرَهَ للانصاف ، وأسألَ بالاحلاف ،
وأقلَّ شُكْراً عند الاعطاء ، وأبطأَ عُذْراً عند المنع ، وأضعفَ
صبراً عند مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ من أهلِ الحَاصَةِ ؛ وإِنما عمادُ الدين ،
وجِماعُ المسلمين ، والعدَّةُ للاعداء العامة من الأُمّةِ ؛ فليكن
صغوك^١ لهم ، وميلك معهم !

ستر عيوب الناس

وليكن أبعدُ رعيَّتِكَ منك ، وأشدَّهم^٢ عندك أطلَبَهم
لمعايبِ الناس ؛ فإنَّ في الناس عُيوباً الوالي أحقُّ مَنْ
يسترها ، فلا تَكْشِفَنَّ عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهيرُ
ما ظهر لك ، والله يحكم على ما غاب عنك . فاستترِ العورة
ما استطعتَ ، يسترِ الله منك ما تحبُّ سترَه من رعيَّتِكَ .
أُطْلِقْ عنِ الناس عُقْدةَ كُلِّ حَقْدٍ ، واقطعْ عنك سببَ كُلِّ
وتيرٍ^٣ ، وتغابَ عن كُلِّ ما لا يَصِحُّ لك ، ولا تعجلَنَّ الى
تصديقِ ساعٍ ؛ فإن الساعي غاشٌّ ، وإن تشبَّه بالناصحين .

١ صغوك : ميلك .

٢ أشدَّهم : أبغضهم .

٣ الوتر : التآر او الظلم فيه والجناية .

اهل المشورة والوزراء

ولا تُدخلنَّ في مشورتك بحيلةً يعدلُ بك عن الفضلِ ،
ويعدك الفقرَ ، ولا جباناً يُضعفك عن الأمورِ ، ولا
حريصاً يُزيّن لك الشرَّ بالجورِ ؛ فانَّ البخلَ والجبنَ
والحرصَ غرائزُ شتى يجمعُها سوءُ الظنِّ بالله !

إنَّ شرَّ وُزرائك مَنْ كان للأشرارِ قبلكَ وزيراً ، ومن
شرِّ كُتُبهم في الآثامِ ، فلا يكوننَّ لك بطانةً ، فإنهم أعوان
الآثمةِ ، وإخوانُ الظلمةِ ! وأنتَ واجدٌ منهم خيرَ الخلفِ
ممن له مثلُ آرائهم ونفادهم ، وليس عليه مثلُ آصارهم
وأوزارهم ؛ ممن لم يُعاون ظالماً على ظلمه ، ولا آثماً على إثمه .
أولئك أخفُّ عليك مؤونةً ، وأحسنُ لك معونةً ، وأحقُّ
عليك عِطفاً ، وأقلُّ لغيرك إلفاً ؛ فاتخذْ أولئك خاصةً خلواتك
وحفلاتك ، ثم ليكن آثارهم عندك أقولهم بمُرِّ الحَقِّ لك ،
وأقلُّهم مساعدةً فيما يكونُ منك ، مما كره الله لأوليائه ،
واقعاً ذلك من هواك حيث وقع . والصقْ بأهلِ الورع
والصدقِ ، ثم رضهم على أن لا يُطروك^٢ ولا يُبجحوك^٣

١ الأصار : الذنوب والآثام ، وكذلك الأوزار .

٢ رضهم : درهم وعودهم ، من راض . يطروك : يحسنوا الثناء عليك .

٣ يبجحوك : يجعلوك تبجح ، أي تباهي وتفاخر .

بباطلٍ لم تفعله ؛ فان كثرة الاطراء 'تحدث' الزهو وتدني
من العِزَّة .

معاملة الرعية

ولا يكونُ المحسنُ والمسيءُ عندك بمنزلةٍ سواء ؛ فان في
ذلك تزهيداً لأهل الاحسان في الاحسان ، وتدريباً لأهل
الاساءة على الاساءة ! وألزمٌ كلاً منهم ما ألزم نفسه . واعلم
أنه ليس شيءٌ بأدعى إلى حُسنِ ظنٍّ راعٍ برعيته من إحسانه
اليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم ، وتركِ استكراهه إياهم على
ما ليس له قبيلتهم . فليكن منك في ذلك أمرٌ يجتمع لك به
حُسنُ الظنِّ برعيته ، فان حُسنَ الظنِّ يقطعُ عنك نصباً
طويلاً ، وإن أحقَّ من حُسنِ ظنِّك به لمن حُسنَ بلاؤك
عنده ، وإن أحقَّ من ساء ظنِّك به لمن ساء بلاؤك عنده .
ولا تنقصُ سنةً صالحةً عملٍ بها صدورُ هذه الامة ،
 واجتمعت بها الألفةُ وصلحت عليها الرعيةُ ؛ ولا تُحدثنُ سنةً
تضرُّ بشيءٍ من ماضي تلك الشئْنِ ، فيكون الأجرُ لمن سنّها ،
 والوزرُ عليك بما نقضت منها .

وأكثرُ مُداورةِ العلماء ، ومنافثةِ^٢ الحكماء في تثبيت

١ النصب : التعب .

٢ منافثة : محادثة .

ما صلح عليه أمرُ بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك .

طبقات الرعية

واعلم أنَّ الرعيةَ طبقاتٌ لا يصلحُ بعضها إلا ببعضٍ ، ولا غنى ببعضها عن بعضٍ ؛ فمنها جنودُ الله ، ومنها كُتَّابُ العامة والحِصَّةُ ، ومنها قضاةُ العدلِ ، ومنها عمالُ الانصافِ والرفقِ ، ومنها أهلُ الجزيةِ والخراجِ من أهلِ الذمَّةِ ومُسْلِمَةِ الناسِ ، ومنها التجارُ وأهلُ الصناعاتِ ، ومنها الطبقةُ السفلى من ذوي الحاجةِ والمسكنةِ ، وكلٌّ قد سمى الله له سهمه^١ ، ووضع على حده^٢ وفريضته في كتابه أو سنة نبيه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، عهداً منه عندنا محفوظاً .

فالجنودُ ، باذنِ الله ، حصونُ الرعيةِ ، وزينُ الولايةِ ، وعزُّ الدينِ ، وسبيلُ الأمنِ ؛ وليس تقومُ الرعيةُ إلا بهم ، ثم لا قوامَ للجنودِ إلا بما يُخرجُ الله لهم من الخراجِ الذي يَقْوُونَ به على جهادِ عدوِّهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكونُ من وراء حاجتهم . ثم لا قوامَ لهذين الصنفين^٣ إلا

١ سهمه : نصيبه .

٢ حده : أي تمييزه عن الآخر .

٣ الصنفين : أي صنف الجنود وصف أهل الخراج .

بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتّاب ، لما
يُحكِّمون من المعاهد^١ ، ويجمعون من المنافع ، ويؤمنون عليه
من خواص الأمور وعوائدها . ولا قوام لهم جميعاً إلا
بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم^٢ ،
ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم
مما لا يبلغه رفق^٣ غيرهم . ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة
والمسكنة الذين يحقّ رفقهم^٤ ومعونتهم ، وفي الله لكل
سعة^٥ ، ولكل على الوالي حقّ بقدر ما يصلحه .

الجنود

وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا
بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق ،
والصبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقل . فولّ من جنودك
أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولأماميك ، وأنقاهم جيئاً^٥ ،

١ المعاهد : أي عقود البيع والشراء ونحوهما .

٢ المرافق : المنافع .

٣ الترفق : التكسب . الرفق : الكسب .

٤ الرقد : العطاء .

٥ أنقاهم جيئاً : أي أنقاهم صدرأ ، والجيب طوق التقيص .

وأفضلهم حليماً ، ممن يُبْطِئُ عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبوا على الأقوياء ؛ ومن لا يُثِرُهُ العُنفُ ، ولا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ .

ثم الصَّقُ بذوي المروءات والأحساب ، وأهل البيوتات الصالحة ، والسوابق الحسنة ، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة ؛ فانهم جماعٌ من الكرم ، وشُعَبٌ من العُرف^٢ . ثم تَفَقَّدُ من أُمُورِهِم ما يَتَفَقَّدُ الوالدان من ولدهما ، ولا يَتَفَاقَمَنَّ في نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُم بِهِ ، ولا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُم بِهِ ، وإن قلَّ ، فإنه داعيةٌ لهم إلى بذل النصيحة لك ، وحُسنِ الظنِّ بك . ولا تَدْعُ تَفَقُّدَ لُطْفِ أُمُورِهِم اتِّكَالًا على جَسِيمِهَا ؛ فإنَّ للسيرِ من لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وللجسيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ .

وليكن آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مِنْ وِاسَاهِمٍ^٣ فِي مَعُونَتِهِ ، وَأَفْضَلُ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ^٤ ، بَمَا يَسْعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ

١ ينبو : يتجافى .

٢ شعب : طوائف ، واحدها شعبة . العرف : المعروف .

٣ واساهم : اي واسبى الجند ، والمراد ساعدهم .

٤ الجدة : ما يوجد بيده من المال ، والمراد به ارزاق الجند .

وراءهم من 'خُلوْفِ أهْلِهِمْ' ، حتى يكونَ همُّهم همّاً واحداً
 في جِهَادِ العدوِّ ؛ فإنَّ عطفَكَ عليهم يعطِفُ قلوبَهم عليك ؛ وإنَّ
 أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ ، وظهورُ
 مودَّةِ الرِّعْيَةِ ؛ وإنَّه لا تَظْهَرُ مودَّتُهُمْ إلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ ،
 ولا تَصِيحُ نَصِيحَتُهُمْ إلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَى وِلَاةِ الْأُمُورِ ، وَقَلَّةِ
 اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ ، وتركِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ . فافسَحْ فِي
 آمَالِهِمْ ، وواصلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ
 مِنْهُمْ ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ حُسْنُ أَعْمَالِهِمْ تَهْزُ الشَّجَاعَ ،
 وتُجَرِّضُ النَّاكِلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى ، ولا تُضَيِّقَنَّ بِلَاءَ
 امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ ، ولا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بِلَائِهِ ، ولا
 يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا ،
 ولا ضَعْفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا .

وَارْجِعْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ^٢ مِنَ الْخُطُوبِ ،
 وَيشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ
 إِرْشَادَهُمْ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

١ خلوْفِ أهْلِهِمْ : أي المتخلفون من أهْلِهِمْ فِي بَيُوتِهِمْ كَالنِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ
 وَالْعَاجِزِينَ .

٢ اضْلِعْكَ : أثْقَلَكَ .

وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله
والرسول . » فالرّد إلى الله الأخذُ بِحُكْمِ كتابه ، والرّد إلى
الرسول الأخذُ بِسُنَّتِهِ الجامعةِ غيرِ المُفرقةِ .

اختيار القاضي

ثم اختر للحكم بين الناس أفضلَ رعيّةٍ في نفسك ممن
لا تضيقُ به الأمورُ ، ولا تُحكِّمهُ الخصومُ ، ولا يتأدّى في
الزّلةِ ، ولا يحصرُ من الفياءِ^٢ إلى الحقِّ إذا عرفه ، ولا
تُشرفُ نفسه على طمعٍ ، ولا يكتفي بأدنى فهمٍ دون أقصاه ؛
وأوقفهم^٣ في الشُّبُهاتِ ، وآخذهم بالحججِ ، وأقلّبهم تبرّماً
بمراجعةِ الخصمِ ، وأصبرهم على تكشُّفِ الأمورِ ، وأصرمهم
عند اتّصاحِ الحكمِ ؛ بمن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله
إغراء ، وأولئك قليلٌ . ثم أكثروا تعاھدَ قضاائه ، وافسح
له في البذلِ ما يُزيلُ غلّته ، وتقلّ معه حاجته إلى الناس ؛
وأعطه من المنزلةِ لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك

١ تحكّمه : تجعله لجوجاً في الخصومة .

٢ يحصر : يضيق صدره . الفياء : الرجوع .

٣ وأوقفهم : معطوف على أفضل رعيّتك .

٤ تعاھد قضاائه : تّبّعہ والوقوف عليه .

ليأمنَ بذلك اغتيالَ الرجالِ له عندك . فانظر في ذلك نظراً
بليغاً ، فانَّ هذا الدِّينَ قد كانَ أسيراً في أيدي الأشرارِ ١ ،
يُعملُ فيه بالهوى ، وتُطلبُ به الدنيا .

اختيار العمال

ثم انظرُ في أمورِ عُمالكِ فاستعملهم اختباراً ، ولا تولِّهم
مُحابةً وأثرةً ٢ ؛ فإنهم جِماعٌ من شُعَبِ الجورِ والخيانةِ ٣ .
وتوخَّ منهم أهلَ التجربةِ والحِياءِ من أهلِ البيوتاتِ الصالحةِ ،
والقدمِ في الاسلامِ ٤ المتقدمةِ ، فإنهم أكرمُ أخلاقاً ، وأصحُّ
أعراضاً ، وأقلُّ في المطامعِ إشفاقاً ، وأبلغُ في عواقبِ
الأُمورِ نظراً . ثم أسبِغْ عليهم الأرزاقَ ، فانَّ ذلك قوَّةٌ
لهم على استصلاحِ أنفسهم ، وغَنَى لهم عن تناولِ ما تحتملُ
أيديهم ، وحُجَّةٌ عليهم إن خالفوا أمرَكَ أو ثَلَمُوا أمانَتَكَ .
ثم تفقَّدْ أعمالهم وابعثِ العيونَ من أهلِ الصدقِ والوفاءِ
عليهم ، فانَّ تعاهدَكَ في السرِّ لأُمورهم حدوةٌ لهم ٥ على

١ الاشرار : اراد بهم قضاة عثمان وحكامه .

٢ الاثرة : ان يختار الانسان لنفسه اشياء حسنة .

٣ فانهم جِماع الخ : اي فان الذين توليهم محابة واثرة يجمعون طوائف الجور
والخيانة .

٤ القدم في الاسلام : اي السابقة في الاسلام .

٥ حدوة لهم : اي سوق وحث لهم .

استعمال الأمانة والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسط عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبتَه بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وفقدته عار التهمة.

الخراج

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله؛ فإن في إصلاحه وصالحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة؛ ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقيم أمره إلا قليلاً. فإن شكوا ثقلًا، أو علة^١، أو انقطاع شرب^٢ أو بالة^٣، أو إحالة أرض^٣ اغتمرها غرق^٣، أو أجحف بها

١ ثقلًا : أي ثقل الخراج . علة : أي علة تضر بالزرع كالجراد والبرد .

٢ الشرب بالكسر : الماء . والمراد ماء الأنهر والسواقي التي تروي الزروع .
البالة : أي المطر .

٣ إحالة الأرض : أي فساد زرعها .

عطش^١ ، خَفَقَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجَوْ أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ . وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَقَتْ بِهِ الْمُؤَوَّنَةُ عَنْهُمْ ، فَانْه ذُخْرُ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ ، وَتَزِينِ وِلَايَتِكَ ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنِ ثَنَائِهِمْ ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ ، مَعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عَنْدهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ^٢ ، وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ . فَبِمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ ، احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ ، فَإِنَّ الْعِمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ ، وَإِنَّمَا يُعَوِّزُ أَهْلُهَا لِأَشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ^٢ ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ ، وَقَلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ .

الكتاب

ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كِتَابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ ، وَاخْصُصْ رِسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ ، مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ ،

١ اجمامك لهم : اراحتك لهم .

٢ الجمع : اي جمع المال .

فيجتريء بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاً ، ولا تُقَصِّرُ
 به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار جواباتها
 على الصواب عنك ، فيما يأخذُ لك ويُعطي منك ، ولا يُضعِفُ
 عقداً اعتقده لك ، ولا يعجزُ عن إطلاق ما عُقدَ عليك ، ولا
 يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ؛ فإنَّ الجاهل بقدر نفسه
 يكون بقدر غيره أجهل . ثم لا يكن اختيارك إياهم على
 فِرَاسَتِكَ واستنامتِكَ^٢ وحُسن الظنِّ منك ؛ فإنَّ الرجال
 يتعرَّفون^٣ لفِرَاساتِ الولاةِ بتضنُّعهم وحُسنِ خدمتهم ، وليس
 وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء ؛ ولكنَّ اختبارهم بما
 وُلِّوا للصالحين قبلك ، فاعمد لأحسنهم ، كان ، في العامة
 أثراً ، وأعرِفهم بالامانة وجهاً ، فإنَّ ذلك دليلٌ على نصيحتك
 لله وللمن وُلِّيتَ أمره . واجعل لرأس كلِّ أمرٍ من أمورك
 رأساً منهم ، لا يَقهره كبيرها ، ولا يشتت عليه كثيرها ،
 ومهما كان في كُتَّابِكَ من عيبٍ فتغابيت عنه ، ألزمتَه .

التجار وذوو الصناعات

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات ، وأوص بهم

١ ملا : جماعة من الناس .

٢ الاستنامة : الاطمئنان الى الشيء والوثوق به .

٣ يتعرفون : يقال : تعرف الى فلان ، اي عرفه بنفسه وجعله يعرفه .

خيراً : المقير منهم ، والمضطرب^١ بما له ، والمتفرق^٢ ببدنه ،
فإنهم موادُّ المنافع ، وأسبابُ المرافق ، وجُلأَتُها من المباعِد
والمطارج ، في بَرَكٍ وبحركٍ وسهليكَ وجبليكَ ، وحيث لا
يلتئمُ الناسُ لمواضعِها ولا يجترئون عليها ، فإنهم سلمٌ لا تخاف
بأثنته^٣ وصلحٌ لا تخشى غائلته . وتفقدُ أمورهم بحضرتك ،
وفي حواشي بلادك ، واعلم ، مع ذلك ، أن في كثيرٍ منهم
ضيقاتٌ فاحشةً ، وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً
في البياعات^٥ ، وذلك بابٌ مضرٌّ للعامة ، وعيبٌ على الولاة ،
فامنع من الاحتكار ، فإن رسولَ الله ، صلى الله عليه وآله
وسلم ، منع منه . وليكن البيعُ بيعاً سحاً ، بموازين عدلٍ
وأسعارٍ لا تجحفُ بالفريقين من البائع والمبتاع ؛ فمن
قارف حُكْرَةً بعدَ نهيكٍ إياه فنكّلْ به^٦ ، وعاقبه في غير
إسراف !

١ المضطرب : اي المتردد في البلاد .

٢ المتفرق : المكتسب .

٣ البائقة : الداهية .

٤ الضيق : البخل .

٥ البياعات : جمع البياعة وهي السلعة .

٦ نكل به : عاقبه واجعله عبرة لغيره .

ثم الله الله^١ في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من
المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى^٢ ، فإن في هذه
الطبقة قانعا ومعترا^٣ ، واحفظ الله ما استحفظك من حقه
فيهم ، واجعل لهم قسما من بيت مالك ، وقسما من غلات
صوافي الاسلام في كل بلد ؛ فإن للاقصى منهم مثل الذي
للادنى ، وكل قد استوعبت حقه ؛ فلا يشغلنك عنهم بطر ،
فانك لا تعذر بتضييعك التافه ، لا إحكامك الكثير المهم .
فلا تشخص همك عنهم^٤ ، ولا تصغر خدك لهم^٥ ، وتفقد
أمر من لا يصل اليك منهم بمن تقتحمه العيون^٦ وتحقره
الرجال . ففرغ لأولئك ثقتك^٧ ، من أهل الحشية والتواضع ،

١ الله الله : اي خف الله واحذره .

٢ الزمنى : جمع زمين ، وهو المصاب بالزمانة ، أي العاهة .

٣ المعتز : الذي يتعرض للعطاء ولا يسأل .

٤ الصوافي : جمع صافية ، وهي ارض الغنيمة التي كانت للرسول وآله ، ثم صارت
بعد موته لفقراء المسامين .

٥ لا تشخص همك عنهم : اي لا تصرفه عنهم .

٦ لا تصغر خدك لهم : اي لا تمله تكبرا ، من أmaal .

٧ تقتحمه العيون : تزدره .

٨ فرغ لأولئك ثقتك : اي اجعل من تثق به يتفرغ للنظر في احوالهم .

فليرفع اليك أمورهم ، ثم اعمل فيهم بالاعذار^١ إلى الله يوم
تلقاه ، فان هؤلاء من بين الرعية. أوجب إلى الانصاف من
غيرهم ، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه اليه . وتعهد أهل
اليسم وذوي الرقة في السن^٢ بمن لا حيلة له ، ولا ينصب
للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل ، والحق كله ثقيل ،
وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ،
ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

واجعل لذوي الحاجات^٣ منك قسماً تُفرغ لهم فيه شخصك
وتجلس لهم مجلساً عاماً ، فتتواضع فيه لله الذي خلقك ،
وتتعهد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك ، حتى
يُكَلِّمَكَ مُكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ^٤ ، فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول في غير موطن^٥ : « لن
تُقدَّس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير
متتبع^٦ . » ثم احتمل الخرق^٦ منهم والعبي ، ونج عنهم

١ الاعذار : ابداء العذر .

٢ ذوو الرقة في السن : اي المتقدمون في السن .

٣ لذوي الحاجات : اي المتظلمين .

٤ متتبع : مضطرب متردد في كلامه ، خوفاً على حقه .

٥ في غير موطن : اي في مواطن كثيرة .

٦ الخرق : الجبل وضعف الرأي .

الضيقَ والأَنْفَ^١ ، ييسُطِرُ اللهُ عليك بذلك أكنافَ رحمته
ويوجبُ لك ثوابَ طاعتهِ ، وأعطيَ ما أعطيتَ هنيئاً ، وامنعُ
في إجمالٍ^٢ وإعذارٍ !

ثمُ أمورٌ من أمورك لا بدَّ لك من مُباشرتها : منها
إجابةُ عمالك بما يعيا عنه كُتائبُك ، ومنها إصدارُ حاجاتِ
الناسِ يومَ ورودِها عليك ، بما تخرجُ^٣ به صدورُ أعوانِك ؛
وأمضِ لكلِّ يومٍ عمله ، فإنَّ لكلِّ يومٍ ما فيه .

اداء الفرائض

واجعلْ لنفسِك فيما بينك وبين الله أفضلَ تلكِ المواقيتِ ،
وأجزِلَ تلكِ الأقسامِ ، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها
النِّيَّةُ ، وسلمت منها الرعيةُ . وليكن ، في خاصةٍ ما تُخلِصُ
به الله دينك ، إقامةُ فرائضه التي هي له خاصةٌ ؛ فأعطيَ الله من
بدنك في ليلِك ونهارِك ، ووفَّ ما تقرَّبتَ به إلى الله من
ذلك كاملاً غيرَ مثلومٍ ولا منقوصٍ ، بالغاً من بدنك ما بلغ .

١ الانف : الانفة ، اي الاستكاف والاستعلاء .

٢ الاجمال : الاعتدال والتلطف .

٣ تخرج : تضيق .

واذا قمتَ في صلاتِكَ للناس فلا تكونَنَّ مُنْفَرًّا ولا مُضِعًّا ،
 فانَّ في الناس مَنْ به العلةُ وله الحاجةُ . وقد سألتُ رسولَ
 الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، حينَ وجَّهني الى اليمنِ :
 كيف أصلي بهم ؟ فقال : « صلَّ بهم كصلاةِ أضعفهم ، وكن
 بالمؤمنين رحيماً . »

حجاب الوالي

وأما بعدُ ، فلا تُطوِّلَنَّ احتجابَكَ عن رعيَّتِكَ ، فانَّ
 احتجابَ الولاةِ عن الرعيةِ شعبةٌ من الضيقِ^٢ ، وقلةٌ علمِ
 بالأمورِ . والاحتجابُ منهم يقطعُ عنهم عِلْمَ ما احتجبوا
 دونه ، فيصغرُ عندهم الكبيرُ ، ويعظمُ الصغيرُ ، ويقبحُ
 الحسنُ ، ويحسنُ القبيحُ ، ويُشَابُ الحقُّ بالباطلِ . وإنما
 الوالي بشرٌ لا يعرفُ ما توارى عنه الناسُ به من الأمورِ ،
 وليست على الحقِّ سِمَاتٌ تُعرفُ بها ضروبُ الصدقِ من
 الكذبِ ، وإنما أنتَ أحدُ رجلينِ : إما امرؤٌ سخَّتَ نفسُكَ
 بالبدلِ في الحقِّ ، ففيمَ احتجابُكَ من واجبِ حقِّ تَعْطِيهِ ،
 أو فِعْلِ كَرِيمٍ تُسَدِّيه ؟ أو مُبْتَلًى بالمنعِ ، فما أسرعَ كَفِّ

١ منفرأً : اي ينفر الناس عن الصلاة بتطويله . مضِعاً : اي يضيع الصلاة
 بنقص أركانها .

٢ الضيق : البخل .

الناس عن مسألتك إذا أيسوا^١ من بذلك مع أن أكثر حاجات الناس اليك بما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة .

في الخاصة والبطانة

ثم إن للوالي خاصة وبطانة^٢ فيهم استئثار^٣، وتناول^٤، وقلة إنصاف في معاملة^٥ ، فاحسب^٦ مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تقطعن^٧ لأحد من حاشيتك وحاميتك قطيعة^٨ . ولا يطمعن^٩ منك في اعتقاد^{١٠} عقدة^{١١} تضر^{١٢} بمن يليها من الناس في شرب أو عمل^{١٣} مشترك^{١٤} ، يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهذا ذلك لهم دونك ، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة .

وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابراً محتسباً^{١٥} ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك

١ أيسوا : قنطوا .

٢ الحامة : الخاصة والئرابة . القطيعة : ما يقطع ويمنع من الأرض .

٣ اعتقاد : اقتناء . العقدة : الضيقة والمقار .

٤ يليها : أي يقرب منها .

٥ محتسباً : أي طالباً الأجر عند الله .

حيث وقع ؛ وابتغى عاقبته بما يتقيل عليك منه ، فان مغيبة ذلك محمودة .

وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر^١ لهم بعذرِكَ ،
واعدلْ عنك ظنونهم بإصهارِكَ ؛ فان في ذلك رياضةً منك
لنفسِكَ ، ورفقاً برعيَّتِكَ ، وإعذاراً تبلغ به حاجتَكَ من تقويمهم
على الحق .

الوفاء بالعهد

ولا تدفعنَّ صلحاً دعاكَ اليه عدوُّكَ ، لله فيه رضى ، فان
في الصلح دعة^٢ لجنودِكَ ، وراحةً من همومِكَ ، وأمناً
لبلادِكَ ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوِّكَ بعد صلحه ؛
فان العدو ربما قارب لينتفعل ، فخذ بالحزم ، واتهم في ذلك
حسن الظن . وإن عقدت بينك وبين عدوِّكَ عقدةً أو
ألْبستَه منك ذمةً ، فحط عهدَكَ بالوفاء ، وارعَ ذمتَكَ
بالأمانة ، واجعلْ نفسك جنةً^٣ دون ما أعطيت ؛ فانه
ليس من فرائض الله شيءٌ الناسُ أشدُّ عليه اجتماعاً ، مع تفرُّق

١ فاصحر : فاضهر ، من الاصحار ، وهو الظهور في الصحراء .

٢ الدعة : الراحة .

٣ الجنة بالضم : الوقاية .

أهوائهم وتشتت آرائهم ، من تعظيم الوفاء بالعهود . وقد
 لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين ، لما استوبلوا^١
 من عواقب الغدر ، فلا تغدرنَّ بدميتك ولا تحسننَّ بعهدك^٢
 ولا تحتلنَّ^٣ عدوك ؛ فانه لا يجترىء على الله إلا جاهلٌ شقي .
 وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه^٤ بين العباد برحمته ،
 وحريماً يسكنون إلى منعمته ، ويستفيضون^٥ إلى جواره ،
 فلا إدغال^٦ ولا مُدالسة ولا خداع فيه . ولا تعقدنَّ عقداً
 تجوزنَّ فيه العلل^٨ ، ولا تعولنَّ على لحن القول^٩ بعد التأكيد
 والتوثيق ، ولا يدعوننَّك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهدُ الله إلى
 طلب انفساخه بغير الحق ؛ فانَّ صبرك على ضيق أمرٍ ترجو

١ استوبلوا الشيء : وجدوه وبيلاً ، أي شديداً ثقيلاً وخيم العواقب .

٢ خاس بعده : غدر ونكث .

٣ حتل : خدع .

٤ افضاه : جعله موسعاً .

٥ الحريم : ما حرم عليك أن تمسه .

٦ يستفيضون : ينتشرون .

٧ ادغال : افساد .

٨ العلل : أي التأويلات والتخريجات .

٩ لحن القول : فحواه ومعناه ومعارضه . قال الازهري : لحن القول كالعنوان ،
 وهو كالعلامة تشير بها فيفطن المخاطب لغرضك ، وهو بقبل التوجيه كالتورية
 والتعريض ، فلا يركن اليه في العهود ، وخير منه صريح القول .

انفراجَه وفضلَ عاقِبَتِه ، خيرٌ منْ غدرٍ تخافُ تَبِيعَتَه ، وأنْ
تَحِيطُ بِكَ مِنْ اللَّهِ فِيهِ طَلِبَةٌ ، لَا تَسْتَقِيلُ^١ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا
آخِرَتَكَ .

سَفَكِ الدَّمَاءِ

إِيَّاكَ وَالدَّمَاءِ وَسَفَكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَى
لِنِقْمَةٍ ، وَلَا أَعْظَمَ لَتَبِيعَةٍ ، وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ ،
مِنْ سَفَكِ الدَّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ مُبْتَدِئُ بَالِحِكُمْ
بَيْنَ الْعِبَادِ ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنْ الدَّمَاءِ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَلَا
تُثَوِّبَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفَكِ دَمٍ حَرَامٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضَعِفُهُ
وَيُوْهِنُهُ بَلْ يَزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ ، وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي
فِي قَتْلِ الْعَمَدِ ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَوْدَ^٢ الْبَدَنِ . وَإِنْ ابْتَلَيْتَ بِخَطِيئَةٍ ،
وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ^٣ سَوْطُكَ ، أَوْ سَيْفُكَ ، أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ ، فَإِنَّ
فِي الْوَكْزَةِ^٤ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً^٥ ، فَلَا تَطْمَحَنَّ^٥ بِكَ نَخْوَةً
سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تَوْدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ .

١ تسقيها : تطلب أقاتك منها ، أي اعفاءك ، ورفعك منها .

٢ القود : القصاص ، والمراد أن قتل العمدة يوجب عليه القود أي القتل بجريرة
المقتول .

٣ أفرط عليك : عجل بك .

٤ الوكزة : الضربة بجمع الكف .

٥ تطمح : تجمع .

وإياك والاعجابَ بنفسِكَ ، والثقةَ بما يُعجبُكَ منها ،
وحُبَّ الاطراء ، فإنَّ ذلك من أوثقِ فُرصِ الشيطانِ في
نفسِهِ لِيَمَحَقَّ ما يكونُ من إحسانِ المحسنين .

وإياك والمنَّ على رعيَّتِكَ باحسانِكَ ، أو التزويدَ فيما كان
من فعلِكَ ، أو أن تَعِدَّهم فتُتْبِعَ موعِدَكَ بِخُلْفِكَ ؛ فإنَّ
المنَّ يُبْطِلُ الاحسانَ ، والتزويدَ يذهب بنورِ الحقِّ ، والخلفُ
يوجبُ المقتَ عند الله والناس . قال الله تعالى : « كُتِبَ مَقْتاً
عند الله أنْ تقولوا ما لا تفعلون . »

وإياك والعجلةَ بالأُمورِ قبل أوانِها ، أو التساقُطَ^١ فيها
عند إمكانِها ، أو اللجاجةَ فيها إذا تنكرت^٢ ، أو الوهنَ عنها
إذا استوضحت . فضعْ كلَّ أمرٍ موضِعَهُ ، وأوقِعْ كلَّ
أمرٍ موقِعَهُ .

وإياك والاستئثارَ بما للناسِ فيه أُسوةٌ ، والتغايي عما تُعْنَى
به بما قد وَضَحَ للعيونِ ؛ فانه مأخوذٌ منك لغيرِكَ ، وعمَّا
قليلٍ تنكشفُ عنكَ أعْظِيَةُ الأُمورِ ، ويُنتَصَفُ منك

١ التساقط : الاسترخاء والتهمل .

٢ تنكرت : بدت غريبةً مجهولةً .

للمظلوم . إِمْلِكْ حِمِيَّةَ أَنْفِكَ ^١ ، وَسُورَةَ حَدِّكَ ^٢ ، وَسُطُورَةَ
يَدِكَ ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ ^٣ ؛ وَاحْتَسِرْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ
الْبَادِرَةِ ، وَتَأْخِيرِ السُّطُورَةِ ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ
الْإِخْتِيَارَ ؛ وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ
بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ .

وَالوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقْدِّمُكَ مِنْ
حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا
شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا ، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَمِدْتَ
إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا ، وَاسْتَوْتَقْتُ بِهِ مِنْ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ ،
لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا .

ختام

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ
كُلِّ رَغْبَةٍ ، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ
عَلَى الْعِذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي

١ حِمِيَّةُ الْأَنْفِ : الْأَنْفَةُ وَالْكَبِيرُ .

٢ السُّورَةُ : الْحَدَّةُ . الْخَدُّ : الْبَاسُ .

٣ غَرْبُ اللِّسَانِ : حَدُّهُ ، تَشْبِيْهُاً لَهُ بِحَدِّ السِّيفِ .

العباد ، وجميل الاثر في البلاد ، وتقام النعمة ، وتضعيف
الكرامة ، وأن يحتّم لي ولك بالسعادة والشهادة ، إنا اليه
راجعون . والسلام على رسول الله ، صلى الله عليه وآله الطيبين
الطاهرين ، وسلم تسليماً كثيراً ؛ والسلام !

زمن المحل

يأتي على الناس زمان لا يُقَرَّبُ فيه إلا الماحل^١ ، ولا
يُظَرَفُ فيه إلا الفاجر ، ولا يُضَعَّفُ فيه إلا المنصف .
يعدّون الصدقة فيه غرماً ، وصلة الرحم مثاً ، والعبادة
استيالة على الناس ! فعند ذلك يكون السلطان بمشورة
النساء ، وإمارة الصبيان ، وتدبير الحُصَيان .

١ الماحل : الذي يسعى بالوشاية عند السلطان ، والكيد للناس .

الصداقة والعداوة

الاصدقاء والاعداء

أصدقاؤك ثلاثة ، واعدائك ثلاثة : فأصدقاؤك صديقك ،
وصديق صديقك ، وعدو عدوك . وأعدائك عدوك ، وعدو
صديقك ، وصديق عدوك .

انكار العدوان

أيها المؤمنون ، إنه من رأى عدواناً يُعملُ به ، ومنكراً
يدعى اليه ، فأنكره بقلبه ، فقد سلّم وبرئ ؛ ومن أنكره
بلسانه ، فقد أُجِرَ ، وهو أفضلُ من صاحبه ؛ ومن أنكره
بالسيف لِيَتَكُونَ كلمةُ الله هي العليا ، وكلمةُ الظالمين هي
السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيلَ الهدى ، وقام على الطريق ،
ونورَ في قلبه اليقين .

الشر بالشر

رُدُّوا الحجرَ من حيث جاء ؛ فإنَّ الشرَّ لا يدفعُهُ إِلَّا
الشرُّ .

الصدقة بين راغب وزاهد

زهدُك في راغبٍ فيكَ نقصانُ حظٍّ ، ورغبتُك في زاهدٍ
فيكَ دُلُّ نفسٍ .

حسن المعاشرة

خالطوا الناسَ مخالطةً إِنْ مِتُّمْ معها بَكُوا عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ
عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ .

اكتساب الاخوان

أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ ، وَأَعْجَزُ
مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ .

الغالب بالشر

ما ظفِرَ مَنْ ظفِرَ الاثمُ به ، والغالبُ بالشرِّ مغلوبٌ .

حب علي وبغضه

لو ضربتُ خيشومَ المؤمنِ بسيفي هذا ، على أن يُبغِضَني ،
ما أبغضَني ؛ ولو صببتُ الدنيا بجمّاتها على المنافقِ ، على أن
يُحِبِّني ، ما أحبَّني . وذلك أنه قُضِيَ فانقضى على لسانِ النبيِّ
الأميِّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه قال : يا عليُّ ،
لا يُبغِضُكَ مؤمنٌ ، ولا يُحبُّكَ منافقٌ .

تألف القلوب

قلوبُ الرِّجالِ وحشيّةٌ ، فمن تألفها أقبلت عليه .

فضيلة التحذير

من حدّرك كمن بشّرك .

حسن المخالقة

إِذَا حُيِّيتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيٍّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ؛ وَإِذَا أُسْدِيَتْ
إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافُئْهَا بِمَا يُرِي عَلَيْهَا ، وَالْفَضْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلْبَادِي .

دفع الشر بالخير

عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ .

الصدقات المضرة

وَمِنْ قَوْلِهِ لِابْنِهِ الْحَسَنِ :

يَا بَنِيَّ ، إِيتَاكَ وَمَصَادَقَةُ الْأَحْمَقِ ، فَانْهَ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ ،
فِيضْرُوكَ ؛ وَإِيَّاكَ وَمَصَادَقَةُ الْبَخِيلِ ، فَانْهَ يَبْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ^١
مَا تَكُونُ إِلَيْهِ ؛ وَإِيَّاكَ وَمَصَادَقَةُ الْفَاجِرِ ، فَانْهَ يَبِيعُكَ بِالتَّافَةِ ؛
وَإِيَّاكَ وَمَصَادَقَةُ الْكَذَّابِ ، فَانْهَ كَالسَّرَابِ ، يُقَرِّبُ عَلَيْكَ
الْبَعِيدَ ، وَيُبْعِدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ .

١ أَحْوَجُ : حَالُ مَنْ الْكَافُ فِي عَنَّا .

الاستكثار من الاصدقاء

مَنْ لَانَ عَوْدُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ .

سقم المودة

حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ .

معنى الصديق

لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ : فِي
نَكْبَتِهِ ، وَغَيْبَتِهِ ، وَوَفَاتِهِ .

العام والمجهل

العلم والعلماء

قال كميل بن زياد : اخذ بيدي امير المؤمنين علي بن ابي طالب ،
عليه السلام ، فاخرجني الى الجبان ، فلما اصحر ١ تنفس الصعداء ،
ثم قال :

يا كَمِيلُ بنَ زيادٍ ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ ، فخيرها
أوعاها ؛ فاحفظْ عني ما أقولُ لك :

الناسُ ثلاثةٌ : فعالمٌ ربانيٌّ ، ومتعلِّمٌ على سبيلِ نَجاةٍ ،
وهَمَّجٌ رَعاعٌ ٢ أتباعُ كلِّ ناعقٍ ، يميلون مع كلِّ رِيحٍ ، لم
يستضيئوا بنورِ العلمِ ولم يلجأوا إلى ركنٍ وثيقٍ .

يا كَمِيلُ ، العلمُ خيرٌ من المالِ ؛ العلمُ يحرُسُكَ وأنتَ
تحرُسُ المالَ ، والمالُ تنقصُهُ النفقةُ ، والعلمُ يزكو على
الانفاقِ ، وصنيعُ المالِ ٣ يزولُ بزوالِهِ .

١ الجبان بفتح الجيم وتشديد الباء : الصحراء . اصحر : صار في الصحراء .

٢ الهَمَّج : الحمقى من الناس . الرَعاع : اوغاد الناس واخلطهم .

٣ صنيع المال : اي ما يصنعه المال من الصداقة ، وانواع الملاذ ، والجاه .

يا كَمِيلُ بنَ زيادٍ ، معرفةُ العِلْمِ دينٌ يُدانُ به ،
به يَكْسِبُ الإنسانُ الطاعةَ في حياته وجميلَ الأُحدوثِ بعد
وفاته ؛ والعلمُ حاكمٌ ، والمالُ محكومٌ عليه .

يا كَمِيلُ ، هَلِكَ خُزانُ الأموالِ وهم أحياءُ ، والعلماءُ
باقون ما بقيَ الدهرُ . أعيانهم مفقودةٌ ، وأمثالهم^١ في القلوبِ
موجودةٌ . ها إِنَّ ههنا لَعِلِماً جَمّاً^٢ ، لو أصبَتْ له حَمَلَةٌ !
بلى ، أصبَتْ لَقِناً غيرَ مأمونٍ عليه ، مُستعملاً آلَةَ الدينِ
للدنيا ، ومُستظهِراً بِنِعَمِ اللهِ على عباده ، وبِحُجَجِهِ على أوليائه ؛
أو مُنقاداً^٣ لِحَمَلَةِ الحَقِّ ، لا بصيرةَ له في أحنائه^٤ ، ينقذُ
الشكَّ في قلبه لأوَلِ عارضٍ من شُبْهَةٍ ، ألا ، لا ذا ، ولا
ذاك ! أو منهوماً باللدَّةِ سَلِسَ القِيادِ للشهوةِ ؛ أو مغرماً
بالجمعِ والادخارِ ، ليسا من رُعاةِ الدينِ في شيءٍ ، أقربُ
شيءٍ شُبْهاً بهما الانعامُ السائِةُ^٥ ! كذلك يموتُ العِلْمُ بموتِ
حامليه !

١ أمثالهم : أي ذواتهم .

٢ قال ذلك ، وأشار بيده الى صدره .

٣ منقاداً : أي مقلداً .

٤ أحنائه : الضمير يعود الى الحق ، وحناء الامور : متشابهها تتببس على غير البصير .

٥ الانعام السائِة : الابل الراعية .

اللهم بلى ! لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجّةٍ : إما ظاهراً
 مشهوراً ، أو خائفاً مغموراً ، لئلا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وبيّناته .
 وكم ذا ، وأين ؟ أولئك ، والله ، الأقلون عدداً ، والأعظمون عند
 الله قدراً . يحفظُ الله بهم حُجَجَهُ وبيّناته حتى يودِعوها نُظراءَهم ،
 ويزرعوها في قلوب أشباههم . هجّمَ بهم العلمُ على حقيقة
 البصيرة ، وباشروا روحَ اليقين ، واستلنوا ما استوعره
 المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا
 الدنيا بآبدانٍ أرواحها معلّقةٌ بالمحلِّ الأعلى . أولئك خلفاء
 الله في أرضه ، والدعاةُ إلى دينه . آه آه شوقاً إلى رؤيتهم !
 انصرف يا كَمِيلُ ، إذا شئتَ .

١ كم ذا ، وأين : أي كم ذا الفريق ، وأين مكانه ؟

العاقل والجاهل

قيل له : صف لنا العاقل ، فقال :

هو الذي يضع الشيء مواضعه

فقيل : فصف لنا الجاهل ، فقال :

قد فعلت .

خفاء الصواب

إذا ازدحم الجواب خفي الصواب .

ثلاث ساعات للمؤمن

للمؤمن ثلاث ساعات : ساعة^١ يناجي فيها ربه ، وساعة^٢ يرمم^١ معاشه ، وساعة^٣ يخلص بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل .
وليس للعاقل أن يكون شاخصاً^٢ إلا في ثلاث : مرمة^٣ لمعاش ، أو خطوة في معاد^٣ ، أو لذة في غير محرّم .

١ يرم : يصلح .

٢ شاخصاً : ذاهباً .

٣ المعاد : الآخرة .

جهل وغبن وعجز

الركون إلى الدنيا، مع ما تُعينُ منها، جهلٌ، والتقصيرُ في
حُسن العملِ، إذا وثِقتْ بالثوابِ عليه، عَينٌ، والطُمأنينةُ إلى
كلِّ أحدٍ، قبلَ الاختبارِ، عجزٌ.

العمل والاقدام

لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكاً. إذا علمتم
فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا.

العلم يهتف بالعمل

العلمُ مقرونٌ بالعمل، فمن علمَ عملٍ. والعلمُ يهتِفُ
بالعملِ، فإن أجابه، وإلا ارتحل عنه.

لسان الانسان

تكلموا تعرفوا، فإن المرءَ مخبوءٌ تحت لسانه.

العلم والكلام

لا تقل ما لا تعلم ، بل لا تقل كل ما تعلم ، فإن الله فرض على جوارحك^١ كلها فرائض يحتاج بها عليك يوم القيامة .

السائل المتعنت

وسأله سائل عن معضلة ، بقصد المعاياة ، لا بقصد الاستفادة ، فقال له :

سل تفقها ، ولا تسأل تعنتاً ؛ فإن الجاهل المتعلم شبيه^٢ بالعالم ، وإن العالم المتعسف شبيه^٣ بالجاهل المتعنت .

عداوة الجهل

الناس أعداء ما جهلوا .

العلم والتعليم

ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا ، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا .

١ الجوارح : الاعضاء الكاسية كاللسان .

اشعر الشعراء

سئل عن اشعر الشعراء فقال :

إنَّ القومَ لم يجروا في حلبةٍ تُعرفُ الغايةُ عندَ قصبِها ؛
فإنَّ كانَ ولا بدَّ ، فالملكُ الضَّليلُ ٢ .

عاقل واحمق

لسانُ العاقلِ وراءَ قلبه ، وقلبُ ٣ الأحمقِ وراءَ لسانه .

الغنى والفقر

لا غنى كالعقلِ ، ولا فقرَ كالجهلِ ، ولا ميراثَ كالآدبِ ،
ولا ظهيرَ كالمشاورة .

اطالة الامل

من أطال الأملَ أساءَ العملَ .

١ الحلبة : القطعة من الخيل تجتمع للسباق . القصة : اي قصة السبق تنصب في

الغاية ، فمن احرزها كان السابق .

٢ الملك الضاليل : امرؤ القيس .

٣ القلب : اي العقل .

زيادة او نقصان

لا ترى الجاهل إلا مُفَرَّطاً أو مُفَرَّطاً .

لا تكن ثرثاراً

إذا تمَّ العقلُ نقصَ الكلامُ .

خذ الحكمة

الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق .

الرأي قبل الشجاعة

رأي الشيخ أحبُّ إلي من جلد الغلام .

عالم لا يعمل

رُبَّ عالمٍ قد قتله جهله ، وعلمه معه لا ينفعه .

أرفع العلم

أَوْضِعُ الْعِلْمَ مَا وُقِفَ عَلَى اللِّسَانِ ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ
فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ^١ .

معرفة الخطأ

مَنْ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطِئِ .

وعاء العلم

كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا يُجْعَلُ فِيهِ ، إِلَّا وِعَاءُ الْعِلْمِ فَانْه يَتَسَّعُ .

١ الجوارح : الاعضاء المكتسبة كاللسان والانف . الاركان : الاعضاء الرئيسية كالقلب والدماغ .

الفنى والفقر

جمع المال

قال لابنه الحسن :

لا تَخْلُقَنَّ وراءك شيئاً من الدنيا ، فانك تَخْلُقُهُ لأحدِ
رجلينِ : إما رجلٍ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، فَسَعِدَ بِمَا سَقِيَتْ
به ، وإما رجلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَشَقِيَ بِمَا جُمِعَتْ لَهُ ،
فكنت عوناً له على معصيته ؛ وليس أحدٌ هذين حقيقاً أن تؤثره
على نفسك .

حسرة كسب المال

إنَّ أعظمَ الحسراتِ يومَ القيامةِ حسرةُ رجلٍ كَسَبَ
مالاً في غير طاعةِ اللَّهِ ، فورثه رجلٌ فانفقَه في طاعةِ اللَّهِ
سبحانه ، فدخل به الجنةَ ، ودخل الأولُ به النارَ .

خوف الفقر

قال لابنه محمد بن الحنفية :

يا بني ، إني أخافُ عليك الفقرَ ، فاستعد بالله منه ، فإنَّ
المَقْرَ مَنْقَصَةٌ للدين ، مَدْهَشَةٌ للعقلِ ، دَاعِيَةٌ للمَقْتِ .

تمتع الغني بمجوع الفقير

إِنَّ اللهَ سبحانه فرض في أموالِ الأغنياءِ أقواتَ الفقراءِ ،
فما جاع فقيرٌ إلا بما مُتَّعَ به غنيٌّ ، والله تعالى سائلهم عن ذلك .

شريكا المال

لكلِّ امرئٍ في مالهِ شريكان : الوارثُ والحوادثُ .

المال

المالُ مادةُ الشهواتِ .

زينة الفقر والغنى

العِفَافُ زينةُ الفقرِ ، والشكرُ زينةُ الغنى .

بناء يصف الغنى

بنى رجل من عماله بناء فخماً ، فقال :

أَطْلَعْتُ الْوَرِقَ^١ رُؤُوسَهَا ؛ إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغَنَى .

وطن وغربة

الغنى في الغربةِ وطنٌ ، والفقرُ في الوطنِ غربةٌ .

خازن لغيره

يا ابن آدمَ ، ما كسبتَ فوقَ قوتك ، فأنت فيه خازنٌ
لغيرك .

بقايا الاطعمة

مر بقدر على مزبلة فقال :

هذا ما يَحِلُّ به الباخلون .

١ الورق : الفضة .

معرفة النفس وتأديبها

اجعل نفسك ميزاناً

من وصيته لابنه الحسن

يا بني ، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ،
فأجِبْ لغيرك ما تُحِبُّ لنفسك ، واكْرِهْ له ما تَكْرَهُ لها ،
ولا تَظْلِمْ كما لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ ، وأَحْسِنْ كما تُحِبُّ أَنْ يُحْسِنَ
إليك ، واستَقْبِجْ من نفسك ما تَسْتَقْبِجُ من غيرك ، وارْضَ
من الناس بما تَرْضاه لهم من نفسك ، ولا تَقُلْ ما لا تَعْلَمُ ،
وإنَّ قُلَّ ما تَعْلَمُ ، ولا تَقُلْ ما لا تُحِبُّ أَنْ يُقالَ لك .

ادب النفس

كفاك أدباً لنفسك اجتنابُ ما تَكْرَهُه من غيرك .

اشد الذنوب

أشدُّ الذنوب ما استهان به صاحبه .

انظر في عيب نفسك

مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ .

الاحمق بعينه

مَنْ نَظَرَ فِي عِيُوبِ النَّاسِ فَأَنكَرَهَا ، ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ ،
فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ .

معلم نفسه

مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ
تَعْلِيمِ غَيْرِهِ ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ .
وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ
وَمُؤَدِّبِهِمْ .

عارف نفسه

قَالَ لِرَجُلٍ افْرَطَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ لَهُ مَثَمَاءٌ :
أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ .

لا ادري

مَنْ تَرَكَ قَوْلَ « لَا أَدْرِي » أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ .

اصلاح النفس

من أصلح ما بينه وبين الله ، أصلح الله ما بينه وبين الناس ،
ومن أصلح أمر آخرته ، أصلح الله له أمر دنياه ، ومن كان
له من نفسه واعظ ، كان عليه من الله حافظ .

انا اعلم بنفسي

مدحه قوم في وجهه ، فقال :

اللهم إني أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلمُ بنفسي منهم ؛
اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون ، واغفر لنا ما لا يعلمون .

موضع التهمة

من وضع نفسه موضع التهمة ، فلا يلومن من أساء
به الظن .

معرفة النفس

هلك امرؤ لم يعرف قدره .

ابداً بنفسك

احصد الشر من صدر غيرك يقلعه من صدرك .

محاسن الاخلاق ومساوئها

النهي عن غيبة الناس

وإنما ينبغي لأهل العصمة ، والمصنوع اليهم في السلامة^١ ، أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية ، ويكون الشكر هو الغالب عليهم ، والحاجز لهم عنهم ؛ فكيف بالغائب الذي غاب أخاه ، وعييره ببلواه ؟ أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه بما هو أعظم من الذنب الذي غابه به ؟ ! وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله ؟ فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه ، فقد عصى الله فيما سواه بما هو أعظم منه . وإيم الله لأن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير ، لجراءته على عيب الناس أكبر .

يا عبد الله ، لا تعجل في عيب أحد بذنبه ، فلعله مغفور له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلك مُعَذَّب عليه . فليكف من علم منكم عيب غيره ، لما يعلم من

١ السلامة : أي السلامة من الآثام .

عيب نفسه ، وليكن الشكرُ شاغلاً له على مُعافاته مما ابتلي به غيره .

بين الحق والباطل

أيها الناس ، مَنْ عرفَ من أخيه وثيقةَ دينٍ ، وسَدَّادَ طريقٍ ، فلا يسمعنَّ فيه أقاويل الرجال . أما إنه قد يرمي الرامي وتخطى السهام ، ويَحِيلُ الكلامُ ، وباطلُ ذلك يبور ، والله سميعٌ وشهيدٌ . أما إنه ليس بين الباطلِ والحقِّ إلا أربعُ أصابع .

قال الشريف : فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا ، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ، ثم قال :

الباطلُ أن تقولَ سمعتُ ، والحقُّ أن تقولَ رأيتُ .

تواضع الغني

ما أحسنَ تواضعَ الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله !
وأحسنُ منه تَبَهُ الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله .

١ يحيل : يتغير .

خزن اللسان

واجعلوا اللسان واحداً ، وليخزن الرجل لسانه ؛ فإن
هذا اللسان جُمُوحٌ بصاحبه . والله ، ما أرى عبداً يتقي تقوى
تنفعه حتى يخزن لسانه ، وإن لسان المؤمن من وراء قلبه ،
وإن قلب المنافق من وراء لسانه ؛ لأن المؤمن إذا أراد
أن يتكلم بكلام ، تدبره في نفسه ، فإن كان خيراً أبداه ،
وإن كان شراً وأراه ؛ وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه
لا يدري ماذا له ، وماذا عليه !

دعاء انساني

من كلام له وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين
إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين ، ولكنكم لو وصفتم
أعمالهم ، وذكركم حالهم ، كان أصوب في القول ، وأبلغ في
العذر ؛ وقلتم مكان سبكم إياهم : اللهم احقن دماءنا ودماءهم ،
وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدِهِم من ضلالتهم ، حتى
يعرف الحق من جهله ، ويرعوي عن الغيِّ والعُدوان من
لهج به^١.

١ لهج به : أولع به .

كره الثناء

اثني عليه رجل من أصحابه بكلام طويل فقال :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ
مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ ، أَنْ يَصْغَرَ عِنْدَهُ ، لِعِظَمِ ذَلِكَ ، كُلِّ
مَا سِوَاهُ . وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ
عَلَيْهِ ، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ ، فَانْه لَمْ تَعِظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ ،
إِلَّا أَزَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظَمًا ، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ
الْوَلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ ، وَيُبْذَرَ
أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ . وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالٌ فِي ظَنِّكُمْ
أَنِّي أَحَبُّ الْأَطْرَاءِ ، وَاسْتَمَاعَ الثَّنَاءِ ، وَلَسْتُ ، بِحَمْدِ اللَّهِ ،
كَذَلِكَ . وَلَوْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ ، لَتَرَكْتُهُ مُحْطَاطًا
لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ .
وَرَبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ^١ ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ
ثَنَاءٍ ، لِأَخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ^٢ فِي حُقُوقٍ لَمْ

١ البلاء : أي البلاء الحسن .

٢ التقية : الخوف ، والمراد خوف العقاب .

أفرغ من أداها ، وفرائض لا بد من إضاها ، فلا تكلموني
 بما تُكَلِّمُ به الجابرة ، ولا تحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل
 البادرة^١ ، ولا تخالطوني بالمصانعة^٢ ، ولا تظنوا بي استتقلاً في
 حق قيل لي ، ولا التماس إعظام لنفسي ؛ فإنه من استنقل
 الحق أن يقال له ، أو العدل أن يعرض عليه ، كان العمل
 بهما أثقل عليه . فلا تكفثوا عن مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ،
 فاني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ، ولا آمن ذلك من
 فعلي ، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني ، فانما
 أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره ، يملك منا ما لا
 نملك من أنفسنا ، وأخرجنا بما كنا فيه^٣ الى ما صلحنا عليه ،
 فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى ، وأعطانا البصيرة بعد العمى .

رئيس الاخلاق

التقى رئيس الاخلاق .

١ البادرة : سرعة الغضب .

٢ المصانعة : المداواة .

٣ مما كنا فيه : أي من كفر الجاهلية .

حفظ اللسان

الكلامُ في وثاقِك ما لم تتكلم به ، فإذا تكلمتَ به
صرتَ في وثاقه . فاحزُن لسانك كما تحزُن ذهبك وورقك ،
فربَّ كلمةٍ سلبتَ نعمةً ، وجلبتَ نقمةً .

الحلم والعقل

الحلم غطاء ساترٌ ، والعقلُ حسامٌ قاطعٌ ؛ فاسترِ خلل
نُحائِك بحلمك ، وقاتلِ هوائك بعقلك .

العدل والجود

سئل أيما أفضل ، العدل أو الجود ؟ فقال :
العدلُ يضعُ الأمورَ مواضعها ، والجودُ يخرجُها من جُيوبها ،
والعدلُ سائسٌ عامٌ ، والجودُ عارضٌ خاصٌ ، فالعدلُ أشرفُهما
وأفضلُهما .

كره التكبر

كان الامام ركباً على جواده ، فمشى في ركابه بعض الوجهاء ، فقال له :
ارجع ، فانّ مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ، ومذلة
للمؤمن .

الوعد يستعبد

المسؤول حرّ حتى يعدّ .

الحياء

ماء وجهك جامدٌ يُقَطِّرُهُ السَّوَالُ ، فانظر عند مَنْ
تَقْطُرُهُ .

احتمال الخير

لا تَظُنَّنَّ بكلمةٍ ، خرجت من أحدٍ ، سوءاً ، وأنت تجد
لها في الخير محتملاً .

كرامة النفس

مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ ، هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ .

العفو عن العدو

إِذَا قَدَّرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ ، فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا
لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .

فلمات اللسان

مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَمَاتِ لِسَانِهِ ، وَصَفَحَاتِ
وَجْهِهِ .

افضل الزهد

أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ .

خير وشر

فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ .

استغناء

أشرفُ الغني تركُ المني .

افضل السخاء

السخاء ما كان ابتداءً ، فأما ما كان عن مسألة ، فحياء
وتدثُّم^١ .

الصبر صبران

الصبرُ صبران : صبرٌ على ما تكرهه ، وصبرٌ عما تحبُّ .

طلب الحاجة

فوتُ الحاجةُ أهون من طلبها إلى غير أهلها .

اعطاء القليل

لا تسحِ من إعطاء القليل ، فإنَّ الحرمان أقلُّ منه .

١ التذم : تجنب الدم .

خمس وصايا

أوصيكم بخمس ، لو ضربتم إليها آباطَ الابل^١ ، لكانت
لذلك أهلاً : لا يرجون أحدٌ منكم إلا ربّه ، ولا يخافنّ إلا
ذنبه ، ولا يستحيّن أحدٌ منكم ، إذا سئل عما لا يعلم ، أن
يقول : لا أعلم ؛ ولا يستحيّن أحدٌ إذا لم يعلم الشيء أن
يتعلّمه . وعليكم بالصبر ، فإنّ الصبرَ من الايمان كالرأس من
الجسد ، ولا خير في جسدٍ لا رأسَ معه ، ولا في إيمانٍ
لا صبرَ معه .

معنى الخير

سئل عن الخير ما هو ، فقال :

ليس الخيرُ أنْ يكثرَ مالك وولدك ، ولكنّ الخيرُ أنْ
يكثرَ علمك ، وأنْ يعظمَ حلمك ، وأنْ تُباهيَ الناسَ
بعبادةِ ربّك . فإنْ أحسنتَ حمِدَتَ اللهَ ، وإنْ أسأتَ
استغفرتَ اللهَ . ولا خير في الدنيا إلا لِرجلين : رجلٌ أذنب
ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة ، ورجلٌ يُسارعُ في الخيراتِ .

١ الآباط : جمع الابط ، وضرب آباط الابل كناية عن حثها على السير .

زجر المسيء

ازجر المسيء بثواب المحسن .

الصبر والعفو

متى أشفي غيظي إذا غضبت ؟ أحين أعجز عن الانتقام ،
فيقال لي لو صبرت ، أم حين أقدر عليه ، فيقال لو عفوت ؟

الصدقة

استنزلوا الرزق بالصدقة .

جزاء العلم

أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على
الجاهل .

العجب بالنفس

عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله .

مصارع العقول

أكثرُ مصارعِ العقولِ تحت بُروقِ المطامعِ .

القضاء بالظن

ليس من العدلِ القضاءُ على الثقةِ بالظنِّ .

الامام علي

سياسة الخلافة

٥	.	.	.	.	قبل مبايعته
٥	.	.	.	.	الخطبة الشقشقية
١١	.	.	.	.	معنى قتل عثمان
١٢	.	.	.	.	اتهامه بقتل عثمان
١٣	.	.	.	.	ابعاد ابي ذر
١٥	.	.	.	.	تحذيره لعثمان
١٨	.	.	.	.	مبايعته على الخلافة
١٨	.	.	.	.	استعفاؤه
١٩	.	.	.	.	اعينوني على انفسكم
٢٠	.	.	.	.	الى طلحة والزبير
٢٢	.	.	.	.	موقعة الجمل
٢٢	.	.	.	.	قوة المنطق
٢٣	.	.	.	.	الى اهل الكوفة
٢٤	.	.	.	.	نقائص النساء
٢٥	.	.	.	.	الى اهل البصرة
٢٦	.	.	.	.	حرمة عائشة

٢٧	.	.	.	.	في طلحة بن عبيد الله
٢٨	.	.	.	.	قتلى قريش
٢٩	.	.	.	.	حرب صفين
٢٩	.	.	.	.	دعاؤه قبل القتال
٣٠	.	.	.	.	تأخير القتال
٣١	.	.	.	.	آداب الفروسية
٣٣	.	.	.	.	الرفق بالنساء
٣٤	.	.	.	.	قتلى صفين
٣٦	.	.	.	.	رسائله الى معاوية
٣٦	.	.	.	.	براءته من دم عثمان
٣٧	.	.	.	.	بين السلم والحرب
٣٨	.	.	.	.	سابقة اهل البيت
٤٠	.	.	.	.	دعوة الى البراز
٤٢	.	.	.	.	بين محق ومبطل
٤٤	.	.	.	.	رد وتهديد ونقض
٥١	.	.	.	.	الخوارج والتحكيم
٥١	.	.	.	.	انذار
٥٢	.	.	.	.	لا حكم الا لله - آخرهم لصوص
٥٣	.	.	.	.	دون النطفة - الخوارج ومعاوية
٥٤	.	.	.	.	رفع المصاحف
٥٦	.	.	.	.	التحكيم
٥٨	.	.	.	.	بين التحكيم والتكفير

٦١	.	.	.	.	في معاوية والامويين
٦١	.	.	.	.	اشباه الرجال
٦٤	.	.	.	.	بين غدر ودهاء
٦٥	.	.	.	.	فتنة بني امية
٦٨	.	.	.	.	اصحابه واصحاب معاوية

في الاخلاق والاجتماع

٧٣	.	.	.	.	الناس في الدنيا
٧٣	.	.	.	.	الناس اربعة اصناف ، وصنف خامل
٧٥	.	.	.	.	يوم المظلوم
٧٦	.	.	.	.	فروع تتبع الاصول - القليل الدائم
٧٧	.	.	.	.	قبل موته
٧٨	.	.	.	.	مرارة الدنيا وحلاوتها
٧٩	.	.	.	.	تعزية - المبتلى والمعافى
٨٠	.	.	.	.	قوام الدين والدنيا - محاسن الدنيا
٨١	.	.	.	.	الصبر على الازى - الخير والشر - مرض وصحة
٨٢	.	.	.	.	الدهر يومان - العمل في الحياة - مسكين ابن آدم
٨٣	.	.	.	.	العافية والغنى - علامات الظالم - بعد الشدة الفرج - منهومان !
٨٤	.	.	.	.	رحلة الميت - الدنيا للآخرة - عثرة الامل - سيئة خير من حسنة
٨٥	.	.	.	.	بين جوع وشبع - حلوة اللسبة - الحظ ستار - ركب نيام
٨٦	.	.	.	.	شواغل القلب
٨٧	.	.	.	.	عشائر قريش - الحق واحد

٨٨	.	.	.	.	صفة الغوغاء
٨٩	.	.	.	.	الى ذام الدنيا
٩٠	.	.	.	.	خيار خصال النساء
٩١	.	.	.	.	البرد - رجلان في الدنيا - الهم - لا بد منها
٩٢	.	.	.	.	الوالد والولد - الاشتغال بالاهل والولد - تهنئة بعلام
٩٣	.	.	.	.	المرأة ربحانة لا قهرمانة - القرابة والمودة
٩٤	.	.	.	.	ولاية الامور
٩٤	.	.	.	.	الحاكم العاجز
٩٧	.	.	.	.	نصيحة لعمر
٩٨	.	.	.	.	نصيحة مثلها
٩٩	.	.	.	.	محاسبة
١٠٠	.	.	.	.	نزاهة الحاكم
١٠٢	.	.	.	.	ثناؤه على عمر
١٠٣	.	.	.	.	دار القاضي
١٠٥	.	.	.	.	الولاية امانة لا طعمة
١٠٦	.	.	.	.	في بني تميم
١٠٧	.	.	.	.	بين اللين والشدة
١٠٨	.	.	.	.	تهديد زياد - مضامير الرجال
١٠٩	.	.	.	.	اسراف زياد
١١٠	.	.	.	.	عمد الولاية
١١٢	.	.	.	.	آلة الرئاسة
١١٣	.	.	.	.	الحرص على بيت المال
١١٦	.	.	.	.	عزل عامل محسن

٩١٧	عامل في وليمة
١٢١	حقوق وواجبات
١٢٣	وصيته الى عمال الخراج
١٢٥	عهد الاشر النخعي
١٥٢	زمن المحل
١٥٣	الصدقة والعداوة - الاصدقاء والاعداء - انكار العدوان
	الشر بالشر - الصداقة بين راغب وزاهد - حسن المعاشرة - اكتساب
١٥٤	الاخوان
١٥٥	الغالب بالشر - حب علي وبغضه - تألف القلوب - فضيلة التحذير
١٥٦	حسن المخالقة - دفع الشر بالخير - الصداقات المضرة
١٥٧	الاستكثار من الاصدقاء - سقم المودة - معنى الصديق
١٥٨	العلم والجهل
١٥٨	العلم والعلماء
١٦١	العاقل والجاهل - خفاء الصواب - ثلاث ساعات للمؤمن
	جهل وغبن وعجز - العمل والاقدام - العلم يهتف بالعمل - لسان
١٦٢	الانسان
١٦٣	العلم والكلام - السائل المتعنت - عداوة الجهل - العلم والتعليم
١٦٤	اشعر الشعراء - عاقل واحمق - الغنى والفقر - اطالة الامل
	زيادة او نقصان - لا تكن ثثاراً - خذ الحكمة - الرأي قبل
١٦٥	الشجاعة - عالم لا يعمل
١٦٦	ارفع العلم - معرفة الخطأ - وعاء العلم
١٦٧	الغنى والفقر - جمع المال - حسرة كسب المال
	خوف الفقر - قمع الغنى يجوع الفقير - شريك المال - المال - زينة
١٦٨	الفقر والغنى

- ١٦٩ بناء يصف الغنى - وطن وغربة - خازن لغيره - بقايا الاطعمة
 معرفة النفس وتأديبها - اجعل نفسك ميزاناً - ادب النفس - اشد
 ١٧٠ الذنوب
 انظر في عيب نفسك - الاحق بعينه - معلم نفسه - عارف نفسه
 ١٧١ لا ادري
 اصلاح النفس - انا اعلم بنفسي - موضع التهمة - معرفة النفس -
 ابدأ بنفسك ١٧٢
 محاسن الاخلاق ومساوئها - النهي عن غيبة الناس . ١٧٣
 بين الحق والباطل - تواضع الغني ١٧٤
 خزن اللسان - دعاء انساني ١٧٥
 كره الثناء ١٧٦
 رئيس الاخلاق ١٧٧
 حفظ اللسان - الحلم والعقل - العدل والجود . ١٧٨
 كره التكبر - الوعد يستعبد - الحياء - احتمال الخير . ١٧٩
 كرامة النفس - العفو عن العدو - فلتات اللسان - افضل الزهد - خير وشر ١٨٠
 استغناء - افضل السخاء - الصبر صبران - طلب الحاجة - اعطاء القليل ١٨١
 خمس وصايا - معنى الخير ١٨٢
 زجر المسيء - الصبر والعفو - الصدقة - جزاء العلم - العجب بالنفس ١٨٣
 مصارع العقول - القضاء بالظن ١٨٤

مناهل الادب العربي

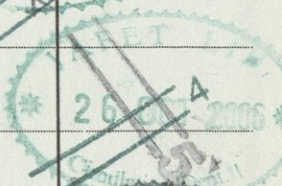
جبران خليل جبران	١
ميخائيل نعيمة	٢
احمد فارس الشدياق	٣
ولي الدين يكن	٤
امين الريحاني	٥
ابو العلاء المعري - رسالة الغفران ١	٦
أبو العلاء المعري - رسالة الغفران ٢	٧
أبو العلاء المعري - كتب مختلفة	٨
أبو العلاء المعري - اللزومات ١	٩
ابو العلاء المعري - اللزومات ٢	١٠
بطرس البستاني	١١
ابراهيم اليازجي *	١٢
ابراهيم اليازجي **	١٣
الشريف الرضي *	١٤
الشريف الرضي **	١٥
الشريف الرضي ***	١٦
كرم ملحم كرم	١٧
الموشحات الاندلسية *	١٨
الموشحات الاندلسية **	١٩
الموشحات الاندلسية ***	٢٠

ابن خلدون - المقدمة *	٢١
ابن خلدون - المقدمة **	٢٢
ابن خلدون - المقدمة ***	٢٣
ابن خلدون - المقدمة ****	٢٤
ابن خلدون - المقدمة *****	٢٥
الامام علي - نهج البلاغة *	٢٦
الامام علي - نهج البلاغة **	٢٧

Circulation Dept. of the
University of California
Library



DATE DUE



297.12481:A398nmA

على بن ابي طالب (الخليفة)
[نهج البلاغة. مختارات]: مختارات من

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01083557

A. U. B. LIBRARY

American University of Beirut

297.12481

A398nmA

V.1-2

A. U. B. LIBRARY

